# عبد الناصر وحركات التحرر العربي والأفريقي

## فهم جديد لدور قائد ثورة يوليو في اشعال فتيل ثورات العرب والقارة السوداء



نجاح العشري

مكتبة جزيرة الورد

# عَبد النّاصـــر وحركـات التحرر العربيّ والأفريقي

## فـهـم جـديـد لـدور قـائـد ثـورة يـولـيــو

### في إشـعـال فـتـيل ثـورات الـعـرب والـقـارة الـسـوداء

تأليف

نجاح العشري




مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

بطاقة فهرسة



مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب: عبد الناصر وحركات التحرر العربي والأفريقي

اسم المؤلف: نجاح العشري

رقم الإيداع : ٢٠١١/٧٩٥٢

الطبعة الأولى ٢٠١١

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com



# إهداء

إلى **حسن نصر الله**

زعيمًا مقاومًا وخطيبًا مفوّهًا وسياسيًا بارعًا

وإلى **جميلة بوحريد**

رمز من رموز النضال العربيّ الجزائري

وشاهدة على وحشية الاستعمار الفرنسي وبربريته

وإلى كل الثوريين العروبيين المؤمنين بأمة عربية واحدة من المحيط إلى الخليج، والحريصين على إنقاذ الأمة من حالة التجزئة والتشظي والتشرذم ، والتي وقعت في شركه وبراثنه !!! ولم تنفك عنه حتى الآن !!!

**نجاح العشري**

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

قد يظن الظان أنه لو حدث وتم الاستغراق في العزلة – في عهد عبد الناصر – والانكفاء على الذات والابتعاد عن شؤون العرب وأفريقيا !! كان ذلك سيجلب على مصر كل الخير ويجنبها الدخول في حومة الصراعات والحروب ، والتي أدت إلى بعض الانتكاسات والهزائم الممضة وعلى رأسها نكسة يونيو/ حزيران ١٩٦٧ ، والتي بدأت بوادرها وإرهاصاتها منذ حرب اليمن ؛ حيث أطلق عبد الناصر جنوده يهيمون بين دروب الجبال الشواهق وتيه الصحراء في اليمن..!! فما كان أحرانا أن نتجنب أن ينزف دمانا ، وأن يقتل جنودنا شر قتله في ريعان شبابهم دون أنّ يحققوا نفعًا أو يضيفوا مكسبًا.. وما أحرانا أنّ ننغلق على ذواتنا ننشئ المصانع ، ونبني الإنسان المصري على أسس حضارِّية ندافع عن حدودنا ولا يتوه جنودنا بين مجاهل الأقطار العربِّية.. وصراعات القبائل الأفريقية والاثنيات العرقية الأفريقية.. فلم نجن إذن من مد يدنا للعرب سوى الخراب والهزائم ، ولم نجن إذن من مد يدنا لحركات التحرر الأفريقي سوى حدوث نزيف للموارد، وضياع للأموال والعتاد دون طائل!! فلم نحصل – كما يرى هذا الرأي – من هؤلاء وأولئك سوى الفقر والمسغبة وضياع الموارد ، ولم نحصل على ما نصبو إليه ونتمناه...!!!

هذه النظرة «العوراء» للأمور فقدت بتسرعها وظنونها الرؤية الصحيحة للتاريخ وحقائق الجغرافيا ، فكانت تائهة هذه النظرة «الأحادِّية» في رؤيتها ..

فقد فقدت «بوصلة» الجغرافيا و«حقائق التاريخ».. فلم تكن مصر يومًا «منعزلة» ومنذ نشوء الحضارة الفرعونية على أرضها فقد امتدت حدودها الجغرافية خارج النطاق والتخوم المعروفة .. بل كانت الجذور العربية والأفريقية في صميم التاريخ المصري القديم –كما يقول ثقات المؤرخين والباحثين– وقبل أن تفتح مصر وتأتي القبائل العربية بعد الفتح –زرافات ووحدانا .. فكان التفاعل والتداخل سمة هذه المنطقة الممتدة من المحيط إلى الخليج تنطق به الحفائر والآثار وأصول اللغة القديمة.. كما أن التداخل العربي القديم والأفريقي أكده العديد من المؤرخين الغربيين.. ومن ثَمَّ كانت رؤية عبد الناصر للدائرتين العربية والأفريقية رؤية قارئ متأمل ودارس للتفاعلات البشريّة على جغرافيا الوطن العربي منذ العصور القديمة ، وفهم لإستراتيجية المنطقة وكوامن قوتها ، وصلابة جذورها.

صحيح أن الفتح الإسلامي لمصر أضاف بُعدين هامين من خلال هذا الفتح يتمثلان في انتشار اللغة العربيِّة ، وشيوع الدين والعقيدة في ربوع مصر وأرجائها.. كما أنّ قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حسم بشكل قاطع عروبة مصر وانتمائها العربي ، وعظم من قيمة القومية العربيّة ، فخرج الأمر من نطاق الوطنية الضيق إلى رحاب الوطنية العربيِّة الممتدة.. بل امتد الشأن إلى الأفريقية الدائرة الهامة والمتداخلة مع العربيِّة في جذور التاريخ ، وصميم الجغرافيا ، فكان ما كان بسبب هذه النظرة الشاملة والرؤية العروبية «الحقة».

فقد كان تدخل جمال عبد الناصر وتدعيمه لحركات التحرر الوطني والثورات في الدائرة العربيِّة والأفريقية.. لم يكن حبًا في إظهار زعامته ،

ولا حرصًا منه على إبراز نفوذه الشخصي ، ولكن تفهمًا منه لحقائق التاريخ وفهمًا لصميم الجغرافيا ، ودأبًا على تصفية الاستعمار، وتحرير الإرادة للشعوب المقهورة ، والمغلوبة على أمرها.

وفي كتابنا ناقشنا هذه الموضوعات ، وغيرها في مدخل وأبواب ثلاثة ، فكان المدخل يتتبع جذور العربية والأفريقية داخل النسيج المصري القديم ، يؤكد على عروبية المنطقة منذ القديم من الزمن وتداخلها مع الأفارقة.

كما ناقشنا في الباب الأول تصور عبد الناصر وخطابه القومي ، وكيف صاغ رؤيته القوميّة ، وحرصه على وحدة الهدف، وتحقيق الوحدة ، وتثوير المفهوم القومي العربيّ.. وعرضنا في الباب الثاني إلى حقيقة اهتمام عبد الناصر بالدائرة العربية ، وتبنيه لحركات التحرر العربي في الجزائر ، واليمن، والعراق،والسودان، وحركة فتح لتحرير فلسطين.. إلخ، وكيف وقف مع الثورات ومناصرة القضايا العربية بقصد تحرير الإرادة والاستقلال ، ومناهضة الاستعمار والإمبريالية.

وناقشنا في الباب الثالث التدخل العربي والأفريقي بشكل يصعب دحض هذا التداخل «القديم» ، وكيف نظرت مصر لأفريقيا ، وحرص ثورة يوليو على تعظيم دورها الأفريقي الصحيح في تفجير الثورات الأفريقية ، ومساعدة حركات التحرير ومكاتبها السياسيّة ، وكيف كانت «القاهرة» هي أول عاصمة في العالم تجمع حركات التحرير مكاتبها من بقاع الأراضي الأفريقية والعربية على السواء.. وكيف كانت الإذاعات الموجهة والمرسلة إلى جميع الشعوب الأفريقية ؛ لتنير الطريق ، وتوضح حقيقة الاستعمار والإمبرياليّة .

وإذا كان لكتابنا هدف وهو تجليّة دور عبد الناصر في مساندة حركات التحرير العربي والأفريقي، ومناهضة الاستعمار الغربي، وما قام به «ناصر» من أدوار عالية الهمة ورائدة في مضمار التاريخ وحركات التحرير، وتفجير الثورات خلال عقدين من الزمان، فلم نكن نستطيع أن نحقق ما نصبو إليه، لولا أن أعاننا على الجهد صديقنا السيد العزوني الناصري «القُح»، وما مدنا به من كتب ومراجع علمية ومنهجية في إطار الموضوع، وصميم الدراسة.. كما ساهم د. رضا البهات بمناقشاته وقدراته الحوارية على تزايد حرصنا على إتمام هذا الكتاب.. فبدون هذا العون منهما كان الأمر سيسبب لنا رهقًا.. فلهما منا الثناء المستطاب والتقدير الجزيل.

وما يسعنا بعد ذلك سوى أن أذكر الفضل في أول الأمر وآخره يكون – دائمًا – لله العلي القدير، فهو المستعان على الصعاب والمشاق.. فله الحمد في كل وقت وحين.

نجاح العشري

المنصورة: الثلاثاء ٢١ من ديسمبر ٢٠١٠م

١٥ من محرم ١٤٣٢ هـ

# مدخل لابُد منه

## الجذور العربيّة والأفريقية في التاريخ المصري

((تأصيل وتعصير))



# ١
# المرحلة القديمة قبل الفتح الإسلامي

يتفق العديد من الباحثين والمختصين في تقصي التاريخ القديم للمنطقة العربيّة على ترجيح الأصل السامي للمصريين مع عدم إنكار اختلاطهم بأجناس أخرى كالحاميين على سبيل المثال.. وهناك عدة آراء تذهب إلى أن الجنس السامي Samitism- Race وأحد فروع الجنس الحامي Hamitic – Race كانا متحدين في عصر ما قبل التاريخ Prehistoric age ، وكانا يكونان – وقتئذ – شعبًا واحدًا في شرق أفريقيا ، تفرع بعد ذلك إلى فرعين: الساميين ، حيث عبروا مضيق باب المندب إلى الجزيرة العربية ، أما النوع الثاني: الحاميين فكون الحضارة Civilization في حوض نهر النيل[١].

وقد ورد في دائرة المعارف البريطانية ما يؤكد هذا المعنى ، حيث أوضحت أنه قديمًا ، وعبر مرحلة تمتد إلى ما يقرب من أربعمائة ألف عام ، كان يقطن وادي النيل شعوب من أفريقيا ومن آسيا الغربية ، والذين صنعوا ، وصاغوا حضارة مصر القديمة.. وقد أدى الاتصال السكاني والتفاعل البشري «القديم» إلى حدوث تقدم من مصر ساهم ولا شك في صنع حضارتها القديمة[٢].

(1) د. فؤاد المرسي خاطر: حول الفكرة العربية في مصر ، دراسة في تاريخ الفكر السياسي المصري المعاصر، الهيئة العامة للكتاب ، عام ١٩٨٥ ، ص ١٧.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر: مرجع سابق ذكره ، ص ١٨.

ويرى جمال حمدان (١٩٢٨ – ١٩٩٣) أن شعوب المنطقة – قبل العرب والإسلام– هم أساسًا وأصلًا أقارب انفصلوا جغرافيًا ابتداء من العراق إلى الشام إلى الجزيرة العربيّة، وحتى مصر إلى الغرب أو السودان والتوطن المحلي والمؤثرات الدخيلة الموضوعية، والتزاوج الداخلي؛ الذي حدث بعد ذلك لا يمكن أنّ ينتج أكثر من ابتعادات محلية ضئيلة لا تغير بأي حال من الأحوال من وحدة الأصل الدموي، وتجانس العرق Race في كثير، وإن تطورت اللغات والألسن ما بين سامي وحامي؛ حيث يظل العالم العربي Arab World أو بيت العرب الجغرافي الكبير هو: «دوار العرب»، بمعنى الأسرة الموسعة، التي تضم عدة أسر نووية أو خلويّة[١].

– فقد أظهرت الآثار القديمة التي خلَّفها الإنسان في العصر الحجري القديم «الباليوليتي» في فلسطين تشبه إلى حد كبير الآثار الفخارية، التي تعود إلى ذلك العصر في منطقة الجبل الأخضر في الجماهيرية الليبية، وبالانتقال أيضًا إلى مراحل أخرى من التطور الحضاري، نلاحظ – كما يذكر خالد إبراهيم عربي – تأكيدات أخرى على الروابط والتفاعلات، التي كانت تقوم بين أجزاء المنطقة والحضارات Civilization، التي قامت فيها، فإضافة إلى العلاقات والروابط والتفاعلات الحضاريّة، التي كانت تقوم بين حضارة وادي النيل وبلاد ما بين النهرين وبلاد الشام، نجد أيضًا أن هناك ارتباطًا حضاريًا وثيقًا قام بين حضارة وادي النيل وحضارة الصحراء الليبية من جهة، وحضارة الجزيرة العربية من

(١) د. جمال حمدان: شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان، الجزء الرابع، دار الهلال، طبعة ١٩٩٥، ص٦٣٤.

جهة أخرى.. الأمر الذي يؤكد – كما يذكر عربي – على عدم وجود الانفصال أو الانفصام الحضاري إلا في عقول وأذهان وسخائم أعداء العروبة وحضارتها[(١)].

– ويذكر فؤاد المرسي خاطر في هذا الشأن : أن التأثير العربي أو السامي يعود إذن إلى العصور الموغلة في القدم التاريخي قبل عصر الأسرات ، واستمر هذا التأثير الفعال – دون انقطاع – في مختلف العصور والحقب التاريخية ، وكانت الهجرة العربية عاملًا حاسمًا في هذا المجال ، وقاطعًا في الدلالة ؛ حيث أن الهجرات العربية (السامية Samite) ، التي خرجت من الجزيرة العربيّة ؛ حيث الظروف المناخية شديدة الوطأة ، والبيئة بطبيعتها كانت طاردة للسكان والبشر ، وكان اتجاهها نحو مصر ، وأهم هذه الهجرات قاطبة : موجة الهجرة الأولى في عصر ما قبل الأسرات Prefamilies period سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد تقريبًا.. ومن خلال استقرار هذه العناصر السامية (العربية) في مصر ، واختلاطها بسكانها تكون الشعب المصري في عصر ما قبل الأسرات Perfamilies Period ، ونتيجة لهذا التزاوج البشري ، والتلاقي الإنساني ، التي حدثت بين العرب والمصريين تكونت حضارة الدولة الأولى – في مصر القديمة – ويرى بعض الباحثين المختصين بالتاريخ القديم: أن الملك مينا (نارمر) ، الذي وحد مصر في دولة واحدة ينتمي إلى هذه العناصر العربية (السامية)[(٢)].

---

(1) خالد إبراهيم عربي: القوميَّة العربيَّة قبل الإسلام ، دار الملتقى للنشر، ليماسول، قبرص ، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م ، ص١٨ ، ١٩.

(2) فؤاد المرسي خاطر : حول الفكرة العربية في مصر ، دراسة في تاريخ الفكر السياسي المصري المعاصر – الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥ ، ص١٩.

- وهناك ثمة حقيقة لغوية - كما يذكر جمال حمدان (١٩٢٨ - ١٩٩٣) تؤكد وجود علاقة القرابة «فالثابت المحقق الآن أن اللغة المصرية القديمة، وهي حامية تصنيفًا كانت تشمل نسبة هامة من المؤثرات والكلمات السامية، وقد أثبت البعض اشتراك أكثر من عشرة آلاف كلمة بين المصرية والعربية»[١].

- كما أن هناك ثمة اعتراض واتجاه صحيح - كما يقول خالد إبراهيم عربي - أخذ يتزايد في الآونة الأخيرة على أن: «النظرة السامية» هي فرضية خاطئة، وعلى أن اصطلاح: «الأقوام العربية» هو اصطلاح أكثر تمشيًا مع الواقع التاريخي والعلمي، ومن أبرز من اعتمد هذه التسمية وأصر على أنها «الأقوام العربية» بدلًا من إطلاق اصطلاح «الأقوام السامية» للدلالة على سكان المنطقة العربيّة الدكتور جواد علي في سِفره الكبير والقيم «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام».. ومن الملاحظ - كما يذكر عربي - أنه يطلق لفظ عربي على جميع سكان الجزيرة بغض النظر عن الزمان والحقب التاريخية التي عاشوا فيها، والمكان الذي وجدوا فيه سواء أكانوا سكانًا في المناطق الشمالية أم في المناطق الوسطى من الجزيرة العربية أم في المناطق الجنوبية منها، مع ملاحظة أنّ هناك من يعترض على اعتبار هؤلاء السكان هم وحدهم العرب القدماء[٢].

- وقد ذكر عديد من العلماء الغربيين على أنّ منطقة أفريقيا ما هي إلا عربية الأصل نتيجة الهجرات العربية القديمة، أي أن هناك اتصالًا وتزاوجًا كبيرًا بين الأفارقة والعرب - قبل الإسلام - فيذكر دولار جلاوزر أن أصل الأجناس

---

(1) جمال حمدان : شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان، الجزء الرابع، دار الهلال، ص٦٣٦.

(2) خالد إبراهيم عربي : القومية العربيّة قبل الإسْلَام، دار الملتقى، قبرص، الطبعة الأولى، ١٩٩٣، ص٢٠.

من جنوبي الجزيرة العربيّة هاجروا إلى العدوة الأفريقية لأسباب كثيرة منها: استيلاء البريثيين على سواحل بلاد العرب الشرقية[1].

- ويرى هومل Hommel أن الحضارمة القدماء أقرب العرب الجنوبيين إلى الحبشة الجنوبيين بدليل تقارب اللهجة الحضرمية القديمة المبنية في المسند واللغة الحبشية .. وقد أطلق اليونانيون على الحبشة وعلى مناطق واسعة - كما يذكر بعض الباحثين - لا تدخل في الحبشة اليوم تشمل جنوب مصر وسواحل أفريقيا المطلة على البحر الأحمر والمحيط الهندي جنوب بلاد العرب، وهي تقابل لفظ كوش الوارد في التوارة ، مما يدل على أن الاتصال والتلاقي كان وثيقًا من قديم الزمان بين الشعوب التي تسكن هذه النواحي[2].

- ويبين جمال حمدان (١٩٢٨ - ١٩٩٣) أن مصر قد عرفت - قبل ظهور الإسلام - فرعي العربي الكبيرين : القحطانيون الزرّاع كانوا يعبرون البحر ويستقرون في منطقة وادي النيل ، ويختلطون بسكانه ، والعدنانيون كانوا يجوبون الصحراء الشرقية كبدو رحل ، ولهذا لم يختلطوا كثيرًا بالمصريين ، وهم الذين حاربوهم الفراعنة طويلًا ، ومعنى ذلك فإن : «تعريف مصر سبق في بدايته الفتح الإسلامي والعصر الإسلامي، وإنه قديم في مصر ، مثلما كان قديمًا في السودان ، وإن كان الفتح نفسه هو الخطوة الحاسمة»[3].

إذن: فالقول - كما يذكر حمدان - بأن مصر الفرعونية أصلًا عربية مصاهرة قد يكون منطقًا «جاهليًّا» - منطق ما قبل الإسلام - يعني نوعًا من الردة

(1) جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ، دار الهلال ، بدون تاريخ ، ص١٢٤.

(2) جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ، دار الهلال ، ص١٢٥.

(3) جمال حمدان : شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان ، دار الهلال ، الجزء الرابع ، ص٦٣٦.

التاريخية تنسب الابن إلى الجد دون أبيه، أو قبل أن تنسبه إلى أبيه، وإنما الأصح أن نقول: أن مصر الفرعونية بالجد عربية بالأب، وكل من الجد والأب من أصل جد أعلى واحد مشترك، غير أن العرب هنا وقد غيروا ثقافة مصرهم للدقة والتحديد «الأب الاجتماعي» في الدرجة الأولى، وليسوا «الأب البيولوجي» إلا في الدرجة الثانية، حيث كانوا بالضرورة أقلية عددية جدًا بالقياس إلى المصريين[١].

---

(١) جمال حمدان: مرجع سابق ذكره، ص٦٣٧.



# مرحلة الفتح العربي الإسلامي

ولكن منذ الفتح العربي الإسْلامي لمصر في عام ٦٤١م تطورت علاقة مصر - المجتمع بالدولة - بالفكرة العربية، والتي تعرف بمرحلة تعريب المجتمع، وتعرفه على اللغة العربية وثقافتها، والتحول إليها، والتوجه لاستعمالها، وارتبط بتلك المرحلة التاريخية تحول مصر أيضًا إلى الدين الإسلامي والانفتاح على منطقة الشرق المسلمة[1].

- لقد كان التطور الفكري الذي أحدثه الفاتحون العرب لمصر ولبلدان مشرقية أخرى نتيجة لعاملين مهمين: أحدهما ديني محض، والآخر اجتماعي في جوهره.. ومع أن العاملين - كما ذكر حسن أبو طالب - مضيا في طريقين متوازيين غير أنهما كانا متميزين ويختلف أحدهما عن الآخر اختلافًا كبيرًا في نقطتي البداية والنهاية.. يمثل الأول في الدعوة إلى الإسلام، ونشره بين المصريين، فاستطاعت العقيدة الجديدة، التي دعا إليها النبي محمد ﷺ أن تبدل في الحياة الروحية لملايين الناس الذين اعتنقوها وحرصوا على الإيمان بها، وتمثل العامل الثاني في التعريب وكان له مظهران: أحدهما التعريب اللغوي، حيث أخذ أهل البلاد المفتوحة يكتسبون اللغة العربية الجديدة بالتدرج، حتى حلت محل لغتهم الأصلية.. والثاني التعريب العرقي الحاصل نتيجة الهجرة الجماعيّة

(١) د. حسن أبو طالب: عروبة مصر بين التاريخ والسياسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ٢٠٠٤، ص١٣.

الكبيرة من القبائل العربية الخالصة إلى تلك البلاد وحدث التزاوج بأهلها والتلاقي البشري ، ومن ثمّ اختلط الدم العربي ، وامتزج إذن بالدماء المصرية ، بل غلب الأول على الثاني في بعض الأحوال[(١)].

– على أن أهم نتائج الفتح العربي الإسلامي لمصر بصورة محددة – كما يذكر فؤاد المرسي خاطر – هو أنه بلور صراحة مقومات وأسس انتماء مصر إلى الأمة العربية ، وهي بصفة عامة – مقومات الأمة العربية – فبغض النظر عن عنصر الأرض والجنس Genera والذي ثبت تاريخيًا في مرحلة ما قبل الإسلام ، والذي لم يعتبره المنظرون القوميون العرب مقومًا أساسيًا في تكوين الأمة العربية – أدى الفتح العربي الإسلامي إلى توفير مقوم وحدة اللغة ، حيث تحولت بصورة كلية إلى اللسان العربي وأيضًا وحدة العقيدة الروحية ، فمع نهاية القرن الرابع الهجري اعتنق غالبية المصريين العقيدة الإسلامية بما تتضمنه من قواعد وسلوك وطقوس وتقاليد.. وقد تجمع بالفعل نتيجة وجود هذا المقومان ليؤديا إلى توفير مقوم وحدة الثقافة ، فوحدة اللغة والعقيدة أديا إلى توحيد مصر ثقافيًا مع البلاد العربية[(٢)].

– وكان لهجرة بعض القبائل العربية إلى مصر – بعد الفتح الإسلامي – دور مؤثر في هذا الاتجاه؛ حيث كان من جراء هذه الموجات المتلاحقة لهذه الهجرات؛ أن تطبعت مصر بطابع العروبة... وحسب بعض التقديرات البحثية ، فقد بلغ عدد القبائل والبطون التي هاجرت من الجزيرة العربيّة ، واستقر بها المقام في

(1) د. حسن أبو طالب : مرجع سابق ذكره ، ص١٦.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر : حول الفكرة العربية في مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة عام ١٩٨٥، ص٢٣.

مصر خلال القرون الثلاثة الأولى للفتح العربي الإسلامي ٢٤٤ قبيلة وبطنًا ، منها: ١٠٠ قبيلة و١٤١ بطنًا ، ٣ تجمعات ، خاصة أن القبيلة كانت تحرص على إبقاء صلاتها بقبائل الجزيرة العربيّة والشام ؛ حيث لم تتم الهجرة القبائلية بكامل أعدادها ، وهذا خلق عاملًا مساعدًا على وجود التواصل، وصلة بين مصر والأقطار العربية، التي منها هذه القبائل... ومن هذه «القبائل» العربية: (قبائل العليقات ، والجعافرة ، والكنوز ، والتي استقرت بين قوص والسودان) ، وأيضًا قبائل : (الهوارة ، وجهينة ، والعبايدة ، وقد استقرت بين قوص ، وأسيوط، والسلوم ، وكذلك قبائل : (الحويطات ، والسناري ، والنبعات ، استقرت بين أسيوط والعريش[1].

- وقد شهدت الأراضي العربية الممتدة من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربيّ في العصريين الأموي والعباسي إمبراطورية عربية واسعة الآفاق ، ثم قامت الدولة الفاطمية ، والتي امتدت رقعتها الجغرافية ، وشملت مصر والحجاز وسوريا حتى تونس والمغرب الأقصى، وضمت الدولة الأيوبية: مصر، وسوريا ، وامتدت دولة المماليك من الحجاز إلى مصر مرورًا بسوريا ، ولبنان ، وفلسطين ، ويعتبر بعض المؤرخين أن تكوين الجماعة العربية ، وانصهارها حصل في القرنين الحادي عشر ، والثاني عشر الميلاديين ، أي: التكوين القومي للأمة العربية ، وانصهارها كان قد سبق ولادة القوميات الغربية الأوروبية[2].

(1) د. فؤاد المرسي خاطر : مرجع سابق ذكره ، ص٢٢.

(2) عدنان حسين : العامل القومي في السياسة المصرية ، دار الوحدة ، بيروت ، طبعة عام ١٩٨٧ ، ص١٩.



# الفكرة العروبية في مصر في العصر الحديث

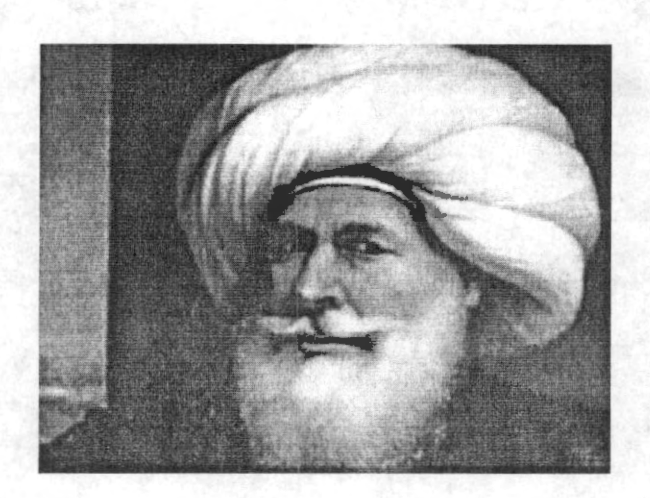
مما لا شك فيه أنّ عروبة مصر حقيقة مؤكدة ، لا خلاف حولها ، ولا جدال بشأنها، أما الفكرة العربية – في مصر – بمعنى أن الإحساس بالذاتية العربية في مصر ، والوعي بالانتماء للأمة العربية، والعمل من أجل تأكيده ، جاء في وقت متأخر بالمقارنة بعدد من أقطارنا العربية ... كما أن الفكرة القومية العربية ذاتها قد ظهرت متأخرة في أواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين أولًا كرد فعل للسياسة التي اتبعتها الدولة العثمانية ، أو في مواجهة القومية التركية (التتريك) ، هذا رغم أن الأمة العربية تكونت قبل ذلك بكثير ؛ حيث اتضحت معالمها ، وتحددت حدودها في عصر الدولة الأمويّة ... ويتفق معظم الباحثين على أن هناك عوامل قوية هي التي أدت إلى تأخر ظهور الفكرة العربية في مصر – خلال العضر الحديث – وهي :-



١ – **كان من أخطر نتائج الحملة الفرنسية على مصر** (١٧٩٨ – ١٨٠١) : هو أنها فجرت تيار المصرية الإقليمية ، وأعادت للمصريين مرة أخرى شعورهم بشخصيتهم الذاتية المستقلة ، إحياء لما قبل الفتح العربيّ الإسلامي .. فقد خاطب **نابليون بونابرت** (١٧٦٩ - ١٨٢١)

المصريين على أنهم أمة متميزة في العراقة[1].

**٢- ثم جاء عهد محمد علي باشا** (حكم من ١٨٠٥ حتى ١٨٤٨): ليضيف جديدًا من العوامل في تأخر ظهور الفكرة العربية في مصر، رغم محاولاته إقامة دولة عربية كبرى، فيعزى لمحمد علي (١٧٦٩-١٨٤٩): قيام الدولة المصرية الحديثة، والتي ارتبط بها ظهور فكرة القوميّة المصريّة، وظهرت بوادرها منذ الحملة الفرنسية (١٧٩٨-١٨٠١)، وأكمل عملية تهيئة المناخ لاستكمال فكرة محمد علي باشا (١٧٦٩-١٨٤٩)[2].



**٣- وجاء الاحتلال الإنجليزي لمصر عام ١٨٨٢**: ليضيف بعدًا آخر إلى العوامل التي أدت إلى تأخر ظهور الفكرة العربية في مصر، فإلى جانب العزلة النسبية، التي فرضتها معاهدة ١٨٤٠، والتي أبعدت مصر عن باقي البلاد

(1) د. فؤاد المرسي خاطر: حول الفكرة العربية في مصر، ص٣٤.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر: مرجع سابق ذكره، ص٣٨.

العربية ، زاد الاحتلال الإنجليزي لمصر من هذه العزلة.. كما أثر الاحتلال الإنجليزي لمصر في إضعاف مقوم أساسي من مقومات الفكرة العربية ، وهي اللغة العربية ، فقد عمل الاستعمار Colonialism من إقصاء اللغة العربية من دواوين الحكومة والشركات[١].

٤- ويضيف بعض الباحثين بعدًا آخر في تأخر الفكرة العربية في مصر ، وهو : دور عدد من السوريين في تحويل أنظار المصريين عن «الفكرة العربية» ؛ حيث بدءوا بمساعدة الحملة الفرنسية ، والعمل لحسابها ضد المصريين، وكان دورهم بارزًا في عهد محمد علي ( حكم من ١٨٠٥ حتى ١٨٤٨) ؛ لوجودهم في مناطق نفوذ في مصر.

- ويرى **حسن أبو طالب** : أن فكرة الثلاثينيات ( من القرن العشرين) قد بدأت بالفعل في تعريب مصر السياسي ؛ حيث تبلورت وضعية الفكرة العربية كمذهب سياسي تدريجيًا ، كمجدد لعلاقات مصر بالمحيط الإقليمي المباشر ، وهو ما ظهر في تكوين الجمعيات ، والمنظمات ، والأحزاب السياسية Political Parties ، التي دعت إلى ارتباط خاص بين مصر والبلدان العربية ، وفقًا لاعتبارات وحدة اللغة ، والثقافة ، والمصير ، وهي الأفكار التي مهدت فيما بعد إلى تبلور أيدلوجيًّا القوميّة العربيّة ، كمحدد رئيسي لعلاقات مصر العربيّة والدوليّة ، كما عبرت عنه الحقبة الناصرية أبلغ تعبير[٢].

(1) د. فؤاد المرسي خاطر : حول الفكرة العربية في مصر ، ص٣٨.

(2) د. حسن أبو طالب : عروبة مصر بين التاريخ والسياسة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ٢٠٠٤، ص١٣.

# الباب الأول

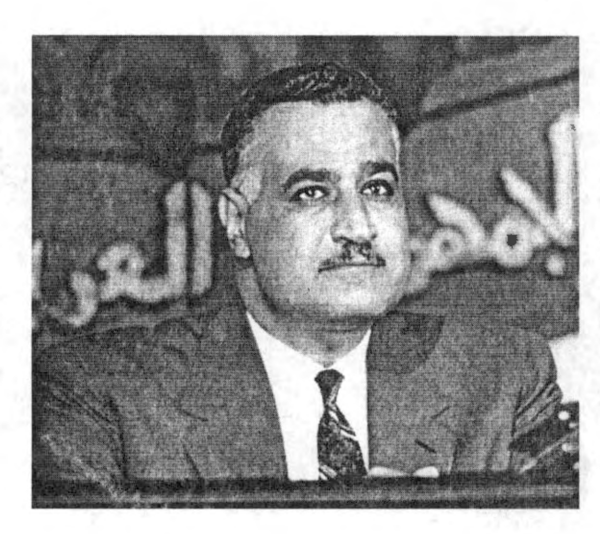
## التصور القوميّ لخطاب عبد الناصر ، وتنامي مفردات الفكر الناصري ، والإضافات الناصرية لمحتوى القومية العربيّة



# الباب الأول

## التصور القوميّ لخطاب عبد الناصر ، وتنامي مفردات الفكر الناصري ، والإضافات الناصرية لمحتوى القومية العربيّة

### تمهيد



كانت الأيام الأولى لجمال عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠)، والأحداث القومية، وسيما قضية فلسطين ، فجرت لديه الاهتمامات العربية ، كذلك أدى انضمامه أيام الدراسة إلى بعض المنظمات الراديكالية: مثل حزب مصر الفتاة بزعامة أحمد حسين (١٩١١ – ١٩٨٢) ، أو الإخوان المسلمين بزعامة حسن البنا (١٩٠٦ – ١٩٤٩) ، أو منظمات شباب الوفد.. وقد أدى أيضًا مشاركته في الأيام الأولى لمراحله الدراسية في الإسكندرية ، ثم القاهرة في المظاهرات الطلابية إلى الاهتمام الفعلي بالقضايا القومية ، وإيجاد تصور قومي للقضايا والمعضلات العربية ، وفهم دائرتها بشكل صحيح..

كما ينضاف إلى ذلك الروافد الثقافية والفكرية ، من خلال قراءات عبد الناصر ، ونهمه الشديد للمعرفة؛ جعلته يتنبه لمدى أهمية التاريخ والجغرافيا السياسية للمنطقة العربية، وكذا الدائرة الملاصقة لها ، وهي الدائرة الأفريقية.. كما أن تجربة عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠) قد أنضجت الرؤية العروبية لديه ، وقد وضح ذلك من خلال كتابه : «فلسفة الثورة» ؛ حيث يقول: « أيمكن أن نتجاهل أن هناك دائرة عربية تحيط بنا ، وأن هذه الدائرة منا ، ونحن منها ، امتزج تاريخنا بتاريخها ، وارتبط مصالحنا بمصالحها حقيقة وفعلًا ، لا مجرد كلام؟ » [(١)].

- **ولسوف ندرس في الأوراق التالية** : التصور القومي ، وخطاب عبد الناصر القومي ، والإضافات القومية والعروبية ، من خلال التجربة ، والتي وسمت القومية العربية من خلال تجربة عبد الناصر بسمات متفردة ، ومدى أهمية هذه الرؤية في دفع حركات التحرر العربي أولًا ، ثم الأفريقي ثانيًا.



(١) جمال عبد الناصر : فلسفة الثورة ، مكتبة مدبولي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥م ، ص ٥٩.

# الفصل الأول

## التصور القومي لخطاب عبد الناصر السياسي وتنامي مفردات الفكر الناصري العربيّ

يبدو من خلال الخطاب الناصري القوميّ بأنه : خطاب تدريجي – كما تذكر مارلين نصر – حيث تعمل في آنٍ واحد عمليات نضوج بطيئة وتحولات نهائية، ويبقى هذا البناء التدريجي للخطاب «الناصري» طوال المسيرة «الناصرية» شديد الارتباط بتجربة تاريخية، وبممارسة سياسيّة تسبقانه، وتحكمان عليه[1].

- فمن بدائه الأمور : أن «الخطاب الناصري» لم يكن خطاب لأحد المنظرين Theorists، أو الأيديولوجيين، الذين يهتمون أولًا ببناء نظرية شاملة ومتكاملة الأطراف والزوايا، ولم نكن – أيضًا – أمام خطاب لأحد المجالدين، الذين تحركهم بنوعٍ خاص الرغبة في الرد على الحجج ودحضها، أو نشر مجموعة من المفاهيم والتصورات الذهنية الرنانة.

- ولكن في حقيقة الأمر، وكما تقول – نصر – في هذا الصدد : أننا «نحن أمام رجل دولة، وقائد قومي، أصبح زعيم الحركة العربية المعاصرة، وخطابه يحاول أن يعبر بشكل مترابط عن طموحات انتفاضة جماهيريّة للشعوب

(1) د. مارلين نصر : التصور القومي العربي عند عبد الناصر، من كتاب مصر والعروبة وثورة يوليو، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٢، ص٥٤.

العربيّة، وعالمها الرمزي ، وعن بروز العرب كعامل تاريخي مستقل[1].

- ونحن نتفق مع فؤاد المرسي خاطر في أن موقف الثورة Revolution من العروبة ، وتبنيها للفكرة القوميّة العربية ، وما قامت به من أدوار في هذا المجال يرتبط بلا شك في أحد أبعاده بشخصية قائد تنظيم الضباط الأحرار ، وزعيم الثورة جمال عبد الناصر (١٣٣٦ – ١٣٩٠هـ – ١٩١٨ – ١٩٧٠م) ، فقد كان يفكر ليس فقط كمصري وطنًا ، وإنما أيضًا كعربي[2].

- فقد بدأ الفكر القومي العربي لدى عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠) في التكوين الفكري قبل عام ١٩٥٢ ، فقد عاصر فترة كبيرة من زمن النصف الأول من القرن العشرين – وكما يذكر خاطر – أنه كانت مرحلته الشبابية والتي تبلور وعيه في فترة الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين تلك الفترة ، والتي شهدت تطور الفكرة العربية في مصر في اتجاه إيجابي متصاعد ومتعاظم ، وكان من الطبيعي ، بل من المتوقع أن يتأثر عبد الناصر ما كان سائدًا في ذلك الوقت من أحداث وآراء وأفكار العديد من الشخصيات الفكرية / السياسيّة ، والتي لعبت دورًا هامًا في نشر الفكرة العربية في مصر ، ومنها على سبيل المثال عزيز علي المصري (١٨٧٩ – ١٩٦٥) ، والذي كان له تأثير مباشر على عبد الناصر ، حيث كان أستاذه في الكلية الحربية ، وكان يمثل لجيل الشباب من العسكريين بأنه مصلح عسكري وثوري قديم معروف بكراهيته للإنجليز .. وكذلك تأثير المفكر القومي المعروف ساطع الحصري (١٨٧٩ – ١٩٦٨) ،

---

(1) د. مارلين نصر : مرجع سابق ذكره ، ص٥٤ .

(2) د. فؤاد المرسي خاطر : حول الفكرة العربية في مصر ، ص١٣٥.

والسياسي مكرم عبيد (١٨٨٩ – ١٩٦١)، وعبد الرحمن عزام وآخرين [١].

– هذا إلى جانب أن الأحداث في فترة الثلاثينيات، وما تلاها من سنوات من نضال من أجل الاستقلال Autonomy، والتخلص من السيطرة الاستعمارية، كان لها أثر كبير في الوعي القومي العربي لدى عبد الناصر، وغرس مفهوم الوحدة العربية في فترة مبكرة من حياته. [٢]

– ففي خطاب له قال عبد الناصر: «الناس اللي بيقولوا إن الشعب المصري مش عربي وأن عروبته كانت مفقودة .. أنا بافتكر وأنا في سنة واحنا في ثانوي لما كان بيحصل حاجة في دمشق أو بيروت كانت المدارس تطلع في مظاهرات وتهتف بالوحدة العربية يحيا العرب» [٣].

– وكانت لقضية فلسطين وأزمتها مكانًا هامًا في فكر جمال عبد الناصر (١٣٣٦ – ١٣٩٠ هـ – ١٩١٨ – ١٩٧٠م)، حيث فجرت فيه الوعي بالعروبة والشعور بالانتماء للأمة العربية في مرحلة مبكرة من حياته، ففي كتاب «فلسفة الثورة» قال عبد الناصر: « وأنا أذكر فيما يتعلق بنفسي أن طلائع الوعي العربيّ بدأت تتسلل إلى تفكيري وأنا طالب في المدرسة الثانوية أخرج مع زملائي في إضراب عام في الثاني من شهر نوفمبر من كل سنة احتجاجًا على وعد بلفور، الذي منحته بريطانيا لليهود، ومنحتهم به وطنًا قوميًا في فلسطين اغتصبته ظلمًا

---

(1) د. فؤاد المرسي خاطر: حول الفكرة العربية في مصر، دراسة في تاريخ الفكر السياسي المصري المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥، ص١٣٦.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر: مرجع سابق ذكره، ص١٣٦.

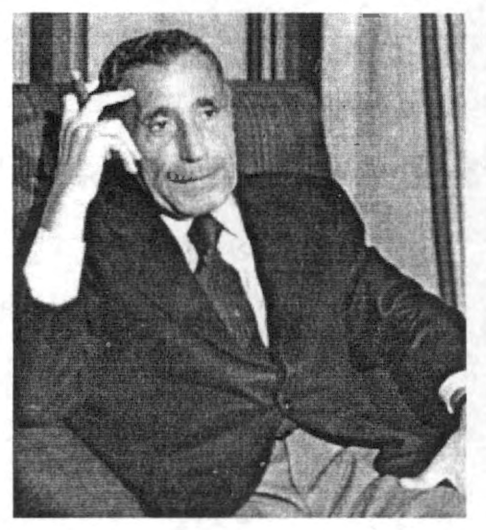
(3) خطاب جمال عبد الناصر بمناسبة العيد الحادي عشر لثورة ٢٣ يوليو في ٢٣/٧/١٩٦٣.

من أصحابه الشرعيين، وحين كنت أسائل نفسي في ذلك الوقت: لماذا أخرج في حماية، ولماذا أغضب لهذه الأرض التي لم أرها؟ لم أكن أجد في نفسي سوى أصداء العاطفة.. ثم بدأ نوع من الفهم يخالج تفكيري حول هذا الموضوع لمّا أصبحت طالبًا في الكلية الحربية أدرس تاريخ حملات فلسطين بصفة خاصة، وأدرس بصفة عامة تاريخ المنطقة وظروفها التي جعلت منها في القرن الأخير فريسة سهلة تتخطفها أنياب مجموعة من الوحوش الجائعة»[(١)].

- ويمكن أن نقول مع بعض الباحثين: إن قضية فلسطين واغتصابها عام ١٩٤٨، قد لعبت دورًا في أن يكون الوعي القومي العربي لدى عبد الناصر نابعًا من فكر موضوعي وقناعة كاملة وليس مقتصرًا على الاستجابة العاطفية، والتي تحركها القضية، وكما حدث له في مرحلته الشبابيّة – كما ذكرنا من قبل – ويتضح هذا الفكر الموضوعي كما ذكر في فلسفة الثورة «ثم بدأ الفهم يتضح وتنكشف الأعمدة التي ترتكز عليها حقائقه لما بدأت أدرس وأنا طالب في كلية أركان الحرب حملة فلسطين ومشاكل البحر المتوسط بالتفصيل.. ولما بدأت أزمة فلسطين كنت مقتنعًا في أعماقي بأن القتال في فلسطين ليس قتالًا في أرض غريبة، وهو ليس انسياقًا وراء عاطفة، وإنما هو واجب يحتمه الدفاع عن النفس!!»[(٢)].

(1) جمال عبد الناصر: فلسفة الثورة، مكتبة مدبولي، القاهرة، طبعة عام ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م (الطبعة الأولى)، ص ٦١، ٦٢.

(2) جمال عبد الناصر: مرجع سابق ذكر، ص٦٢.



- ويؤكد محمد حسنين هيكل على مراحل نمو الوعي القومي واستكماله خلال مراحل عبد الناصر التاريخية ، فيقول في كتابه « ملفات السويس» عن هذه المراحل : «لم يكن البعد العربي في تفكير «جمال عبد الناصر» قد استكمل مراحله بعد عندما تحمل مسؤولية دور رجل مصر القوي ، وأصبح مسؤولًا عن سياستها باعتباره قائد ثورتها الجديدة.. وفي الحق فإن تفكير «جمال عبد الناصر» العربي كان في تلك الفترة يتعرض لدرجات من النمو والنضوج ، ولم يكن قد استقر بعد على قرار... في أول عهده بالتفكير عربيًا ، وهي الفترة التي عمل فيها دارسًا ومدرسًا للتاريخ العسكري والإستراتيجية ، كان اهتمامه «العربي» مركزًا على مقتضيات الدفاع عن مصر ، وكان متأثرًا بخط الجنرال اللنبي ، الذي قاد معارك الحلفاء ضد الألمان والعثمانيين والشرق الأوسط إبان الحرب العالمية الثانية.. وبالتالي فإنه في هذه المرحلة من تفكيره ، لم يكن ينزع إلى وحدة الانتماء والمصير ، وإنما إلى رابطة الدفاع فحسب.. وفي مرحلة لاحقة ، وعندما أصبح « جمال عبد الناصر» ضابطًا مقاتلًا في فلسطين باعتباره ضابط أركان فرقة المشاة السادسة في الجيش المصري ، بدأ يستوعب حقائق جديدة .. وكانت هذه الحقائق تلح عليه كل يوم عندما حُوصرت الكتيبة السادسة ضمن القوات المصرية ، التي عزلتها القوات الإسرائيلية في جيب الفالوجة.. وفي هذا المناخ التقى «جمال عبد الناصر»

بكثيرين من ضباط الجيش الأردني، والجيش العراقي أحيانًا، كما أنه بطبيعة الحال كان يعيش وسط قرى فلسطينية، ويلتقي أحيانًا بكثيرين من المناضلين الفلسطينيين، وكان عقله مفتوحًا وقلبه، وأعطته ظروف الحصار فرصًا للتأمل والتفكير، ولقد عاد من فلسطين بعد الحرب بشعور من المرارة شديد، لكنه عاد، ومعه بداية إحساس بالانتماء، وبأن العرب جميعًا يخوضون معركة واحدة.. وفي السنوات اللاحقة لحرب فلسطين عام ١٩٥٠، ١٩٥١ كان «جمال عبد الناصر»، شديد الاهتمام بما يجري في بقية العالم العربي[١].

– ويذكر جورج فوشيه أن حركة الضباط الأحرار فقدت الكثيرين من أعضائها الذين سقطوا في ساحة الشرف غير أنّ التجربة المرة للهزيمة (في عام ١٩٤٨) أقنعت الطبقة المختارة في الجيش بأنه إذا أريد لمصر أن تصبح قوية يجب تغيير الأوضاع القائمة فيها من أساسها[٢].

– وبعد عودة القوات المسلحة إلى مصر التقى الصاغ كمال الدين حُسين وجمال عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠) في معسكر العريش، وروى له الكلمات الأخيرة التي فاه بها صديقهما المشترك أحمد عبد العزيز (١٩٠٧ –١٩٤٨) في بيت لحم قبل أن يركب إلى جانب صلاح سالم (١٩٢٠ – ١٩٦٢) التي لقى فيها مصرعه على طريق عراق المنشية إذ قال له: «اسمع يا كمال.. إن ميدان الجهاد الحقيقي ليس هنا..إنما هو في مصر.. فهناك ميدان الجهاد الأكبر، وفكر جمال

(1) محمد حسنين هيكل: ملفات السويس حرب الثلاثين سنة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، مؤسسة الأهرام بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦م، ص١٩٦، ١٩٧.

(2) جورج فوشيه: جمال عبد الناصر ورجاله، رفاق الكفاح في سنوات المواجهة، كنوز للنشر والتوزيع، دراسة وتقديم د. الحسيني الحسيني معدّي، طبعة ٢٠٠٨، ص٢٤٧.

مرارًا بهذه الكلمات ، وقرر مع أصدقائه إعادة تنظيم صفوف الضباط الأحرار»[1].

- وكما أشرنا من قبل إننا نتفق في هذا الصدد مع العديد من الباحثين في أن قضية فلسطين كان لها تأثير كبير على بؤرة الوعي القومي العربي عند جمال عبد الناصر ، ويتضح فيها إدراكه التام لأبعاد هذه القضية ، والذي تحول من اهتمام تقضي به العاطفة ، إلى إدراك عقلي واعي للقضية الفلسطينية ، وتأثيرها على مصر ، خاصة في الفترة والتي كان فيها مجربًا بحق مرارة الحرب في فلسطين ، والتي قال فيها: «إن نطاق سلامتنا يقضي علينا أن ندافع عن حدود إخواننا ، الذين شاءت لنا أحكام القدر أن نعيش معهم في منطقة واحدة»[2].

- وقد مرت مصر بأحداثٍ جسام عمقت من الفكرة العربية داخل الكيان المصري ، وجعلت من زعامة جمال عبد الناصر (١٣٣٦ هـ - ١٣٩٠ م - ١٩١٨ هـ - ١٩٧٠م) زعامة قومية عُروبية ورمزًا معبرًا عن الطموحات الجماهيرية من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي ، فقد كانت مقاومة الثورة المصرية وزعيمها لحلف بغداد، والتي كانت نواته في الثاني عشر من يناير عام ١٩٥٥ تعبيرًا عن رفض مصر لارتهان الوطن العربي للتبعية الاستعمارية البغيضة ، وكذا جاء مشاركة مصر ودورها الفاعل في مؤتمر باندونج في نفس العام ، وما قام به عبد الناصر من دور بارز في تدعيم هذا المؤتمر، والذي بدوره تعامل مع عبد الناصر كزعيم عربي أكثر منه مجرد زعيم مصر[3].

---

(1) جورج فوشيه: جمال عبد الناصر ورفاقه ، كنوز للنشر ، عام ٢٠٠٨ ، ص٢٤٧.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر: حول الفكرة العربية في مصر ، ص١٣٨.

(3) د. فؤاد المرسي خاطر: مرجع سابق ذكره ، ص١٤٤.

- وما لبثت الأمور أنّ تقدمت خطوة أخرى دفعت مصر ، ودعمت مكانتها في العالم العربي Arab World وهو ما حدث في السابع والعشرين من سبتمبر ١٩٥٥ ؛ حيث وقعت مصر اتفاقية مع تشيكوسلوفاكيا لتوريد الأسلحة لمصر ، وكان هذا اتفاقًا تاريخيًا في العالم العربي ، واعتبر انتصارًا كبيرًا لعبد الناصر على مستوى العالم العربي Arab World .

- كما كانت الغارة الإسرائيلية على قطاع غزة في فبراير ١٩٥٥ حدثًا آخر ضمن الأحداث التي شهدها عام ١٩٥٥ ، والتي قادت جميعها إلى أن تتفاعل مصر تفاعلًا كاملًا مع قضايا الأمة العربية[1] .

- أما حرب ١٩٥٦ فهي نقطة التحول الفعلية في توجه مصر القومي .

- كما يرى محسن خضر ، ونحن نوافقه في ذلك – فهذه الحرب الضروس والعدوان الثلاثي (من إسرائيل – فرنسا – إنجلترا) على مصر ، لم تتوج فقط زعامة جمال عبد الناصر القومية أو أرخت بداية مشروعه القومي العربيّ فحسب، بل أنها على وجه القطع حسمت قضية عروبة مصر ، ودورها القومي العربيّ، فقد اكتشف جمال عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠) من خلال أحداث ونتائج حرب ١٩٥٦ الأبعاد الواسعة والعميقة للنضال العربي الواحد ، والذي تجلى بشكل غير مسبوق في مساندة العرب لمصر في تلك الحرب War .. ومن بين نتائج الحرب إفرازها القيادة القوميّة البارزة لعبد الناصر ، والتي ساهمت الجماهير العربية بحماسها الضخم في صناعة قيادته الكاريزمية Charisma ،

(1) د. فؤاد المرسي خاطر : حول الفكرة العربية في مصر ، دراسة في تاريخ الفكر السياسي المصري المعاصر – الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥، ص١٥٢.

وأدى ذلك إلى اتساع نطاق المفهوم الوطني، وامتداده بعمق كبير ليلتحم بالمفهوم القومي العربي في الشخصية المصرية وبلورتها لمضامينها .. ومن ذلك الوقت أصبحت الأمة العربية لا تغني إلاّ لقائد واحد حتى لو استمتعت لعشرات من منافسيه[1].

- وما كان من ثورة يوليو ١٩٥٢ إلا أن تعلن عروبة مصر رسميًا، فكان الدستور المصري في السادس عشر من يناير ١٩٥٦ وثيقة رسمية تؤكد انتماء مصر العربي، حيث نصت المادة الأولى من الدستور على أن مصر دولة عربية ذات سيادة وهي جمهورية ديمقراطية والشعب المصري جزء من الأمة العربية[2].

وبذلك – وكما يقول فؤاد المرسي خاطر – تقنن دور مصر الجديد في العالم العربي بواسطة جمال عبد الناصر زعيم الثورة المصرية، حيث أنه لأول مرة في تاريخ مصر الحديث تعلن المادة الأولى من الدستور Constitution عروبة مصر، وكانت مصر بذلك ثاني دولة عربية تدخل ما يعلن عن عروبتها في دستورها بعد دولة سوريا العربية[3].

---

(1) د. محسن خضر : الاتجاه القومي العربي في التعليم المصري، ص٤١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ١٩٩٢.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر : حول الفكرة العربية في مصر، ص١٥٣.

(3) د. فؤاد المرسي خاطر : مرجع سابق ذكره، ص١٥٤.

# الفصل الثاني

## الإضافات الناصرية لمفهوم القومية العربية وسماتها المميزة «تثوير القومية العربية»

مما لا شك فيه أن عبد الناصر بزعامته الكاريزمية أضاف عدة مضامين جديدة للمفهوم القومي ، وللقومية العربية ، وفكرة الوحدة العربية يمكن طرحها في التالي:-

## ١

### المحتوى الثوري للقومية العربية

كان لثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ بزعامة قائدها ومفجرها دورًا كبيرًا في تثوير مفهوم القومية العربية باعتبارها ثورة شاملة تجاه أوضاع التخلف Under- Development والظلم الاجتماعي والاستعمار Colonialism ، ومن أجل التنمية Development والديمقراطية Democracy فقد استطاع جمال عبد الناصر تحويل الاتجاه القومي من مجرد عاطفة تجيش في الصدور ومشاعر فياضة لها طابع عاطفي إلى ثورة مستمرة لا تتوقف عن حدود الدعوة السياسية ؛ لأنه جعلها مرتبطة دائمة بتصفية الوحدة العربية ، والتقاء الشعوب

العربية عليها[١].

– فمن المعروف أن الدعوات الوحدويّة والدعوة القومية في القلب منها تتميز في الفترة التي سبقت العهد الناصري بأنها كانت أسيرة لشعارات عاطفية براقة تعتمد في الأساس على إثارة الأمجاد القديمة للعرب وانتصاراتها «الباهرة» دون تحليل موضوعي لواقع المجتمع العربيّ ومشاكله.. ومن هنا كانت الدعوة قاصرة على المطالبة بالاستقلال من الناحية السياسيّة فقط ، وكانت هذه الدعوة رغم مطالبتها بالاستقلال الوطني National Autonomy أسيرة للسيطرة الاستعمارية والهيمنة الإمبريالية ابتداء من الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ ، التي قامت بدعم من بريطانيا (العظمى) وتأييدها مرورًا بإقامة مملكة العراق والأردن ، وتبني الدعوى لإقامة الجامعة العربية[٢]، والتي أنشئت بالفعل عام ١٩٤٥ برعاية بريطانية – كما يؤكد العديد من الباحثين العرب – حيث هدفت بريطانيا – من وراء ذلك إلى خلق نظام إقليمي متماسك تحت سيطرتها «مباشرة» بعد الحرب العالمية الثانية ، أي إن الهدف من إنشائها – برعاية استعماريّة – هو وأد وإجهاض الفكرة القومية الوحدوية ذاتها واحتوائها واستيعابها ضمن تقنينها الإقليمي ، وتكريس حماية التجزئة الاستعمارية للبلاد

(1) د. محسن خضر: الاتجاه القومي العربي في التعليم المصري – الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢، ص٤٦.

(2) محمد السعيد إبراهيم : الرؤية الناصرية للوحدة العربية في كتاب الحرية والديمقراطية وعروبة مصر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت/ لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ ، ص٢٠٦.

العربية[1].

- ومن ثمّ .. كانت مقومات الدعوة الوحدويّة في نظر عبد الناصر مختلفة عن سابقتها فهي دعوة حضارّية ، وإن الوحدة قضية تغيير اجتماعي سياسي ، وأن الوحدة عملية ثورية شاملة.

فالوحدة العربية إذن – وكما يؤكدها نضال الشعب العربي من أجلها – هي عملية ثورة شاملة تحدث كافة التغييرات المطلوبة في أبنية المجتمع العربي وهياكله السياسيّة والاقتصادية والاجتماعية ، لإقامة المجتمع الوحدوي ، الذي يرتكز على دعامتي الديمقراطية Democracy والاشتراكية Socialism [2].

(١) عبد الإله بلقزيز: الوحدة العربية اليوتوبيا والواقع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، عام ١٩٩١، ص٣٤.

(٢) محمد السعيد إبراهيم: مرجع سابق ذكره ، ص٢٠٦.

# ٢
## المحتوى الاجتماعي للقومية العربيّة

لعل الاتهام الأكبر للقوميّة من خلال الممارسة الناصريّة – عدا تجسيدها في دولة الوحدة – هو إضفاء البعد الاجتماعي على الاتجاه القومي ، فلم تعد حركة سياسيّة وفقط بل أصبحت معنية بتغيير وبناء المجتمع وبحاجات الجماهير .. إن الحركة القومية في الخطاب الناصري تتضمن ثلاثة أبعاد: ثورة قوميّة .. من أجل الوحدة.. وثورة وطنية من أجل الاستقلال Autonomy ، وثورة اجتماعية من أجل العدالة والاشتراكية Socialism[١].



– وكانت رؤية عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠) دائمًا تؤكد على أن أمل الوحدة بين شعوب الأمة العربيّة ، لا يمكن أن يتحقق إلا إذا سبقته وتأكدت فعله آمال أخرى تفتح له الطريق ، وتمكن له ، وتخلق أنسب الظروف والملائمة له ، ولخص عبد الناصر هذه الآمال التي يجب أن تسبق قيام الوحدة في ركيزتين هما :

**أولًا: مطلب الحريّة السياسيّة** الذي يجب أن يسبق ويتأكد في كل بلد عربي ، قبل أن يصبح أمل الوحدة العربية مطروحًا.

**وثانيًا مطلب الحرية الاجتماعية**.. وهو يعني بالنسبة لأي شعب ، إنه يستطيع أنّ يقرر لنفسه ، وأن يسود مصيره[٢].

---

(1) د. محسن خضر: الاتجاه القومي العربي في التعليم المصري ، ص٤٧.

(2) محمد السعيد إبراهيم : الرؤية الناصرية للوحدة العربية ، ص٢٠٤.

# ٣
# المحتوى التحرري للقوميّة العربيّة

نظر جمال عبد الناصر (١٣٣٦ – ١٣٩٠ هـ – ١٩١٨ – ١٩٧٠م) إلى القومية العربيّة ضمن أطر ثلاثة تحريرية السمة : وطنية وقومية وإنسانية.. والقومية العربيّة بالنسبة لعبد الناصر معادية بالدرجة الأولى للاستعمار Colonialism والصهيونية Zionism وتمثل مفهوم الاستقلال عند عبد الناصر في ثلاثة مستويات.. وكان نضال عبد الناصر على المستويات الثلاثة نضالًا متداخلًا ومتماسكًا فكل مستوى عبر المستويين الآخرين بالتغذية الدافقة لحركته.. فأعداء القومية العربية في المفهوم الناصري ثالوث الاستعمار والرجعية العربية والصهيونية Zionism [١].

– فقد أدركت ثورة يوليو ١٩٥٢ بزعامة ناصر ، ومنذ قيامها أهمية توحيد النضال العربي من أجل تقرير القومية ، وتحقق وحدة العرب ، وكان عبد الناصر يرى ضرورة الوصول إلى جبهة عربية موحدة تقوم خطتها على حمل الأمة العربية على أن تدرك مدى قوتها وطاقتها وإمكاناتها .

– وحلل عبد الناصر القوة العربيّة فوجد أنها تكمن في ثلاثة عناصر بارزة يراها – فؤاد المرسي خاطر ، ونحن نتفق معه فيها – على هذا النحو :–

(١) د. محسن خضر : الاتجاه القومي العربيّ في التعليم المصري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ١٩٩٢، ص٤٨.

١- أن العرب يؤلفون أمة واحدة لها خصائص ومقومات وحضارة Civilization انبعثت داخلها الأديان السماوية «اليهودية/ المسيحية/ الإسلام»، ولا يمكن إغفالها في أي بناء فكري أو سياسي[١].

٢- الموقع الإستراتيجي للعالم العربي، وهو ملتقى طرق العالم، ويصل بين القارات الثلاث: أوروبا، وأفريقيا، وآسيا، وله خصوصية إستراتيجية في الموقع، والتباينات التضاريسية[٢].

٣- امتلاك القوة العربيّة للطاقة البترولية، وهو بذلك يجعل العالم العربي Arab World أول قوة اقتصادية - بترولية، ويحصل أيضًا - هذه الطاقة النفطية - كأحد الثوابت في الخصوصية الإستراتيجية العربية، على الرغم من إمكانية تعرض الاحتياطي من البترول للنفاد، أو الاستبدال بمصدر طاقة آخر في الاستعمال اليومي والصناعي الواسعين كالطاقة الشمسية أو الطاقة النووية.

- وقد ارتبط نضال عبد الناصر (١٩١٨-١٩٧٠م) القومي على الساحة العلمية بمنظور مفاهيم القومية .. فقد مر تطور عبد الناصر من قضية الوحدة العربية بعدة مراحل متداخلة، قد أوضحها عبد الناصر من خلال خطاباته، فكانت وحدة الصف العربي من عام ١٩٥٢ وحتى عام ١٩٥٦، ومرحلة وحدة الهدف قبل وحدة الصف، وذلك من عام ١٩٥٧ - ١٩٦٣، ومرحلة ما بعد الانفصال ١٩٦٢ - ١٩٧٠.

---

(1) فؤاد المرسي خاطر: حول الفكرة العربية في مصر، ص١٩٦.

(2) د. علاء طاهر: الخصوصية الإستراتيجية للعالم العربي، الهيئة المصرية للكتاب عام ١٩٩٢، ص٣٥، وأيضا فؤاد المرسي خاطر في كتابه: حول الفكرة العربية في مصر، ص١٩٦.

- ومما لا شك فيه أن تجربة الانفصال عن سوريا عام ١٩٦١ كانت بارزة في إدراك عبد الناصر لمفهوم القومية العربية والوحدة، خصوصًا فيما يتعلق بتحديد إعداد الوحدة العربية، وبدأ يعي للخطر المحدق، والذي تشكله الرجعية العربية، إلى جانب الاستعمار Colonialism والصهيونية Zionism، ونقله هذا إلى وحدة الهدف بدلًا من وحدة الصف العربيّ.. فالوسيلة لا تنفصل عن الهدف والتضامن المرحلي ليس عوضًا أو بديلًا عن الاتفاق الغائي .. وترتب على ذلك التحول بأن تم تقسيم عبد الناصر للعالم العربي Arab World إلى قوى ثوريّة، وقوى رجعية، الأولى صاحبة المصلحة في تحقيق أهداف الحرية والاشتراكية والوحدة، والثانية معادية لتلك الأهداف[1].

(١) د. محسن خضر: الاتجاه القومي العربي في التعليم المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ١٩٩٢، ص٥٢.

# الباب الثاني

## عبد الناصر وحركات التحرر العربيّ

## ودوره في تدعيم الثورات ومناصرة القضايا العربية

## ومناهضة الاستعمار

## تمهيد مطلوب

ومما لا شك فيه أن قضية فلسطين كانت لها مكانة هامة وموضع خاص في فكر جمال عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠)، وثقافته الفكرية الوحدوية.. فقد فجرت عنده الوعي بالعروبة، والشعور المتدفق بالانتماء للأمة العربية الواحدة في مرحلة مبكرة في حياته، ويبدو ذلك واضحًا في كتابه: «فلسفة الثورة»، كما أسلفنا من قبل.. كما أن حصاره في جيب الفالوجا، وفي مناخ هذا الحصار الشديد، وأجواء حرب ١٩٤٨ ألتقى عبد الناصر مع العديد من الضباط العراقيين والأردنيين، وتعايش مع القرى الفلسطينية وأهليها القريبة منه أثناء المعارك والحصار.

– وبعد أن عاد – بعد الحصار – والتأمل بشأنه انتابه شعور بالمرارة شديد ومضض، وإحساس بالانتماء بأن العرب يخوضون معركة واحدة.. وواضح من استقراء ومتابعة حركات حياته أن عبد الناصر كان يدرك أبعاد القضية منذ وقت مبكر.. فقد كان لثورة ٢٣ يوليو – أيضًا – اهتمام خاص بقضية فلسطين، والتي كانت أحد المجالات المهمة، والتي مارست فيها مصر عروبتها بشكل واضح، وإذا كانت فلسطين قد احتلت مكانًا خاصًا في فكر القيادة، فإنها بلورت لديها وعيًا «مبكرًا» بالعلاقة العضوية بين أمن مصر والأمن القومي العربي بصفة عامة(١).

– ويقول محمد حسنين هيكل في حقيقة دور مصر: «وعندما أخذت مصر

---

(١) د. فؤاد المرسي خاطر: حول الفكرة العربية في مصر، ص٢٠٨.

دورًا رئيسيًا في هذا الصراع ، فإن ذلك لم يكن تطوعًا بالخير ، وإنما كان ضرورة تمليها الحقائق التاريخية والإستراتيجية وأسباب القوة باختلاف أنواعها ، والتماسك الاجتماعي لكتلة إنسانية حية تدرك أهمية موضوعها وموقعها ، حتى وإن كان إدراكها – أحيانًا – بالحدس أكثر من اليقين»[1].

– وفي الأوراق التالية سوف نناقش دور عبد الناصر في مساندة حركات التحرر العربي والثورات في العالم العربي ، وأيضًا مناصرته للقضايا العربية ، ومناهضة الاستعمار ، ومحاولاته الدؤوبة لتصفيته من خلال قيامه بهذه الأدوار الهامة في مساندة وتدعيم حركات التحرير وتفجير الثورات العربية على أرض الوطن العربي.



(1) محمد حسنين هيكل: سلام الأوهام أوسلو ما قبلها وما بعدها ، الكتاب الثالث من المفاوضات السرّية بين العرب وإسرائيل ، دار الشروق ، الطبعة الثالثة ، ١٠ نوفمبر ، ١٩٩٦ ، ص١٥.

# الفصل الأول

# عبد الناصر وحركات التحرر العربي ومساندة الثورات العربية

## ١

## عبد الناصر ومنظمة التحرير الفلسطينية

في مؤتمر القمة العربي «الأول»، والذي عقد بالقاهرة في شهر يناير ١٩٦٤ تقدمت مصر (عبد الناصر) باقتراح إنشاء كيان فلسطيني مستقل عن الأقطار العربية وأنظمتها الحاكمة باسم: «منظمة تحرير فلسطين»، وكان الاسم الذي وقع عليه المؤتمر، ووافق على اختياره لرئاسة «المنظمة» هو أحمد الشقيري، والذي كان شخصية معروفة – كما يذكر هيكل – بحكم أنه كان سفيرًا في مرحلة من المراحل لدولتي سوريا والسعودية لدى الأمم المتحدة[1].

– وكان في فترة الستينيات من القرن العشرين – وقبل وبعد – إنشاء منظمة التحرير برئاسة الشقيري ظهرت في المحيط العربيّ الفلسطيني داخل الأراضي

(١) محمد حسنين هيكل: سلام الأوهام أوسلو ما قبلها وما بعدها، ص١٦، الكتاب الثالث من كتاب المناقضات السريّة بين العرب وإسرائيل، دار الشرق، الطبعة الثالثة، نوفمبر، ١٩٩٦.

المحتلة وخارجها مجموعة من التنظيمات الشعبية الفلسطينية ، أخذت بمذهب القتال المسلح؛ لإنقاذ وتحرير أرض فلسطين من مغتصبيها ، وكانت حركة «فتح» من أشهر هذه التنظيمات على الساحة الفلسطينية[١].

- وكان أبرز مجموعة فتح الشبابية ، والتي أنشأت نواة «فتح» بدولة الكويت: ياسر عرفات ( ١٩٢٩ - ٢٠٠٤ ) (مهندس) ، وصلاح خلف (مدرس رياضيات) ، وخالد الحسن ( وكيل شركة للأدوات الكهربائية بدولة الكويت) ، وخليل الوزير ( مدرس علوم) ، وفاروق قدومي (مدرس رياضيات) ، وكان هناك آخرون من نفس النوع ، ونفس المحيط ، واستطاع هؤلاء الشباب أن يشدوا إلى جوارهم ويجذبوا مجموعة من الشباب المتحمس لتحرير الأرض الفلسطينية «المغتصبة» ؛ حيث قرروا إنشاء ما أسموه : «حركة تحرير فلسطين» ، والذي تم اختصارها إلى حتف ، ثم إلى فتح ؛ حيث تصوروا أن ذلك يعطي للحروف المختصرة معنى معبأ بالإيحاءات باللغة العربية[٢].



- وكانت الجذور الأولى لحركة التحرير الفلسطيني «فتح» - كما يذكر العديد من الباحثين - في شهر أكتوبر ١٩٥٧م إثر العدوان الثلاثي (إسرائيل - فرنسا - إنجلترا) على مصر عام ١٩٥٦ ، واحتلال إسرائيل لقطاع غزة إذ اقتنع

(1) محمد حسنين هيكل: مرجع سابق ذكره ، ص١٦.

(2) محمد حسنين هيكل: مرجع سابق ذكره ، ص١٧.

الفلسطينيون وأيقنوا أهمية الاعتماد على أنفسهم في مقاومة إسرائيل «الصهيونية».. وظلت الحركة تعمل سرًا حتى عام ١٩٦٥ ، حين أذيع أن ياسر عرفات هو الناطق الإعلامي للحركة.. وكانت بداية الحركة «فتح» عبر تأسيس خلايا «سريّة» في الخمسينيات ، وبداية الستينيات من القرن العشرين في سوريا ولبنان والأردن ودول الخليج العربي ؛ حيث يعمل الفلسطينيون[١].

- ويمكن القول مع بعض الباحثين بأن مكتب التأسيس في دولة الكويت كان الأقوى تأثيرًا في حركة التنظيم ومستوى الأداء ؛ حيث كان يصدر نشرة «شبه دورية» من دولة لبنان تسمى باسم «فلسطيننا» ، والتي استمرت في الصدور والنشر من نوفمبر ١٩٥٩ وحتى نوفمبر ١٩٦٤ بإشراف مجموعة الحركة القاطنين بالكويت ، وكان الإمضاء والتوقيع على النشرة بعكس حروف «حتف» أي: الموت ، في إشارة لمعنى التضحية والفداء ، فكان المكتوب: «ف. ت. ح» ، واتخذت النشرة خطًا واضحًا منذ بداية ظهورها ، فأعلنت استقلاليتها «الشاملة» عن كل الأنظمة العربيّة ، ورفض أي عمل من أعمال الوصايا العربية على الشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة ، نافية أن يكون الكيان الخاص شرذمة للعمل العربي ، ومؤكدة أنه مقصود به تعبئة وشحن لشعب فلسطين المشتت بين أرجاء الوطن العربي[٢].

- وقد التقى جمال عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠) بقيادة فتح بعد حرب

---

(1) عبير ياسين ومحمد جمعة : منظمة فتح ومنظور التسوية السلمية في كتاب الفصائل الفلسطينية من النشأة إلى حوارات الهدنة ( المحرر صبحي عسيلة) ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية ، الأهرام، القاهرة ، طبعة عام ٢٠٠٥ ، ص١٤.

(2) عبير ياسين ومحمد جمعة : مرجع سابق ذكره ، ص ١٤ ، ١٥ .

يونيو ١٩٦٧ ، بعد أن اشتركت مع بعض القيادات العربية – كما يذكر هيكل – في حرب التوريط ، وقد وعدهم «عبد الناصر» بتقديم كل المساعدات الممكنة لـ «فتح» في مقابل مطلب واحد ، وهو أن تنطلق رصاصة واحدة كل يوم في الأراضي المحتلة ، بحيث يسمع صوتها ويذيع خبرها[1].

– ولم يكتف عبد الناصر بتدعيم منظمة تحرير فلسطين عسكريًا ، وإنما أيضًا قيامه بمحاولات رأب الصدع الفلسطيني ، والذي انهار في دورة المؤتمر الفلسطيني المنعقد في القاهرة في شهر ديسمبر ١٩٦٧ في مبنى الجامعة العربية ، والذي في أثره قدم أحمد الشقيري استقالته .. بل نجح عبد الناصر في تقديم منظمة التحرير الفلسطيني للمجتمع الدولي ؛ لكي تكتسب الشرعية Legality وقبول الرأي العام ؛ لكي تكون حركة تحرر وطني.

– وقد بدأ عبد الناصر بالاتحاد السوفيتي في عام ١٩٦٨ ؛ حيث اصطحب معه ياسر عرفات ( بعد أن تولى شأن المنظمة ) ، ورغم اعتراض القيادة السوفيتية، إلا أنه وبعد تدخل عبد الناصر لدى القيادة السوفيتية نجح في تقديم العون العسكري لـ «فتح» ، والتعامل مع عرفات ورفاقه[2].

– كما كان لمصر ( في عهد عبد الناصر ) دور بارز ومستمر في عرض القضية الفلسطينية أمام المحافل الدولية ، ولدى المنابر العالمية ؛ حيث أيدت على الدوام حقوق الشعب الفلسطيني ، وحثت المجتمع الدولي على القيام بدوره في حل القضية الفلسطينية ، فطرحت القضية من خلال حركة عدم الانحياز ، والذي

(1) محمد حسنين هيكل : سلام الأوهام ، الكتاب الثالث ، ص١٩.

(2) محمد حسنين هيكل: مرجع سابق ذكره ، ص٢٣.

كان عبد الناصر أحد مؤسسيها ، فكان ضمن مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ تأييد حقوق الشعب الفلسطيني ، ودعوة المجتمع الدولي ؛ لتطبيق قرارات الأمم المتحدة بشأن اللاجئين الفلسطينيين[١].

- وأمام الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة قال عبد الناصر في خطابه في سبتمبر ١٩٦٠ : ((لابد أن تتحمل الأمم المتحدة مسؤوليتها تجاه فلسطين وشعبها العربي ، تلك أبسط حقوق ذلك الشعب الباسل ، الذي يواجه في القرن العشرين محنة لم نسمع بمثلها في أظلم عصور التاريخ ، وذلك هو الحل الوحيد لمشكلة اللاجئين من أبناء هذا الشعب ، وأن الأمم المتحدة هنا تعلم من سوء أحوالهم ما يكفي لرسم صورة محزنة للظلام ، الذي يحيط بمليون من البشر ، طردوا من أوطانهم وديارهم ، وسلبوا كل ما كان يملكون ، بل كل حياتهم))[٢].

- ومع احتلال إسرائيل (الصهيونية) لأراضي دول عربيّة إثر عدوان ٥ يونيو/ حزيران ١٩٦٧ ، وبضمها اغتصابًا أراضي مصر الدولة العربية الأفريقية الكبيرة – كما يذكر محمد رشاد شريف – وانكشاف الطبيعة التوسعية العدوانية للكيان الصهيوني ، وارتباطه بالإستراتيجيات الإمبريالية على الصعد الإقليمية والدولية ، والدور التخريبي الذي يلعبه الكيان الصهيوني في القارة الأفريقية،

(1) د. فؤاد المرسي خاطر : الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، في كتاب «أربعون عامًا على ثورة يوليو ، دراسة تاريخية» ( تحرير د. رءوف عباس حامد) ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية ، الأهرام ، يوليو ، ١٩٩٢ ، ص٢١١.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ص٢١١.

وصلاته الوثيقة العنصرية في جنوب أفريقيا وروديسيا (زيمبابوي حاليًا)، وتصاعد وتعاظم التأييد الأفريقي للقضايا العربية، وللقضية الفلسطينية على وجه الخصوص.

- وقد برز ذلك واضحًا في إدراج منظمة الوحدة الأفريقية O.A.U لقضية الشرق الأوسط Middle East - لأول مرة - على جدول أعمال مؤتمرها، الذي تم انعقاده عام ١٩٦٩، وتأكيدها التضامن مع مصر والدول العربية في سعيها لتحرير الأرض العربية «المحتلة»، وهو ما عادت وأكدته ثانية في مؤتمرها التالي في عام ١٩٦٩، وتأكيدها التضامن مع مصر والدول العربية في سعيها لتحرير الأرض العربية «المحتلة»، وهو ما عادت وأكدته ثانية في مؤتمرها التالي في عام ١٩٧٠[١].

- كما ساعدت مصر بقوة الفلسطينيين على إقامة تنظيماتهم الأخرى لتدعيم الكيان الفلسطيني مثل الاتحاد العام لطلاب فلسطين، والاتحاد العام لعمال فلسطين، والاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، والاتحاد العام لكتاب فلسطين،

(١) وقد وصل التضامن الأفريقي مع القضية العربية ذروته، حين اتخذت منظمة الوحدة الإفريقية OAU قرارها التاريخي في ٢١/١١/١٩٧٣، والذي دعت فيه أعضاء المنظمة إلى «فرض حظر اقتصادي كامل على إسرائيل والبرتغال وجنوب أفريقيا وروديسيا، وإلى إقامة علاقات وثيقة بين أعضاء منظمة الوحدة الأفريقية، وجامعة الدول العربية»... وجاء عقد اتفاق كامب ديفيد بين مصر والكيان الصهيوني عام ١٩٧٩ والتعثر الذي أصاب التعاون العربي الأفريقي منذ عام ١٩٧٦؛ ليعيد الحياة إلى شرايين العلاقات الأفريقية الإسرائيلية المقطوعة!!! انظر دراسة محمد رشاد شريف بعنوان: «الموقف الأفريقي من القضايا العربية قضيتا فلسطين ولوكربي (نموذجًا) بمجلة معلومات دولية العدد ٦١ صيف ١٩٩٩ - تصدر عن مركز المعلومات القومي في الجمهورية العربية السورية، ص ٥٤، ٥٥.

وهي الاتحادات والتي أرادت منظمة التحرير الفلسطينية – كما يذهب فؤاد المرسي خاطر – أن تنظم من خلالها الطوائف الفلسطينية رغبة منها في توحيد الهدف المحدد، وهو التحرير «وفي كل هذا كانت القاهرة تفتح صدرها لهذه التنظيمات أو الفروع المنبثقة منها»[1].

– وقد انزلقت حركة فتح مع الفصائل الفلسطينية الأخرى إلى نشوء أزمة Crisis، وإحداث معضلة، بسبب قبول مصر (عبد الناصر) مبادرة روجرز، والتي كانت تطلب وقف حرب الاستنزاف بين مصر وإسرائيل لمدة تسعين يومًا، وتنشيط مهمة الأمم المتحدة UN للوصول إلى حل على أساس قرار مجلس الأمن ٢٤٢ الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧، والذي نص صراحة على كل دولة State من كل دول المنطقة العيش داخل حدود آمنة ومعترف بها من جانب كل الدول الأخرى، وأكد على أن إنجاز ميثاق الأمم المتحدة يتطلب إنشاء سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط Middle East، ويجب أن يتضمن ذلك تطبيق المبادئ التالية:-

١ – انسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية من الأراضي المحتلة في حربها في ٥ يونيو / حزيران عام ١٩٦٧.

٢ – إنهاء حالة الحرب War، والاعتراف بسيادة واستقلال أراضي كل دول المنطقة، وبحقها في العيش بسلام في حدودٍ آمنة، ومعترف بها، ومتحررة من

---

(1) فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب أربعون عامًا على ثورة يوليو، دراسة تاريخية (تحرير د. رءوف عباس حامد)، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، يوليو ١٩٩٢، ص٢١٣.

التهديد بالعنف.

٣- إجراء اتصالات مع الدول المعنية من أجل الوصول إلى اتفاق، والمساعدة في سبيل تحقيق تسوية عادلة ومقبولة استنادًا إلى بنود ومبادئ هذا القرار[١].

- وكان جمال عبد الناصر قد رأى قبول هذه المبادرة، وفي حسابه وتصوراته السياسيّة أنها تعطيه فرصة معقولة لإكمال حائط الصواريخ.. ومن ثمّ.. وكما يقول محمد حسنين هيكل: «تعطيه فرصة أكثر كفاءة لعمليات أوسع في القتال والحرب جرى التخطيط والإعداد لها، لكن فصائل المقاومة الفلسطينية جميعًا بما فيها منظمة فتح عارضت ذلك، وأخذت معارضتها إلى بعيد في التجاوز وشطط؛ حيث اعتبرت إذاعة فلسطين «في القاهرة» أن قبول مصر لمبادرة روجرز هو إعلان بالتخلي عن الحرب المسلحة !!!»[٢].

- ومع ذلك، وفي مجمل الأحداث كان التأييد الكامل من عبد الناصر «المادي - العسكري» لحركة المقاومة الفلسطينية، كما تم افتتاح إذاعة جديدة باسم «صوت العاصفة» الجناح العسكري لمنظمة فتح.

- وكان آخر مؤتمر عربي حضره عبد الناصر هو مؤتمر القاهرة، عندما

(1) اللواء أ. ح. د زكريا حسين: القضية الفلسطينية إلى أين؟ المواجهة العربية، الإسرائيلية بين الحرب والسلام عبر أكثر من نصف قرن، دار الهلال، ٢٠٠٥، ص١٢١.
(2) محمد حسنين هيكل: سلام الأوهام أوسلو ما قبلها وما بعدها، الكتاب الثالث من المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، دار الشروق، الطبعة الثالثة، ١٠ نوفمبر، ١٩٩٦، ص٢٤.

اندلعت نيران الحرب «الضروس» بين السلطة الأردنية وقوات المقاومة الفلسطينية في سبتمبر/ أيلول ١٩٧٠ ، حيث تناثرت أشلاء القتلى الفلسطينيين، وفقد آلاف الضحايا أرواحهم .. وقد حضر – هذا المؤتمر الأخير – رؤساء وملوك وممثلون عشر دول عربية ، واستطاع عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠) في أوخريات المؤتمر أن يحقن الدماء العربية والفلسطينية ، رغم توتر المؤتمر ، وصخب جلساته ، وكانت هذه آخر خدمة في حياته- قدمها عبد الناصر للشعب الفلسطيني والعرب ، فقد وافته المنية في الثامن والعشرين من سبتمبر / أيلول ١٩٧٠ بعد أنّ قام بتوديع أمير الكويت[١].



(1) فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، في كتاب أربعون عامًا على ثورة يوليو ، دراسة تاريخية ( تحرير د. رءوف عباس حامد) ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ، يوليو ١٩٥٢ ، ص٢١٥.



# عبد الناصر وثورة الجزائر

- لم تكن علاقة مصر بالجزائر في عهد جمال عبد الناصر مثل العلاقة في عهد محمد علي باشا (حكم من ١٨٠٥ – ١٨٤٨)، بل هي متناقضة تمامًا، حيث إن محمد علي (١٧٦٩ – ١٨٤٩م) قد اتفق مع الفرنسيين (أخلص أصدقائه) على غزو الجزائر عام ١٨٢٩، ولكن لم ينفذ الاتفاق بسبب ضآلة التعويض، وعدم تناسبه، والذي عرضه الفرنسيون على محمد علي باشا والي مصر[1].



- وقد تعرضت الجزائر لمؤامرات فرنسا قبل احتلالها بوقت طويل، إذ اعتبر نابليون بونابرت (١٧٦٩ – ١٨٢١) الجزائر سوقًا خارجيًا ضرورية لتطوير الصناعة الفرنسية، وكان يضيفها دائمًا إلى قائمته الطويلة بممتلكاته المقبلة عندما يثار الجدل والنقاش حول مسألة تجزئة الإمبراطورية العثمانية.

- وقد استغلت فرنسا «ضربة المروحة» من الداي لقنصل فرنسا، وغزت الجزائر يوم ١٤ يونيو ١٨٣٠ بجيش فرنسي قوامه ٣٧ ألف جندي، نزل على

(١) أحمد حمروش: ثورة ٢٣ يوليه، مصر والعسكريون، مجتمع جمال عبد الناصر، عبد الناصر والعرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب (الجزء الأول)، طباعة عام ١٩٩٢، ص٩٨٨.

شاطئ خليج سيدي فرج ، وكانت المقاومة الجزائرية «شديدة» ، إلا أنها - كما ذكر أحمد حمروش - عديمة الجدوى، وفاقدة التأثير ، ولم تحول دون دخول القوات الفرنسية أرض الجزائر.

- وسرعان ما أعلن «لويس فيليب» ، الذي خلف شارل العاشر (بعد انهيار عرشه) ضم الجزائر إلى فرنسا عام ١٨٣٤ ، رغم أنه لم يكن في حيازة فرنسا واحتلالها وقتئذ إلا المدن الساحلية.

- ولم تخضع الجزائر لحكم دولة فرنسا إلا بعد أربعين عامًا شنت فيها حربًا دموية شديدة الوطأة ضد الشعب الجزائري ، قاد فيها النضال حرب الأنصار والأرض المحروقة ، الأمر الذي كبد القوات الفرنسية «الغازية» خسائر جمة ، ودفعتها إلى عقد معاهدة (دي ميشيل) في فبراير ١٨٣٤ اعترفت فيها بأن كل غرب الجزائر عدا ثلاث مدن ساحلية ، هي أرض تابعة للدولة العربية الجديدة برئاسة عبد القادر الجزائري (١٨٠٧ - ١٨٨٣) ، الذي لقب بأمير المؤمنين [١].



- وكان الأمير عبد القادر الجزائري مثالًا للقائد العربي البسيط ، والذي يعيش حياة متواضعة ، واستطاع بمهارة أن يحشد من رجال القبائل المتطوعين ٧٠.٠٠٠ رجل ، وكون جيشًا نظاميًا مدربًا من عشرة آلاف جندي.

- واستخدم الفرنسيون أبشع الوسائل لإبادة

(1) أحمد حمروش : ثورة ٢٣ يوليه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (الجزء الأول) ، طباعة عام ١٩٩٢، ص٩٨٩.

القبائل الموالية للأمير عبد القادر الجزائري (١٨٠٧ – ١٨٨٣)، وتمكن الفرنسيون بعد أربع سنوات من نضال الجزائر المرير من إخضاع الأراضي الموالية للأمير عبد القادر إلى سلطتهم، ولجؤوا مع جماعة من زملائهم إلى مراكش، التي كانت تساعدهم – وقتئذ – خلال حربهم وقتالهم للقوات الفرنسية الغازيّة[١].

– وبعد الحرب العالمية الثانية، وما بعثته في العالم من روح تحريرية للمستعمرات في حضانة هيئة الأمم المتحدة UN، وما نسب في بعض دول منطقة التحرر الوطني، أخذت القوى الجزائرية المناضلة أن تبحث عن مخرج لها، ومساعدة من الدول العربية الأخرى باعتبارها عامل إسناد، ورافعة لأداء العمل التحرري الجزائري.

– وافتتح في القاهرة عام ١٩٥٠ خلال رئاسة الوفد (للحكومة المصريّة) مكتب المغرب العربيّ يضم ممثله لعدد من الأحزاب الوطنية في المغرب العربيّ.. حزب الاستقلال المغربي، ويمثله علال الفاسي (١٩٠٧ – ١٩٧٤)، وحزب الحر الدستوري في تونس، ويمثله الحبيب بورقيبة (١٩٠٣ – ٢٠٠٠)، وحركة انتصار الحريات الديمقراطية، والتي يقودها مصالي الحاج[٢].

– فقد كان الإفقار – كما تذكر نجلاء أبو عز الدين – إحدى سمات الحكم الاستعماري الفرنسي.. فقد نزعت ملكية مساحات شاسعة من الأراضي لتوطين المستعمرين، ولما كانت الأراضي مورد عيش لثلاثة أرباع السكان،

(1) أحمد حمروش: مرجع سابق ذكره، ص٩٩٠.

(2) أحمد حمروش: مرجع سابق ذكره، ص٩٩٤.

فقد قُضي بانتزاعها على الملايين من الجزائر بالفقر المدقع، وسيطرت المصالح الفرنسية الكبيرة على الصناعة والتجارة، كما سيطرت على شؤون الزراعة[١].

- ونستطيع أن نقول - مع فؤاد المرسي خاطر - إن وقوف الثورة المصريَّة بقيادة عبد الناصر (١٩١٨ - ١٩٧٠) إلى جانب الجزائر منذ إعلانها الكفاح المسلح، وحتى حصولها على الاستقلال، كان هذا الوقوف المصري في مقدمة العوامل التي مكنت هذه الثورة Revolution من الانتصار واستقلال الإرادة الجزائرية في مواجهة الاستعمار الفرنسي[٢].

- ويذكر محمد حسنين هيكل في كتابه «ملفات السويس» أنه قد وصل أحد الثوريين الجزائريين، وهو أحمد بن بيللا، وكان هذا الشاب الجزائري لا يتكلم العربية، وإنما يعبر عن نفسه باللغة الفرنسية، ويتخذ من ذلك دليلًا على جريمة الاستعمار الفرنسي في الجزائر، ومحاولته الدؤوب تغييب الهوية الجزائريّة عن طريق تغييب اللغة مناط الترابط الفكري والعروبي، وكان اسم هذا الشاب «مزياني مسعود»، وطلب مقابلة عبد الناصر، وذكر «مزياني» لـ «جمال عبد الناصر» أن اسمه الحقيقي أحمد بن بيللا، وهذا الاسم مستعار ليخفي نفسه من ملاحقة وبطش الاستعمار الفرنسي، ثم طلب مساعدة «مصر»، بعد أن قدم تصورًا كاملًا وتفصيليًا عن حركات التحرر الجزائري.. وبالفعل قامت مصر بتسليم ما يحتاجه من أسلحة عن طريق ليبيا[٣].

---

(1) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب، ترجمة فريد أبو عز الدين، دار المستقبل العربي، الطبعة الأولى، ١٩٨٨، ص ٢٣٨.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ص٢١٦.

(3) محمد حسنين هيكل: ملفات السويس حرب الثلاثين سنة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الثالثة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م، ص٢٨٥، ٢٨٦.



- وكانت قد شكلت في الجزائر «اللجنة الثوريّة للوحدة والعمل» من تسعة من القيادات هم: «أحمد بن بيللا ، حُسين آية أحمد ، العربي بن مهيدي ، محمد بوضياف (١٩١٩ - ١٩٩٢) ، مصطفى بن بولعبد ، رابح بيطاط ، ديدوش مراد، محمد خضير، كريم بلقاسم».

- وقد أعلن صوت العرب - من القاهرة - ساعة الصفر وبداية الثورة Revolution في أول نوفمبر ١٩٥٤ بإذاعة بيان جبهة التحرير الجزائرية المصاحب لتعمير ٢٤ قنبلة في أماكن مختلفة [١].

- وعند قيام الثورة الجزائرية أمر عبد الناصر (١٩١٨-١٩٧٠) بصرف كميات من الأسلحة الخفيفة للثوار ، وحضر أحمد بن بيللا للتخطيط لأول عمليات الإمداد بالسلاح ، والتحضير لاستقبال هذا الإمداد للثوريين في الجزائر.. وكان بن بيللا قد حضر إلى القاهرة - كما أشرنا من قبل - مفوضًا من جماعة التنظيم السري لحزب الشعب بعد انشقاقهم على «مصالي الحاج» ، وكان يأمل في الحصول على دعم الثورة للنضال الجزائري [٢].

- وفور إعلان الثورة الجزائرية - كما أشرنا آنفا - بدأ صوت العرب حملة

(1) أحمد حمروش : ثورة ٢٣ يوليه ، مصر والعسكريين ، مجتمع جمال عبد الناصر، عبد الناصر والعرب، الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٢ ، ص٩٩٦.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب أربعون عامًا على ثورة يوليو ، دراسة تاريخية ( تحرير د. رءوف عباس حامد) ، يوليو ١٩٩٢ ، ص٢١٦.

إعلامية للتعريف بالثورة وأهدافها ، وبدأت مصر في تقديم الدعم المالي للثـورة Revolution .. فقدمت «القاهرة» في البداية أموال متواضعة في حـدود ثمانيـة آلاف جنيه لشراء أسلحة خفيفة ، وإعدادها للتهريب إلى الجزائـر .. وتزايـدت الكميات بعد ذلك ، وكان للمساعدات العسكرية أهمية كبيرة للثورة ، وكانـت تنقل عبر «طرابلس» ، فجنوب الجزائر ، وبعد استقلال تونس انفتح باب جديد سهل عمليات نقل المساعدات والأسلحة من مصر إلى الثوار الجزائريين ، حتى اضطرت فرنسا إلى إنشاء خط مكهـرب عـلى الحـدود التونـسية – الجزائريـة ، فعادت إلى ولاية الصحراء أهميتها من جديد[1].

– والجدير بالذكر أنه ما كادت الشرارة الأولى للثـورة Revolution تنـدلع بلهيبها وقنابلها في أول نوفمبر ١٩٥٤ مع بيان جبهة التحرير الجزائريـة ، حتـى وجدت أرضا خصبة وشعبًا متعطشًا للقتال والنضال والتـضحية .. ووجـدت بعض الأحزاب الإصلاحية أنه لم يعد أمامها مـن سـبيل إلا الارتبـاط بالعمـل الثوري التحرري لمواجهة المستعمر الفرنسي.

– وسرعان ما أعلن «فرحات عباس» عام ١٩٥٥ انـضمام حزبـه إلى جبهـة التحرير، وانضم أيضًا المترددون من حـزب «مـصالي الحـاج» (حركـة انتـصار الحريات الديمقراطية) ، وهم الذين عارضوا (اللجنة الثورية للوحدة والعمل) ، وأخيرًا جمعية العلماء ، التي حافظت على تـراث الـشعب الجزائـري وتقاليـده ، والتي أعلن زعيمها عبـد الحميـد بـن بـاديس ( ١٨٨٩ – ١٩٤٠ ) عـام ١٩٣٠ عندما قويت دعوة الارتباط بين الجزائر وفرنسا قوله: «الشعب الجزائري لـيس

(1) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ص٢١٦.

هو فرنسا، وحتى لو أراد لما استطاع، لأنه شعب بعيدًا جدًا عن فرنسا بلغته وعاداته وأصله ودينه[١].

- وفي محاولة مصرية للتغلب على العقبات والعراقيل التي حرضت فرنسا وبريطانيا وأمريكا لوضعها في وجه تهريب السلاح عبر ليبيا، استعانت مصر بقطع الأسطول البحري لتوصيل السلاح إلى الثوار الجزائريين، كما قامت بالمساعدة على تدريب عدد من «الجزائريين» بين الثوار على حرب العصابات والاقتتال الشعبي، وكان من بينهم: «أبو خروبة محمد هواري بومدين (١٩٣٢ - ١٩٧٨)»[٢].

- وغني عن البيان أن «القاهرة» كانت حريصة كل الحرص على سلامة وتأمين القادة الجزائريين، وكشف وإيضاح المؤامرات التي تحاك ضدهم وتدبر للإيقاع بهم سواء من الداخل الجزائري أو من الخارج[٣].

- وعندما قامت فرنسا بخطف أحمد بن بيللا وعدد من رفاقه، وهم على متن طائرة خاصة متوجهة من المغرب إلى تونس لحضور مؤتمر خاص بتأييد الكفاح الجزائري .. وكانت المخابرات «الفرنسية» قد أعدت عدتها لإجبار الطائرة المقلة بالثوار على الهبوط في مطار مدينة الجزائر في ٢٢ أكتوبر

(1) أحمد حمروش: ثورة ٢٣ يوليو، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ١٩٩٢، ص٩٩٧.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب: أربعون عامًا على ثورة يوليو دراسة تاريخية (تحرير د. رءوف عباس حامد) مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، الأهرام، يوليو ١٩٩٢، ص٢١٦.

(3) د. فؤاد المرسي خاطر: مرجع سابق ذكره، ص٢١٧.

عام ١٩٥٦ ، وحيث كان مع القادة الجزائريين (أحمد بن بيللا – محمد خيضر – حسين آية محمد – رابح بيطاط – محمد بوضياف (١٩١٩ – ١٩٩٢) وثائق هامة خاصة بجبهة التحرير.. وفور علم عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠) بهذا الحادث أصدر تعليماته في ٢٣ أكتوبر بالاتصال بالسفارة المصريّة في تونس ، وتم الاتصال ببورقيبة والسلطان محمد الخامس (١٩١٠ – ١٩٦١) ، وطالبتهم باسم عبد الناصر باستخدام نفوذهما لدى السلطات الفرنسية بالإفراج عن الزعماء الجزائريين ، والتي تم وضعهم في ثاتو دو نوى بجزر الأنتيل!!!.

– غير أن القاهرة في نفس الوقت قامت بحملة دبلوماسية وإعلامية واسعة النطاق احتجاجًا على «القرصنة الفرنسية» الفاضحة ، وأكدت إذاعة صوت العرب على استمرار العمل الثوري الجزائري رغم حادث الاختطاف[1].

– ومن ثمَّ .. فقد كان «جي موليه» رئيس وزراء فرنسا مقتنعًا تمام الاقتناع بأن عبد الناصر هو المسؤول وحده تقريبًا عن الثورة الوطنية في الجزائر ، التي كانت قد بدأت عام ١٩٥٤ ، وكان جاك سوستل الحاكم العام الفرنسي للجزائر يجاهر طوال عام ١٩٥٥ بأن مصر – كما ذكر أنتوني ناتنج في كتابه «ناصر» : هي «رأس الأخطبوط الذي ظلت أذرعه لشهور طويلة جدًا تخنق شمال أفريقيا الفرنسي»[2].

(1) د. فؤاد المرسي خاطر : الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب.أربعون عامًا على ثورة يوليو ، دراسة تاريخية ، تحرير (د. رءوف عباس حامد) يوليو ١٩٩٢ ، ص٢١٧.

(2) أنتوني ناتنج : ناصر ، ترجمة شاكر إبراهيم سعيد ، مكتبة مدبولي ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٣، ص١٥٨، ١٥٩.

- وقد أوفد عبد الناصر ( ١٩١٨ — ١٩٧٠ ) عبد القادر حاتم إلى «كريستيان بينو» وزير خارجية فرنسا يقترح على «بينو» اتفاقًا يكف فيه عبد الناصر عن مهاجمة الإمبريالية إذا ما توقفت عن تسليح إسرائيل ( حيث مكنت فرنسا الهاجاناه «جيش إسرائيل السري» من التدريب سرًا فوق الأراضي الفرنسية ، كما زودت الهاجاناه بالسلاح في قتالها ضد سلطات الانتداب البريطاني من منتصف الأربعينيات ، ولم تشترك مع بريطانيا في منع رحيل المهاجرين اليهود إلى فلسطين) ، غير أنّ رد «بينو» على ذلك هو أنه لا يمكن عقد اتفاق ما لم توقف مصر مساعدتها لثوار الجزائر ، الأمر الذي رفضه عبد الناصر رفضًا قاطعًا[1].

- ويذكر ناتنج في كتابه «ناصر» بأنه : «عندما التقى بينو وزير خارجية فرنسا بعبد الناصر وجهًا لوجه ، وجد أنه يختلف تمامًا عما كان يتوقع إذ كان بعيدًا عن نمط ديماجوجية هتلر (١٨٨٩ – ١٩٤٥) ، التي كان يتخيلها موليه (رئيس وزراء فرنسا) ، فقد بدا لبينو قوميًا عربيًا ، ثابت العزم، منطقيًا ، وأن اهتمامه الرئيسي بالجزائريين ينصب على ضرورة أن تترك لهم حرية تقرير مستقبلهم، وتحديد الشكل الذي يرتبطون به في المستقبل بفرنسا إذا ما رغبوا في ذلك ، ورفض صراحة أن يتعهد بأن توقف مصر إرسال أسلحة إلى الثوار»[2].

- ولم يكن يتوقف دور مصر في مساندة الثورة الجزائرية على الناحية التسليحية واللوجستية وفقط ، ولكن قامت بمساعدتها في المحافل الدولية ،

(1) أنتوني ناتنج : مرجع سابق ذكره ، ص١٦٠.

(2) أنتوني ناتنج : ناصر ترجمة شاكر إبراهيم سعيد، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، الطبعة الثانية عام ١٩٩٣، ص١٦٠.

وفي المجال العالمي ، وفي كافة المؤتمرات التي شاركت فيها مصر كانت قضية الجزائر من بين بنود الأساسية في بيانات ومباحثات القيادة المصرية في هذه المؤتمرات.

– ففي مؤتمر باندونج (أبريل عام ١٩٥٥) تحطمت أسطورة الجزائر «الفرنسية» ، وأعلن بيان جبهة التحرير الجزائرية بأن قاعدتها الأساسية والحركية تقوم في البلاد العربية – وخاصة مصر – كما تقدمت مصر (عبد الناصر) باقتراح للمؤتمر حظى بإجماع الحاضرين بالمؤتمر طالبت فيه – مصر – بحقوق تونس والجزائر والمغرب ، وطالبت فيه بالسعي لإيجاد تسوية سلمية مع هذه البلاد على وجه السرعة[١] .

– وفي مؤتمر بريوني (يونيو ١٩٥٦) قدمت جبهة التحرير الجزائرية إلى تيتو (١٨٩٢ – ١٩٨٠) وجواهر لآل نهرو (١٨٨٩ – ١٩٦٤) وعبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠) مذكرة أكدت فيها أهدافها السلمية، وطالبت – في مذكرتها – بعودة السيادة الجزائرية، وممارسة هذه السيادة بصورة حركية ، وكاملة ، وبالاستقلال الكامل.. وقد بحث الزعماء في بريوني (يوغسلافيا) الوضع في الجزائر ، واعتبروه بالغ الأهمية ، ويتطلب اهتمامًا خاصًا وأمرًا عاجلًا من وجهة نظر الحقوق الطبيعية لشعب الجزائر، ولدعم السلام Peace في هذا الجزء من العالم ، وأبدى الزعماء تعاطفهم الشديد مع رغبة الجزائر في الحرية[٢] .

– وقد قامت فرنسا بتزويد إسرائيل بكميات كبيرة من الأسلحة ، وزودتها

(1) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ص٢١٨.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر : الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ص٢١٨.

بالطائرات المقاتلة لتقويتها ضد مصر، كما ساهمت مساهمة فعالة في حمل بريطانيا وأمريكا على التراجع عن تقديم تمويل السد العالي!!. وأخيرًا كان اشتراك فرنسا في العدوان الثلاثي ؛ بهدف تحطيم القيادة المصرية الممثلة في عبد الناصر ، والتي أصبحت رمزًا للقومية العربية ، وفي مقدمتها الجزائر من السير في معركة التحرير، والتخلص من الاستعمار Colonialism[(١)].

- وقد باء هذا العدوان الثلاثي (فرنسا - إنجلترا - إسرائيل) بالفشل المزري، ولم يحقق أهدافه الاستعمارية، والتي قام من أجلها ، وفي مقدمتها إعادة المنطقة ومصر بالذات إلى دائرة النفوذ الاستعماري ، وإسقاط قيادتها الثورية (جمال عبد الناصر) !!! وقد ترتب على فشل بريطانيا وفرنسا ضعف وضعها السياسي في المنطقة العربية ؛ حيث وضح من الصعب على الاستعمار Colonialism الوقوف في وجه الشعوب المناضلة ، والتي تحرص على تحرير إرادتها ، واستقلال حريتها[(٢)].

- وقد أرادت الحكومة الفرنسية التي يرأسها « جي موليه» أنّ تسبق الأحداث ، فأعدت في عام ١٩٥٦ دستورًا جديدًا باسم Loi Cadre يسمح بتشكيل حكومات أفريقية في المستعمرات الفرنسية ، ولكن مع وجود حاكم فرنسي تعيِّنه باريس في كل إقليم ، وكان هذا تطورًا مهمًا في المستعمرات الفرنسية نحو الحكم الذاتي Autonomy.. وبدأ تطبيق هذا القانون في أقاليم أفريقية الغربية ، وأفريقية الفرنسية الاستوائية في أوائل عام ١٩٥٧ ، أما في الجزائر فقد

(1) د. فؤاد المرسي خاطر : مرجع سابق ذكره ، ص٢١٩.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر : مرجع سابق ذكره ، ص ٢١٩.

ترتب على هذا القانون نتائج خطيرة ، ففي عام ١٩٥٨ قام المستوطنون الأوروبيون في الجزائر بإضراب عام احتجاجًا واعتراضًا على هذا القانون ، الذي اعتبروه هزيمة سياسيّة لهم و (ديان بيان فو) جديدة لفرنسا، لأن هذا القانون كان يقسم فرنسا إلى ((مناطق)) ، وبشكل يوحي أن هناك فكرة لتقسيم الجزائر[1].

– وبعد أزمة قناة السويس صار عام ١٩٥٧ عام الجزائر في الأمم المتحدة UN ؛ حيث بحثت القضية مرتين وكانت عدة دول أفريقية وأسيوية من بينها مصر ، قد طالبت بإدراج القضية الجزائرية في جدول أعمال الدورة الحادية عشرة للأمم المتحدة.

– وحين عقد مؤتمر التضامن الأفرو آسيوي بالقاهرة في ديسمبر ١٩٥٧ ، أعلن المؤتمر تأييد مصر في مساعيها نحو استقلال الجزائر ، وأصدروا قرارات خاصة بالجزائر مستنكرًا – أي المؤتمر – الحرب الاستعمارية ((الضروس)) ، والتي شنتها فرنسا في الجزائر ، كما طالب شعوب العالم الحر بتنظيم حملات صحفية (وسياسية) ؛ لتنبيه الرأي العام ضد حرب الإبادة في الجزائر ، وبأن تتولى – هذه الشعوب – الدفاع عن استقلاله لدى المنظمات الدوليّة ، واستخدام كافة الوسائل لحمل فرنسا على وضع حد للحرب War في الجزائر[2].

(1) محمد فايق: عبد الناصر والثورة الأفريقية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٢ ، ص٤٣.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر : الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب ((أربعون عامًا على ثورة يوليو)) تحرير (د. رءوف عباس حامد) ، يوليو ١٩٩٢ ، ص٢١٩.

- وتقدم شارل ديجول (١٨٩٠ - ١٩٧٠) بمشروع دستور جديد، يقوم بموجبه اتحاد فيدرالي بين فرنسا، وبين مستعمراتها (أفريقية الغربية وأفريقية الفرنسية الاستوائية، التي سوف تعطي حق إدارة شئونها الداخلية)، ويقضي المشروع بأن يطرح هذا الدستور للاستفتاء الشعبي في المستعمرات، فإذا كانت النتيجة بالإيجاب، يدخل الإقليم في عضوية ما سمى بالمجتمع الفرنسي، ويصبح عضوًا في اتحاد فيدرالي مع فرنسا، أما إذا كان التصويت «بلا»، فيعتبر الإقليم - بصفة أوتوماتيكية - في حكم المنفصل عن «المجتمع الفرنسي»، ويمكنه الاستقلال فورًا، ولكن «عليه» أن يتحمل تبعة ومسؤولية ذلك.. وقد جاء هذا النص على لسان ديجول، وهو يدعو لمشروعه للمجتمع الفرانكو أفريقي [1].



- لم تنجح خطة ديجول (١٨٩٠ - ١٩٧٠) في إنشاء «الاتحاد الفيدرالي بين فرنسا ومستعمراتها»، فلم يجتمع المجلس التنفيذي للاتحاد سوى سبع مرات في المدة من فبراير ١٩٥٩ إلى مارس ١٩٦٠، كما لم يجتمع الاتحاد إلا مرتين.

وقد ذهب بعض الأفارقة إلى حد وصف شارل ديجول (١٨٩٠ - ١٩٧٠) بأنه محرر أفريقيا، ولكن الحقيقة - وكما يقول محمد فايق - أن السبب في تحول سياسة «ديجول» الأفريقية هو تطور الحرب في الجزائر، واقتناعه بأن فرنسا غير

---

(1) محمد فايق: عبد الناصر والثورة الأفريقية - الهيئة العامة لقصور الثقافة - الطبعة الخامسة ٢٠٠ ص٤٥.

قادرة على إنهاء هذه الحرب عسكريًا ، وأنه لا سبيل لإنقاذ فرنسا من هذا النزيف إلا باستقلال الجزائر[1].

- وقد رحبت القاهرة بإعلان ديجول ، والخاص بالموافقة على إعطاء الشعب الجزائري حق تقرير المصير National self – Determination بعد الانهيار الاقتصادي لفرنسا من جراء الحرب.. وبدأت مفاوضات «إيفيان» السرية ، التي أصبحت بمثابة اعتراف رسمي من جانب دولة فرنسا بالثورة الجزائرية «الباسلة» .. وانتهت تلك المفاوضات على حق تقرير المصير ، وحصل الشعب الجزائري على استقلاله بعد استفتاء أجري في يونيو ١٩٦٢م ، الذي أعلن استقلال الجزائر في أول يوليو ١٩٦٢[2].

- وهكذا لعبت ثورة الجزائر دورًا خطيرًا في تصفية الإمبراطورية الفرنسية المترامية الأطراف، والقضاء على فكرة امتداد الأراضي الفرنسية في أفريقيا ، وقد أدى ذلك إلى فتح أبواب الاتصال بين مصر وبين حركات التحرير Liberation movements ، والتنظيمات الثورية في أفريقيا الفرنسية، التي لجأ كثير من زعمائها إلى القاهرة للحصول على تأييد جمال عبد الناصر (١٣٣٦- ١٣٩٠ هـ - ١٩١٨ - ١٩٧٠م) ، بعد أن عرف دور مصر في مساعدة الثورة الجزائرية ، ومن أمثال هؤلاء : «فليكس موميه» زعيم حزب اتحاد شعب

(1) محمد فايق : مرجع سابق ذكره ، ص ٤٤.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر : الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب «أربعون عامًا على ثورة يوليو» مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية ، مؤسسة الأهرام ، يوليو ١٩٥٢، ص٢٢٠.

الكاميرون U.P.C ، والزعيم الصومالي «محمود حربي» ، وجيبو بكـاري زعـيم سوابا SWABA في النيجر ، وغيرهم كثيرون... إلخ [١].

- وقد استطاعت الثورة الجزائرية - كما يذكر محمد فايق - ومنـذ البدايـة أن تقدم نفسها كثورة أفريقية ، بجانب كونها ثورة إسلامية عربية ، وكانت صـلتها وثيقة دائمًا بالتنظيمات الوطنية في أفريقيا الفرنسية ، الأمر الذي ساهم «إيجابيًا في القضاء على ما تبقى من فكرة الفصل بين أفريقيا العربية وأفريقيا السوداء» [٢].



(1) محمد فايق : عبد الناصر والثورة الأفريقية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، الطبعـة الخامـسة ، ٢٠٠٢، ص٤٥.

(2) محمد فايق : مرجع سابق ذكره ، ص٤٥.



# عبد الناصر... وثورة اليمن

كانت اليمن تعيش في عهد الأئمة في ليل مُدلهم، فالاستبداد Despotion هو القاعدة، والتخلف Under-development علامة بكل مناحي الحياة وشؤونها، وكان الإمام الحاكم «الزمني» لليمن، والزعيم الروحي للزيود الشيعة[1]، والذين يؤلفون أقل من نصف سكان البلاد البالغ عددهم خمسة ملايين ونصف مليون (في عهد الإمامة قبل قيام الجمهورية اليمنية)، أما الباقون فإنهم ينتمون لمذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ – ٢٠٤ هـ – ٧٦٧ – ٨٦٠م)، أي: ينتمون إلى السنة.. وكان الزيود والشوافع يعيشون في

(١) تنتسب الأمامة والزيود في اليمن إلى الإمام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٧٩ – ١٢٢ هـ – ٦٩٨ – ٧٤٠م).. والشيعة الزيدية هم أكثر الشيعة تسامحًا واعتدالًا من غيرهم، بل إنهم يقولون بصحة خلافة أبي بكر الصديق (٥١ ق. هـ – ١٣ هـ – ٥٧٣ – ٦٣٤م)، وعُمر بن الخطاب (٤٠ق.هـ – ٢٣ هـ – ٥٨٤ – ٦٤٤م)، وإن كان علي بن أبي طالب (٢٣ ق. هـ – ٤٠هـ – ٦٠٠ – ٦٦٠م) أفضل منهما، ولهم في ذلك رأي يقولون به وهو: الاعتراف بالإمام المفضول مع وجود الأفضل.. والإمام زيد كان أول علوي يخرج على بني أمية بحد السيف، ولكنه استشهد بسبب ذلك.. وقد تمكن الزيدية بالمثابرة والجد من تكوين دولة في أرض الديلم في جنوب الجزر سنة ٢٥٠هـ أسسها أحد الزيديين واسمه الحسن بن زيد، ثم أقاموا دولة ثانية في اليمن بعد ذلك بفترة من الزمن، أقامها: الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين من ولد القاسم الرسي حفيد إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، واستمرت هذه الدولة حتى ثورة اليمن، وحلت محل الزيدية حكومة جمهوريّة .. ولمزيد من التفاصيل انظر: د. مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب، ص٢٠٥ وما بعدها، د. محمد عمارة: تيّارات الفكر الإسلامي، دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م، ص٩٧ وما بعدها.

أنحاء مختلفة من اليمن.. فالزيود (نسبة إلى الإمام زيد بن علي زين العابدين) يعيشون في منطقة الجبال الوسطى والشماليّة، بينما الشوافع يعيشون في القطاع الجنوبي من الهضبة الوسطى، وفي الهضبة الشرقية والسهل في ساحل البحر الأحمر[1].

ولم تكن في اليمن إدارة بمعنى يقترب من المعنى المتعارف عليه، فالنظام الذي أقامه الأئمة الزيود لدى إنشاء دولتهم في القرن التاسع بقى ألف سنة دون تغيير، وسيطر الإمام على البلاد – كما تذكر نجلاء أبو عز الدين – عن طريق أخذ رهائن من أبناء زعماء القبائل والأعيان، والاحتفاظ بهم في العاصمة صنعاء، لضمان ولاء قبائلهم[2].

– ومن الناحية التاريخية كانت العلاقة قائمة بين الإمامة الزيدية في اليمن ومع ثورة يوليو ١٩٥٢، وموجودة قبل قيام الثورة اليمنية.. فالعلاقة بين مصر واليمن لم تبدأ فجأة في يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢، فمنذ قيام ثورة يوليو، حاول الإمام أحمد أن يجد فيها سندًا له ضد الوجود البريطاني في الجنوب المحتل، فطلب بعثة عسكرية مصريّة، وأقامت تلك علاقات طيبة وقتها مع اليمنيين، وكسبت – بطبيعة الحال – ثقة الإمام أحمد نسبيًا.

– وفي مصر دخلت الكلية الحربيّة أول بعثة يمنية عام ١٩٥٢ من الطلبة الذين حضروا للتعليم في مصر منذ عام ١٩٤٨، وتخرجت أول دفعة في الكلية

(1) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب، ترجمة فريد أبو عز الدين، دار المستقبل العربي، ١٩٨٨م، ص٢٣١.

(2) نجلاء أبو عز الدين : ناصر العرب، ترجمة فريد أبو عز الدين، المستقبل العربي، ص٢٣١.

عام ١٩٥٥ .. وفي نفس الوقت كان قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ في القاهرة إيذانًا باتساع نشاط أحرار اليمن ، حيث نقلوا نشاطهم إلى «القاهرة» ، وأسسوا «الاتحاد اليمني» ، وكان لهم نشاط واسع النطاق داخل اليمن وخارجه ، وقام الاتحاد بنشاط كبير في نشر الوعي القومي في اليمن ، والدعاية للقضية الوطنية[1] .

- خلال هذه الفترة كانت الاتجاهات السياسيّة تتصارع ، والمصالح الإمبريالية تتصادم وتتناقض ، وبرز دور الولايات المتحدة الأمريكية ، التي انتهزت ما يفرضه الإمام أحمد على اليمن من حياة رجعية وعزلة عن العالم ، فشجعت انقلابًا ضده من عناصر داخل الأسرة الحاكمة ، أي: انقلاب «القصر الملكي» .. حيث قام الأمير سيف الإسْلام عبد الله بمحاولة انقلاب ضد شقيقه أحمد بالاشتراك مع المقدم أحمد الثلايا ، لكن الإمام أحمد نجح في إفشال الانقلاب ، وقضى على القائمين به ، وكان «الثلايا» منظمًا لتنظيم الأحرار اليمنيين[2] .



- وسافر حسين الشافعي (١٩١٨- ٢٠٠٥) عضو مجلس قيادة الثورة ، لتهنئة الإمام أحمد بنجاته من عواقب الانقلاب «الفاشل» ، وحرصًا على إبقاء

(1) فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب (أربعون عامًا على ثورة يوليو ، دراسة تاريخية) (تحرير رءوف عباس حامد) ، يوليو ١٩٩٢ ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية ، مؤسسة الأهرام ، ص٢٢٤.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ، ١٩٥٢ في كتاب أربعون عامًا على ثورة يوليو ، مؤسسة الأهرام ، يوليو ، ١٩٥٢ ، ص٢٢٤.

العلاقة بين البلدين ودية ، نظرًا لما أثير من أن الضباط اليمنيين ، والذين اشتركوا في «الانقلاب» كانوا على صلة بمصر.

- وفي عام ١٩٥٧ ذهبت بعثة عسكرية مصرية للتدريب إلى اليمن في وقت أصبحت فيه مصر موضع انبهار الدول العربية بعد تغلبها على العدوان الثلاثي (إسرائيل / فرنسا / إنجلترا) ، والذي وقعت أحداثه الكبيرة عام ١٩٥٦ .. حيث أصبح عبد الناصر (١٩١٨ - ١٩٧٠) - بعده - زعيمًا عربيًا بلا منازع ، وموضع إعجاب من ملايين العرب ، وحتى في اليمن ، حيث كان الشعب مازال بعيدًا عن التمدن والحضارة Civilization.

- وعندما تحققت الوحدة بين مصر وسوريا في فبراير ١٩٥٨ بادر الإمام أحمد بطلب الانضمام إليها.. ومن ثمّ .. أعلن الاتحاد بين الجمهورية العربية المتحدة واليمن في نفس العام تحت اسم «اتحاد الدول العربية» .. فأوقف اليمنيون معارضهم آملين أن الارتباط بالجمهورية العربية المتحدة (بشقيها) قد يقنع الإمام أحمد بإصلاح نظامه ، ويسير قُدمًا في تطوير البلد وتحديثه ، غير أن هذه الآمال قد تبددت - فعلًا - إذ لم ينجم أي تغيير في عقلية الإمام ونهج نظامه[1].

- وليس من شك أن اقتراب مصر من اليمن قد حمل إلى اليمن «بعض» مظاهر الحضارة العصرية، وعلى سبيل المثال: فإن الضباط اليمنيين ، والذين درسوا في الكلية الحربية - في مصر - وتدربوا على الأسلحة السوفيتية كان لهم

(1) نجلاء أبو عز الدين : ناصر العرب ، ترجمة فريد أبو عز الدين ، دار المستقبل العربي، القاهرة، عام ١٩٨٨ ، ص٢٣٣ ، الطبعة الأولى.

دور في اتفاق الإمام مع السوفييت عام ١٩٥٧ على توريد السلاح إلى اليمن، وإيفاد بقية عسكريّة سوفيتية للتدريب عليه، وكان عدد من الضباط اليمنيين، الذين يدرسون في مصر قد انتدبوا واحدًا منهم، وهو: «عبد الله جزيلان»، ليعود للبلاد ثم يطلعهم على ظروفها، وما آلت إليه الأمور فيها، وكان لجزيلان دور في الثورة فيما بعد.

- وفي عام ١٩٥٧ - أيضًا - كان قد أعيد فتح المدرسة الحربية في اليمن، وتولى قيادتها وقتئذ العميد «حمود الجائفي»، الذي كان له دور في الثورة اليمنية أيضًا .. وقبل الثورة Revolution بعام اشتدت النقمة والغضب على الإمام أحمد، وجرت أكثر من محاولة لاغتياله، والتخلص منه، ولكنها فشلت[1].

- لم يبدأ اهتمام جمال عبد الناصر (١٣٦٦ - ١٣٩٠ هـ - ١٩١٨ - ١٩٧٠م) باليمن، الذي اتخذ فيه قراره التاريخي الخطير والفريد بإرسال قواته إلى جبال اليمن الوعرة ووهادها السحيقة انتصارًا للثورة اليمنية، ودفاعًا عن حق الشعب اليمني في جنوب الجزيرة العربيّة.. فلقد كانت اليمن، التي تتحكم بموقعها الجغرافي الهام في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، كما تتحكم مصر في شماله، تقع منذ البداية في موقع بارز من اهتمامه السياسي ووعيه القومي[2].

- فبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو الرائدة، وحين لم تتح ظروف المملكة المتوكلية

(1) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، في كتاب (أربعون عامًا على ثورة يوليو، دراسة تاريخية) (تحرير د. رءوف عباس)، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، يوليو ١٩٥٢، ص٢٢٤.

(2) د. مُحمد علي الشهاوي: عبد النّاصر وثورة اليمن، مكتبة مدبولي، ١٩٧٦، ص١٢.

اليمنية الخاصة عدا قيام حركة معارضة تقليدية متواضعة الأهداف محددة الأفق السياسي – كما يذكر محمد علي الشهاوي – ورغم ذلك مضطهدة من قبل الإمام، ومحاربة بل وغير مسموح لزعمائها المشردين بأن تطأ أقدامهم أي أرض عربية على الإطلاق ، استجابة لرغبة حاكم اليمن المطلق أحمد بن يحيى حميد الدين[١] .

– كانت مصر (عبد الناصر) هي البلد العربيّ الوحيد الذي اخترق هذا الحصار ، وتحدى الإرادة الإماميّة ، وأتاح لكل يمني مهما كانت درجة فهمه للعمل السياسي والقومي الصحيح أن يمارس من «القاهرة» مسؤوليته الوطنية في الكفاح ضد الحكم الفردي المتسلط على أقدار «صنعاء» – كما أتاح عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠) لكل مناضل عربي للقيام بدوره الوطني والقومي لتحرير أرضه من الاستعمار الفردي[٢] .. واستثمارًا لهذه الإمكانية النضاليّة قدم

(1) مُحمَّد علي الشهاوي : عبد الناصر وثورة اليمن ، مكتبة مدبولي ، عام ١٩٧٦ ، ص١٢.

(2) محمد علي الشهاوي : عبد الناصر وثورة اليمن ، مكتبة مدبولي ١٩٧٦ ، ص١٣.

من باكستان إلى أرض «الكنانة» زعيم حركـة المعارضـة اليمنيـة المطـارد مُحمـد محمود الزبيري ، الذي وجـد الفرصـة متاحـة لتأسـيس هيئـة سياسـية مناوئـة ورافضة لحكم الإمام ، هي: جمعية الاتحاد اليمني ، والذي مكنته إذاعـة صـوت العرب من توجيه أحاديث سياسية من خلال بثها[١].

- وعندما قادت بعض عناصر المعارضـة اليمنيـة حركـة انقلابيـة في شـهر مـارس ١٩٥٥ بقيـادة العقيـد «أحمـد الثلايـا» أحـد خريجـي أكاديميـة بغـداد العسكرية عام ١٩٣٩ ، ووضعت على رأسها إمامًا جديدًا - كما يذكر الشهاوي - هو عبد الله بن يحيى حميد الدين ، أخذ الإمام أحمد نفسه، والذي كان معروفًـا لدى الأوساط العربية بارتباطاته القوية بدوائر الاسـتعمار الأمريكـي كـما كـان معروفًا أيضًا بعدائه الشديد للخط التحرري ، الذي تمثله القاهرة (عبد الناصر).. فإن مصر سرعان ما تصدت لهذه الحركة الانقلابية ، وأتاحت للزبيرى مهاجمتها من بث إذاعة «صوت العرب» ، وأرسلت حسين الـشافعي (١٩١٨ - ٢٠٠٥) إلى «تعز» للتأكيد بأنها بعيدة تمامًا عن هذه الحركة نفيًـا لأي شـبهة أو التبـاس .. وعندما لم يف الإمام بوعوده التي قطعها على نفسه ، وأمـام ممـثلي مـصر بأنـه - سيعمل - وبعد أن رفضت الجماهير التجـاوب مـع هـذه الحركـة - عـلى تلبيـة مطالب الشعب اليمني «المشروعة» في إدخال الإصلاح الاقتصادي والـسياسي والإداري على حياة البلاد.. فإن القاهرة لم تلبـث أن واجهتـه بموقـف صريـح وآوت زعيمًا آخر من زعماء الحركـة المعارضـة ، وهـو: أحمـد محمـد نعـمان[٢]..

(1) محمد علي الشهاوي : عبد الناصر وثورة اليمن ، ص١٣.

(2) محمد علي الشهاوي : مرجع سابق ذكره ، ص١٤.

وأتاحت ووضعت إذاعة «صوت العرب» تحت تصرفه، وتصرف زميله الزبيري للتنديد بحكم ملك اليمن الظالم الجائر!! كما أتاحت لهما ابتداء من أغسطس إصدار نشرة معارضة من القاهرة هي جريدة «صوت اليمن»[1].



- ونظرًا لمقاومة جمال عبد الناصر لحلف بغداد الاستعماري، فقد استطاع كلا من الإمام أحمد، والملك سعود بن عبد العزيز إلى عقد ميثاق جدة الثلاثي، الذي أبرم في ٢١ من شهر أبريل/ نيسان عام ١٩٥٦، والذي قصد به أن يكون حلفًا مضادًا لحلف بغداد الاستعماري «الرجعي»، وموجهًا بصورة خاصة ضد الاستعمار البريطاني[2].

- ويقول مُحمَّد علي الشهاوي في هذا الصدد أنه: «ونظرًا لضعف الحركة السياسية المناهضة لحكم ابن حميد الدين، وفقدانها أي برنامج ثوري، وعلى أمل المعاونة في إخراج اليمن من الكهف المظلم، الذي أرغمت على البقاء فيه، ورجاء اقتحام أسواره الصفيقة المنيعة، فإن رائد الوحدة العربية لم يتراجع عن قبول طلب الإمام أحمد بانضمام بلاده إلى الوحدة المصرية السورية، وإقامة «اتحاد الدول العربية»، الذي أعلن قيامه في ٨ مارس ١٩٥٨، وضم الجمهورية العربية المتحدة، والمملكة المتوكلية اليمنية إليه[3].

---

(1) محمد علي الشهاوي: عبد الناصر وثورة اليمن، مكتبة مدبولي ١٩٧٦، ص١٤.

(2) محمد علي الشهاوي: مرجع سابق ذكره، ص١٥.

(3) محمد علي الشهاوي: مرجع سابق ذكره، ص١٥.

**أ- عبد الناصر .. واندلاع الثورة:**

توفى الإمام أحمد حميد الدين في سبتمبر ١٩٦٢ ، وتولى ولده مُحمَّد البدر الإمامة من بعده، ولم تمض إلاّ أيام قليلة على توليه الحكم الإمامي، حتى قامت ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ، والتي أطاحت به وبملك أسرته حميد الدين، وفر هاربًا إلى الجبال الشواهق ومفاوز الصحراء .. وبعد أسابيع من هروبه، ظهر مرة أخرى ليحشد قواته لمقاومة قوات الثورة Revolution في صنعاء – وهنا – وكما يذكر أمين هويدي في كتابه «مع عبد الناصر» حقيقتان لابد من التركيز عليهما:-

١- كان حكم أسرة حميد الدين استبداديًا لا يعترف بالتعليم أو الانفتاح على العالم.

٢- أن السعودية هي التي بدأت بالتدخل في ثورة اليمن عقب اندلاعها وقيامها بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا[١].

- وقامت السعودية بإنشاء محطة إذاعة ، ودفعت الأمير الحسن عم البدر إلى الجبال ودروبها ، للمقاومة حتى ظهر البدر من جديد في مكان اختفائه ، واتخذت من منطقتي جيزان ونجران قاعدة كبرى لعمليات القوات الملكية بقيادة البدر ، وتحت إشراف الأجانب ، ثم أخذت تستأجر الجنود العسكريين المرتزقة بأجور خيالية ؛ لتدفع بهم إلى داخل الحدود اليمنية ، وأخذت الولايات المتحدة الأمريكية تمد المملكة السعودية بالسلاح ؛ لتغذي حرب العرب ضد العرب ، وتخلق صراعًا دمويًا بينهم ، بينما قامت بريطانيا بمساعدة عمليات

(١) أمين هويدي: مع عبد الناصر ، دار المستقبل ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٩١ ، ص٢٤٧.

شريف بيجان من الجنوب ، وتعمل على تفتيت اليمن الشمالي بفصل جنوبه من الشوافع (السنة) عن شماله من الزيود (الشيعة) ، حيث تم التركيز على مستعمراتها في عدن(١) .

- أمام هذه التدخلات (العربية والأجنبية ) قامت الجمهورية الوليدة في اليمن بطلب مساعدة مصر ، حتى يمكنها مواجهة الضغوط الكثيفة والشديدة التي تواجهها ، ووافقت ((القاهرة)) على مساعدة صنعاء في عملية كبرى اسمها الكودي ((العملية ٩٠٠٠)) ، وإلى جانب تدعيم اليمن عسكريًا أخذت مصر تدخل الحضارة Civilization إلى اليمن ، فأنشأت جهازًا للدولة لأول مرة في تاريخ اليمن ، وأسست المدارس والمستشفيات والطرق ، وتحسين الموانئ البحرية ، وإنشاء المطارات، وفتحت الطريق أمام المساعدات العربية لبناء اليمن على أسس حضارية، ثم قام الاتحاد السوفيتي والصين ودول المعسكر الاشتراكي بإنشاء الموانئ ، وتقديم المساعدات المختلفة لليمن الجديد(٢) .

- وكانت إرهاصات الثورة Revolution وأجواء ومقاومة النظام الإمامي المتخلف ، قد بدأت في أجواء توتر الموقف بين مصر واليمن ، حيث تحول اتحاد الدول العربية إلى اتحاد شكلي "كرتوني" لا قوة ولا رباط قوي بين أركانه ، وعندما أعلنت القوانين الاشتراكية في عام ١٩٦١ زادت حساسية الإمام أحمد من مصر ، وهاجم مصر والاشتراكية Socialism في قصيدة شعريّة ، فسحبت مصر بعثتها العسكرية في سبتمبر ١٩٦١ بعد أن أمضت باليمن ثماني سنوات ، وعاد الضباط اليمنيون وطلبة الكلية الحربية إلى بلادهم ، وفي نفس الوقت

(1) أمين هويدي: مرجع سابق ذكره ، ص٢٤٨.

(2) أمين هويدي : مع عبد الناصر ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، عام ١٩٩١، ص٢٤٨.

حدث تقارب سعودي يمني.. فقد أدى التوتر في العلاقات بين مصر واليمن الإمامي إلى اشتعال رغبة اليمنيين الأحرار في مقاومة النظام الإمامي «المتخلف».

- وبدأت تتشكل محاولة الانقضاض عليه للمحاولات السابقة، والتي بدأت إرهاصاتها في الأربعينيات من القرن العشرين.



- وكان عبد الرحمن البيضاني قد عقد صلة مع أنور السادات (١٩١٨ – ١٩٨١) رئيس مجلس الأمة المصري آنذاك، والذي بدوره كتب مذكرة لعبد العناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠) بالتوقعات المحتملة في اليمن، فكلفه عبد الناصر بأن يكون مسؤولًا سياسيًا عن الشؤون اليمنية ،واستطاعت القاهرة أن تسوي ما بين البيضاني وأحمد النعمان رئيس تنظيم الأحرار اليمنية من خلافات وتناقضات، واجتمع زعماء يمنيون في «القاهرة»، ووقعوا – جميعًا – وثيقة بضرورة التخلص من النظام الإمامي «المتخلف»، وإقامة نظام جمهوري، أذيعت من إذاعة صوت العرب «المصرية».. كما كان البيضاني يذيع من صوت العرب أحاديث وتعليقات سياسية موجهة للشعب اليمني تكشف مفاسد النظام، وتبين انحرافاته ومثالبه، وتحرض الشعب اليمني على الثورة Revolution [1].

(1) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب «أربعون عامًا على ثورة يوليو» تحرير (د. رءوف عباس حامد)، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، مؤسسة الأهرام، يوليو ١٩٩٢، ص٢٢٥.

- وكان هناك ارتباط بين العسكريين واليمنيين المدنيين، وتظاهر الطلبة في يوليو وسبتمبر ١٩٦٢ ، وكان هناك صلة وثيقة بدأت من العسكريين في مصر والقادة اليمنيين، وتدفقت الأسلحة على اليمن .. وأعلنت الجمهورية العربية المتحدة في يوم ٣٠ سبتمبر ١٩٦٢ اعترافها الرسمي بحكومة الثورة في جمهورية اليمن .. وأعلن الاعتراف في برقية بعث بها عبد الناصر إلى عبد الله السلال رئيس مجلس الوزراء اليمني والقائد العام للقوات المسلحة اليمنية، وقد أبلغه فيها أن الجمهورية العربية المتحدة تقف إلى جانب شعب اليمن، لتسند إرادته، وتناصر حقه في الحياة[١].

- وأرسل قادة الثورة وفدًا يمنيًا إلى مصر بطلب المساعدة العاجلة في الأيام الأولى للثورة Revolution ، ووصل أنور السادات (١٩١٨ - ١٩٨١) إلى اليمن في الأسبوع الثاني من أكتوبر، حيث وقع في ١١ أكتوبر ١٩٦٢ اتفاق دفاع مشترك بين مصر واليمن - والحق - وكما يذكر فؤاد المرسي خاطر - أنه لم يكن أمام الثورة في اليمن إلا اللجوء لعبد الناصر، كما لم يكن أمام عبد الناصر المؤمن بالقومية العربية وبضرورة تحرير كافة أجزاء الوطن العربي من الاستعمار Colonialism والرجعية والتخلف Under - development إلا أن يستجيب ويقوم على دعم الثورة اليمنية بكل قوة[٢].

---

(1) د. فؤاد المرسي خاطر : الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب «أربعون عامًا على ثورة يوليو» ، دراسة تاريخية ( تحرير د. رءوف عباس حامد) ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ، يوليو ، ١٩٩٢ ، ص٢٢٦.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر: مرجع سابق ذكره ، ص٢٢٧.

– وكان واضحًا لرواد القومية العربية الجدد في مصر أن تحرر أي بلد عربي بشكل وثبة حاسمة في اتجاه التحرر القومي الشامل بما في ذلك تحرر فلسطين، وأن ثورة اليمن التي اندلعت في الركن الجنوبي الإستراتيجي الهام من الجزيرة العربية ، هي منطلق جديد وأكيد لحركة الوطن كلها ، بل إن تحرير اليمن خطوة في طريق التخلص من الصهيونية Zionism[١] .

– ويذكر محمد علي الشهاوي في كتابه «عبد الناصر وثورة اليمن» (أن الجيش المصري الذي جاء إلى اليمن في الربع الثاني من القرن التاسع عشر تحت علم محمد علي (١٧٦٩ – ١٨٤٩) ، والذي حمل وجوده فيها تحت الاستعمار البريطاني على التعجيل باحتلال عدن ١٨٣٩ وتعبئة الدول الأوروبية كلها ضده من أجل إخراجه منها ومن غيرها من الأقطار العربية في العام التالي بالذات كان عليه أن يعود هذه المرة إلى اليمن تحت علم قائد الثورة العربية « المظفر» جمال عبد الناصر ، لا لتصفية حساب قديم مجمد مع قوى الغزو الاستعمارية البريطانية فحسب ، وإنما – بالدرجة الأولى – تأكيدًا لوحدة الحق والوجود والمآل العربي ، وتلبية لنداء الواجب القومي ، وانطلاقًا مع ثورة التحرير القومية التقدمية في كل اتجاه ، وتحركًا بقواها الرئيسية والصدامية إلى كل ركن من الأزاضي العربية تهب فيها رياح التغيير[٢] .

– إذن لم يكن أمام عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠) من بد من الوقوف بجانب ثوار اليمن ضد الحكم الإمامي «المتخلف» ، والذي استمر في حكمه إلى

(1) محمد علي الشهاوي : عبد الناصر وثورة اليمن ، مكتبة مدبولي ، ص٤٧.

(2) د. محمد على الشهاوي : عبد الناصر وثورة اليمن ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، عام ١٩٧٦، ص٢٩.

ما يقرب من ۱۱۰۰ عام قتل ۱۸ إمامًا منذ القرن الرابع الهجري نتيجة لظلمهم واستبدادهم وإشاعة الأساطير حول شخصيتهم[١].

- فلم يكن هناك أمام جمال عبد الناصر من سبيل أيضًا إلا دعم هذه الحركة الثورية التي جاءت في وقت كانت فيه القوى الإمبريالية والظروف الموضوعية قد نجحت في شق الحركة الثورية العربية بعد الخلاف مع العراق وانفصال سوريا[٢].

- كانت فرصة سانحة أمام عبد الناصر لوقف المد الرجعي في المنطقة، ومنع السعودية من السيطرة على الخليج العربي، وتحطيم نظام رجعي يتهالك اعتمد الأسطورة والحكم الاستبدادي المتسلط.. ولم يكن هناك من قيادة الثورة المصرية من اعتراض على مساندة ثورة اليمن وأحرارها.. فقد اتفق جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة على ذلك بما فيهم كمال الدين حسين، فلم تكن هناك مناقشة - مطلقًا - حول إرسال القوات - كما يذكر أحمد حمروش - وإنما كان هناك حديث فقط عن بعض محاذير التورط في الحرب[٣].

- وقد كان هناك اتجاهان رئيسيان في تفكير القيادة المصرية - وقتئذ - الأول: يدعو إلى الاعتماد المطلق على القوات المسلحة المصرية اقتناعًا منهم بأن هذا هو السبيل الأفضل والأسرع لنقل اليمن إلى عالم الحضارة Civilization،

(1) أحمد حمروش : ثورة ٢٣ يوليه، الجزء الأول «مصر والعسكريون - مجتمع جمال عبد الناصر - عبد الناصر والعرب». الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢، ص٨٤٥.

(2) أحمد حمروش : مرجع سابق ذكره، ص٨٥٨.

(3) أحمد حمروش : مرجع سابق ذكره، ص٨٥٨.

والثاني: كان يؤمن بأن المساعدة المصرية لليمنيين يحسن أن تقتصر على الطائرات والمدفعية الثقيلة دون المشاة حتى لا يتورط الجنود المصريون، هناك في معارك وأحداثٍ مفروض أن يقوم بها ويخوض غمارها اليمنيون .. وخاصة أن الميزانية المصرية تتكلف كثيرًا وتتحمل أعباء نفقات الجنود وتعويضات القتلى من المصريين، وكان هذا هو الاتجاه الذي اتفق عليه رغم الخلاف الجذري في أمورٍ كثيرة[1].

**ب- حصاد الثورة ونتائجها:**

لا شك أن حصاد ثورة اليمن وعون المصريين والقيادة المصرية لها قد تعرض لعديد من الانتقادات والتشويهات خاصة من خصوم عبد الناصر ( ١٩١٨ - ١٩٧٠) والذين أخذتهم الخصومة مأخذًا شططًا في مضمار إلقاء التهم وإلصاق المعايب والنقد المبرح، والذي مازال ساريًا مفعوله حتى الآن، ومن ثم.. نستعرض العديد من الآراء حول حصاد ثورة اليمن ونتائجها ولنعرف - أيضًا هل هناك حاجة لتدخل مصر وقيادتها الناصرية لمساندة الثورة اليمنية ضد النظام الإمامي، أم كان من الأجدى الابتعاد عن ثوار اليمن، والعزلة عن الأحداث؟؟

وهدفنا من طرح هذه الآراء أن نستبين منها الحقيقة، ونكتشف غث النقد من سمينه تجلية للأمور، وإظهارًا للحقيقة .. وتبيانًا لحوادث التاريخ، وإنصافًا للأدوار المهمة، والتي قامت بها قيادة مصر ممثلة في عبد الناصر.

(١) أحمد حمروش: ثورة ٢٣ يوليه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢، ص٨٥٩.

**رأي أمين هويدي:**




يرى أمين هويدي أحد الضباط الأحرار ورئيس المخابرات في كتابه «مع عبد الناصر»: أن نتائج أحداث اليمن كانت خطيرة بحق للأسباب التالية:-

١- فقد قامت الجمهورية اليمنية ، وهبت رياح التغيير ، لتخرج شعب اليمن من الظلمات إلى النور، وانطلقت حركة التغيير والتعمير أيضًا في الجزيرة العربية بما فيها السعودية نفسها ، خوفًا من رياح الثورة العاصفة.

٢- خرجت دولة اليمن الجنوبية إلى الوجود كدولة مستقلة.

٣- السيطرة العربية على باب المندب ، وأصبح البحر الأحمر بحرًا عربيًا بحق [(١)].

**رأي أحمد حمروش:**




رأى أحمد حمرش أحد الضباط الأحرار ومؤلف سفر كبير عن «ثورة ٢٣ يوليه» بأجزائه الثلاثة في نتائج ثورة اليمن ، ومساعدة القيادة المصرية لها فيما يلي:-

«.. فلابد من كلمة إنصاف لدور ثورة يوليو في مساندة ثورة سبتمبر وقرار

(١) أمين هويدي: مع عبد الناصر ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، الطبعة الثالثة، ١٩٩١ ، ص٢٤٨، ٢٤٩.

جمال عبد الناصر بالاعتراف الفوري والموافقة غير المترددة في مساعدة الثورة اليمنية بالقوات المسلحة كان نقطة البداية.. وكان في ذلك الرد على محاولات الإمبريالية (Imperlism) في تعويق الثورة العربية، ونجاحها في تحطيم الجمهورية العربية المتحدة لم يؤد إلى انحسار دائم، وإنما ظهر البعث الجديد في أكثر الدول العربية تخلفًا ضد أشد النظم انحطاطًا.. كان رفض المعاونة أمرًا غير مقبول، ولا وارد سياسيًا، فليس من منطق الثورة التقاعس عن مساندة حركات التحرر الوطني.. وإلا كانت نتيجة ذلك العزلة التامة عن ساحة الثورة العربية، وتسهيل فرصة الإطالة بنظام الحكم التقدمي في مصر، وعلى الذين يفصلون بين سلامة مبدأ المساعدة وأخطاء التطبيق أن يقدروا فزع الإمبريالية من ظهور عبد الناصر في الجزيرة العربية، ليطوق النظام السعودي، ويقترب من آبار البترول في الخليج، ويسيطر على مفتاح البحر الأحمر من الجنوب .. وما بذلته بعد ذلك من جهود ومساعدات لدفع نظام الحكم السعودي لمساعدة بقايا النظام الملكي في اليمن خلف أموال (أمير المؤمنين) البدر.

وعلى الذين يفصلون بين سلامة مبدأ المساعدة وأخطاء التطبيق أن يقدروا أيضًا غموض الموقف في اليمن، وطبيعة الحياة المتخلفة، واختلاف طبيعة الأرض، إلى جانب طبيعة الحكم في مصر، حيث انفردت زعامة جمال عبد الناصر (١٣٣٦هـ - ١٣٩٠هـ - ١٩١٨ - ١٩٧٠) بالتأييد الجماهيري المطلق.

- وما تحقق في اليمن لا يمكن قياسه بخسائر عشرة آلاف بطل فوق أرض اليمن، ولا في سقوط عشرات الألوف من اليمنيين في الحرب الأهلية، التي فرضها الملكيون فرضًا .. ولا يمكن قياسه أيضًا بما صرف من ملايين الجنيهات

على العمليات العسكرية[١].

كل هذه الأشياء صغيرة إذا قيست أو قورنت بالإنجاز الأعظم، وهو إنقاذ شعب اليمن من أبشع نظام متخلف، وإخراج جنوب الجزيرة العربية من حصار طويل إلى نور الحضارة العصرية.

إن مجرد دخول الكهرباء والمصانع وتعبيد الطرق وفتح المدارس والمستشفيات في مجاهل هذا البلد يضم ما يقرب من خمسة ملايين (وقت ثورة ١٩٦٢) قد اختصر الزمن، الذي كان يمكن أن يعيش فيه الشعب اليمني عشرات أو مئات السنين في هذا التخلف الشديد.

- والقول بأن مساعدة ثورة اليمن (سبتمبر ١٩٦٢) -كما يذكر حمروش- قد استنزفت مصر وكبدتها خسائر اقتصادية كبيرة.. هو قول مبالغ فيه كثيرًا.. فإن مساعدات الأسلحة كانت من الاتحاد السوفيتي، ووسائل النقل السريع أيضًا قد أعطيت كلها مجانًا.. والأمور لم تصل بمصر إلى حد الأزمة (Crisis)، بل ولم تقترب منها أبدًا.. لنمو خطط التنمية.

إن ملحمة القوات المسلحة المصرية فوق أرض اليمن هي من أعظم أمجاد ثورة يوليو (١٩٥٢) التي حاربت جنودها النظام الملكي الإقطاعي حتى انهار داخل الحدود[٢].

---

(1) أحمد حمروش: ثورة ٢٣ يوليو «مصر والعسكريون، مجتمع جمال عبد الناصر، عبد الناصر والعرب»، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ١٩٩٢، ص٨٩٨.

(2) أحمد حمروش: ثورة ٢٣ يوليو، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ١٩٩٢، ص٨٩٩.

**رأى الدكتور محمد علي الشهاوي:**

وفي رد مطول للشهاوي على ما أثير من انتقادات وتحليلات وتخارج بأن إسرائيل لم يبق أمامها سوى توجيه ضربة لمصر (في ٥ يونيو / حزيران ١٩٦٧) وضربة مبرحة لذلك البناء العسكري والسياسي والاقتصادي الناصري، والذي كان قد تآكل وامتص واستهلك في اليمن.. وقد قدم محمد علي الشهاوي الرد في النقاط التالية:-

١- إن حدث ٢٦ سبتمبر في صنعاء جاء في وقت كانت مصر واقعة فيه تحت الحصار «المباشر» سواء من قبل القوى الاستعمارية والرجعية، أو من الأنظمة الوطنية العربية كالعراق؛ حيث تمثل ذلك بصورة خاصة في نكسة الانفصال (بعد الوحدة مع سوريا عام ١٩٥٨) ومؤتمر شتورا، وتجميد مصر لنشاطها في الجامعة العربية[1].

٢- إن حدث ٢٦ سبتمبر (١٩٦٢م) بدأ انقلابًا عسكريًّا من أعلى شأن الكثير من الثورات العربية (وقتئذ)، والتي بدأت في شكل انقلابات عسكرية، ولكن الشرارة التي انطلقت – في هذا اليوم – سرعان ما تحولت إلى حريق ثوري عظيم اشتعلت به اليمن كلها، كما لم يحدث مع أي ثورة عربية أخرى[2].

٣- أن حركة ٢٦ سبتمبر (عام ١٩٦٢) أسقطت حصنًا إقطاعيًا عتيدًا وعريقًا كان يقوم على الحق الإلهي المطلق في الحكم، وعلى مذهبية كهنوتية طائفية عريقة (الإمامية الزيدية) شديدة التخلف والتحجر ممثلة في النظام

---

(1) دكتور محمد علي الشهاوي: عبد الناصر وثورة اليمن، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٧٦، ص٥٦.

(2) د. محمد علي الشهاوي: مرجع سابق ذكره، ص٥٧.

الإقطاعي – القبلي – الإمامي الذي عجزت كل – التمردات الداخلية – المعززة من دوائر الاستعمار البريطاني في عدن، والتي قامت بها الأجنحة الإقطاعية – القبلية المعارضة له من إسقاطه.

٤- إن البديل للحكم الإمامي – الإقطاعي – الكهنوتي كان إقامة جمهورية وطنية تقدمية لأول مرة في تاريخ جزيرة العرب.

٥- إنه إذا كان التركيب الاقتصادي – الاجتماعي لم يتغير بقيام هذه الثورة Revolution فإن التركيب السياسي تغير بها بالفعل، وكان ذلك هو المدخل الطبيعي – شأن كل ثورة وطنية – لتغيير البنية الاجتماعية خلال مسيرة الثورة Revolution.

– وهل من شهادة أقوى في هذا المجال مما قاله أحد خصوم الثورة البارزين – أحمد محمد الشامي وزير خارجية النظام الملكي المقبور، الذي غدا لفترة محددة قبل أن يصبح سفيرًا في لندن عضوًا في المجلس الجمهوري.. حيث يقول: «لقد تركت اليمن قرية مهجورة، فعدت إليها بعد أن أصبحت دولة كاملة، ولا شك أن الدور الذي قامت به الجمهورية العربية المتحدة في هذا المجال لن يمحا ولن ينسى بل سيظل على الدوام علامة مشرقة لما قدمته الشقيقة الكبرى لليمن» (الجمهورية – القاهرة ١١/ ٦/ ١٩٧٠)[1].

٦- أنه بفضل ثورة ٢٦ سبتمبر (عام ١٩٦٢) وفضل الوجود المصري في أرض الجمهورية التي صنعتها هذه الثورة Revolution، وبالاستناد الكامل إلى أرضها وعلى شعبها وعونها، وعلى العون والدعم القومي السخي والقوي

(1) محمد علي الشهاوي: عبد الناصر وثورة اليمن، مكتبة مدبولي ١٩٧٦، ص٥٩.

من جيش القاهرة هناك أمكن أن تنشب ثورة ٤ أكتوبر ١٩٦٣ في جنوب اليمن ضد الاستعمار البريطاني[١].

٧- أما الرد على المنطق القائل بأن مصر استدرجت إلى فخ استعماري في اليمن وأنها استنزفت هناك وأن ذلك كان من أسباب النكسة التي حلت بها في يونيو ١٩٦٧ وهو منطق تردده قطاعات من البورجوازية اليمنية والوطنية المصرية وأوساط قبلية في اليمن .. الرد عليه أن مصر – كمركز ثقل قومي ورائدة طبيعية للنضال العربي – لم يكن في مكانها أن تفر من نفسها ومن دورها المفروض عليها مجتمعية تاريخية وسياسيّة .. ولا حاجة للقول بأن مصر لم تنكس عسكريًّا عام ١٩٦٧ بسبب «حرب اليمن» التي – كما يقولون – استنزفتها واستنزفت جيشها هناك، وإنما انتكست لأسباب «سياسة داخلية» أكثر منها عسكرية .. ولم يكن العدوان الصهيوني – الاستعماري (في ٥ يونيو ١٩٦٧) إلا الفصل الأخير لمسرحية مأسوية منسوجة ومرتبة سلفًا[٢].

– والحقيقة حسبنا هذه الشهادات «الثلاث»، والتي حرصنا على طرحها بشكل كامل، والتي منها شهادة اثنين من الضباط الأحرار، وهم من الذين رافقوا عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠) في مشوار حياته، وفي ممارسة حكمه، بينما كان الثالث باحث أكاديمي، وكلهم أجمعوا على تثمين موقف عبد الناصر في حرب اليمن، ودوره الرائد في مساندة حركات التحرر العربي، ومنها ثورة اليمن.

---

(1) محمد على الشهاوي : عبد الناصر وثورة اليمن ، مكتبة مدبولي ، القاهرة، ١٩٧٦، ص٥٩.

(2) محمد علي الشهاوي : عبد الناصر وثورة اليمن ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، عام ١٩٧٦، ص٦٠.

# ٤

# عبد الناصر .. والثورة الليبية

## أ- ليبيا : التاريخ والاستعمار

تعتبر ليبيا صلة الوصل «الجغرافية» بين مصر والمغرب العربي ، وتشترك برقة المنطقة الشرقية من ليبيا مع صحراء مصر الغربيّة في كثير من السمات والصفات الطبيعية.. فالواحدة منهما استمرار للأخرى وسكان ليبيا بعضهم من أصول عربية ، والبعض الآخر من أصل عربي - بربري(١).. والبربر منهم ينتموا في أصلهم - كما يذكر كثير من المؤرخين - إلى العنصر الليبي القديم ، الذي يرتبط مع الأصول التي ينتمي إليها المصريون القدماء .. أما القبائل العربية، والتي استوطنت ليبيا - بعد إقامة مؤقتة في مصر - وخاصة بعد الفتح العربي الإسلامي لمصر ، وفتح الشمال الأفريقي - بعد ذلك.

- والجدير بالبيان أن ليبيا تعد رابع أكبر دولة في القارة الأفريقية من حيث المساحة إذا تبلغ مساحتها ١,٧٦٠,٠٠٠ كيلو متر مربع ، ولها حدود طولها ٤٣٨٣ كيلو مترًا منها ٩٨٢ كيلو مترًا مع الجزائر و١٠٥٥ كيلو مترًا مع دولة تشاد و ١١٥٠ كيلو مترًا مع مصر و ٣٥٤ كيلو مترًا مع دولة النيجر و٣٨٣

(١) نجلاء أبو عز الدين : ناصر العرب ، ترجمة فريد أبو عز الدين ، دار المستقبل العربي ، الطبعة الأولى ، عام ١٩٨٨ ، ص٢٤٢.

كيلومترًا مع جمهورية السودان و٤٥٩ كيلومترًا مع دولة تونس[١].

- ويوجد من هذه المساحة الليبية جزء قابل للزراعة ، وتنحصر الأراضي الزراعية في المناطق الساحلية بين برقة وطرابلس تفصل بينهما الصحراء التي يصل نتوء منها إلى البحر حول خليج سرت، وتضم الصحراء الداخلية واحات قليلة متفرقة[٢].

- وبعد احتلال الجزائر عام ١٨٣٠ وتونس ١٨٨١ واحتلال مصر عام ١٨٨٢ والسودان أيضًا ، واحتلال مراكش عام ١٩١٢ .. فلم يبق بعد ذلك في شمال أفريقيا على ساحل البحر الأبيض المتوسط Mediterranean Sea جزء لم تمسسه يد الاستعمار الغربي سوى إقليم طرابلس الذي يمتد غربي مصر مسافة أكثر من ألف ميل يصل ساحل البحر المتوسط ، وكان الإقليم حينذاك تابعًا للدولة العثمانية .. فتآمرت بشأنه فرنسا وإيطاليا ، واتفقنا سرًا على أن تترك إيطاليا فرنسا حرة في تغلغلها داخل مراكش، وفي مقابل ذلك لن تعترض فرنسا إذا امتدت يد إيطاليا ، فسلبت من الأتراك إقليم «طرابلس» ، وكان يشمل – وقتئذ – برقة وفزان وبعض الواحات[٣].

(1) أنتوني هـ. كوردسمان: بعد العاصفة ، التغيرات في التوازن العسكري بالشرق الأوسط ، مجلد، دار الهلال ، بدون تاريخ ، ترجمة وتقديم وتعليق المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة ، ص١٦٥.

(2) نجلاء أبو عز الدين: مرجع سابق ذكره ، ص٢٤٣.

(3) محمد رفعت : التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة ، دار المعارف ، مصر، عام ١٩٦٤، ص٤٢٩.

- ولم يجد الأسطول الإيطالي أية صعوبة تذكر في إخضاع المدن الساحلية الليبية طرابلس وبنغازي ودرنة ، ولكن القوات الإيطالية لم تجرؤ بعد على التوغل في الداخل الليبي.

- بيد أنه قد تفاوض السيد إدريس السنوسي (ابن عم السيد الشريف السنوسي والذي غادر البلاد تاركًا زعامة السنوسيين لإدريس) مع الإيطاليين بعد الحرب ، فاتفقوا معه على أن تكون له السلطة داخل إقليم برقة ، وتكون له الإمارة أيضًا بلقب (صاحب السمو) ، على شريطة أن يعترف لهم بحق السيادة ، فتم الاتفاق عام ١٩٢٠م، فأقام أهل طرابلس في عام ١٩٢٢م يدعونه لزعامتهم أيضًا ، وبذلك أصبح إدريس السنوسي يجمع في شخصه وحدة "برقة" و "طرابلس"[(١)].

- وسرعان ما عارضت دولة إيطاليا «المستعمرة» البيعة ، والتي قدمها «الطرابلسيون» للسنوسي[(*)] .. وعدلّت عن اتفاقها السابق معه ، وعادت

---

(١) محمد رفعت: مرجع سابق ذكره ، ص٤٣٢.

(*) تعود السنوسية من ناحية النشأة إلى مؤسسها محمد بن علي السنوسي (١٢٠٢ – ١٢٧ هـ - ١٧٨٧م – ١٨٥٩م) ، والذي ولد بالواسطة بالقرب من مستغانم بالجزائر .. وهو في الأصل مالكي المذهب.. وكان طموحًا للفروسية والعلم منذ النشأة .. والسنوسية السياسية قد اتخذت من الدولة العثمانية موقفًا يتراوح ما بين الصمت الحذر والمراوغة والعداء.. فهي قد أزعجت طلائع المد الاستعماري العربي على أفريقيا وأقلقت الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي وخاصة الجزائر .. وعندما ضغطت الدول الأوروبية الاستعمارية على السلطان العثماني عبد الحميد ( ١٢٥٨ هـ - ١٣٣٦ – ١٨٤٢ – ١٩١٨م) كي يوقف النشاط السنوسي استدعى المهدي السنوسي ( ١٢٦٠ – ١٣٢٠ هـ - ١٨٤٤ – ١٩٠٥م) ليقيم في الأستانة ، ويعيد للأذهان احتباس الأفغاني في القفص الذهبي .. ولكن السنوسي تخلص من هذا الفخ ، ونقل مقره بعيدًا في الصحراء الليبية .. فغادر جغبوب ثم الكفرة ، ثم إلى فرو بالسودان الأوسط .. والسنوسيّة معروفة بتشددها في القواعد الدينية.. ولزيادة التفاصيل في هذا الشأن.. انظر د. محمد عمارة في : «الاستقلال الحضاري» ، الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٣ ص٥١، وما بعدها.

إيطاليا تناهض حركة المقاومة السنوسيّة بالإيقاع بين الزعماء – كما يـذكر محمـد رفعت – بعضهم وبعض تارة ، وبالقدر حينا وبالجيوش والدبابات والطائرات الإيطالية أحيانًا، ولذلك لم يلبث السيد السنوسي بعد بيعتـه أن غـادر الـبلاد إلى مصر ، وبقى بها متصلًا بحركة المقاومة الليبية عـن طريـق أخيـه «الرضـا» ثـم بوساطة الزعيم «عمر المختار» (١٨٥٨-١٩٣١) ، والذي قاد الحركة بعد رحيل السيد السنوسي. حيث اتخـذ مـن «الجبـل الأخـضر» قاعـدة ومعقـلًا حـصينًا لمقاومته[١].

– وكانـت الحكوميـة الفاشـية Fascism بزعامـة موسـوليني Mussolini (١٨٨٣ – ١٩٤٥م) قد وليت أمر إيطاليا في خريف عـام ١٩٢٢م ، وفي مقدمـة أغراضـها الـسياسية الـسيطرة عـلى حـوض البحـر الأبـيض المتوسـط Mediterranean Sea وإحيـاء مجـد الإمبراطوريـة الرومانيـة القديمـة ، وأن تستعيد إيطاليا أملاك وممتلكات «روما القديمة» ، والتي منها طرابلس[٢].

– وأخيرًا عين القائد الإيطالي المشهور « جراتزيـاني Graziani حـاكمًا عامًـا على برقة وطرابلس ، وأخذ يعمل على إخضاع المقاومة الليبية «الباسلة» بالوعد والوعيد ، وبمختلف وسائل التعذيب البشعة ، والتـي تمثلـت ذروتهـا في إلقـاء «المجاهدين» الليبيين من الطائرات الإيطالية الشاهقة الارتفاع أثناء طيرانها على مواطنيهم وذويهم[٣].

(1) محمد رفعت : التوجيه السياسي للفكرة العربيّة الحديثة ، ص٤٣٢.

(2) محمد رفعت: مرجع سابق ذكره ، ص٤٣٣.

(3) محمد رفعت: مرجع سابق ذكره ، ص٤٣٣.

- وظل عمر المختار (١٨٥٨ - ١٩٣١) على نضاله المستميت، حتى نجحت القوات الإيطالية في محاصرته في الجبل الأخضر عام ١٩٢٦، مما اضطره إلى خوض حرب العصابات، حتى استنزف قوة الجيش الإيطالي، إلى حين القبض عليه ومحاكمته وإعدامه[١].

- فارتكبوا بإعدامه - كما يذكر محمد رفعت - إثمًا لا يزال عاره يلطخ صفحة استعمارهم إلى اليوم، وبموته انطفأ آخر بريق لحركة المقاومة في ليبيا، وأخذ الناس يتناقلون في جميع أنحاء العالم العربي Arab World أحدوثة البطل والبطولة التي اضطلع بها أهل برقة وطرابلس مدة عشرين عامًا، والتي تمثلت في جهاد السنوسيين، واستشهاد عمر المختار (١٨٥٨ - ١٩٣١) ومن سبقه من المجاهدين والشهداء[٢].



(1) إبراهيم عبد النبي : أشهر القادة، دار الحسام، ١٩٩٦، ص٢٣.

(2) محمد رفعت : التوجيه السياسي للفكرة العربيّة الحديثة - دار المعارف، طبعة عام ١٩٦٤، ص٤٣٤.



- وكانت ليبيا عند حصولها على الاستقلال Autonomy في كانون الأول - ديسمبر ١٩٥١ بلدًا فقيرًا لا تبشر توقعاته بمستقبل رغيد.. أما موقعها الجغرافي فذو أهمية إستراتيجية في التاريخ بالنسبة إلى الدول الكبرى ،وهـذا مـا قايـضت الحكومة عليه مقابل معونة مالية ، فوقعت في يوليو عام ١٩٥٣م معاهدة تحالف بريطانيا «العظمى» لمدة عشرين سنة تنتج للأخيرة إقامة قواعد جويّـة ومنـشآت عسكرية مقابل منحة سنوية قدرها ٣.٧٥٠.٠٠٠ جنيه إسـترليني .. وعقـدت في السنة التالية اتفاقية أخرى مع الولايات المتحدة الأمريكية أتاحت استخدام قاعدة «هويليس» الواقعة في مدينة طرابلس وتسهيلات عسكرية أخـرى حتـى عام ١٩٧٠م[١].

(1) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب ، ترجمة فريد أبو عز الدين ، دار المستقبل العربي ، القاهرة، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨ ، ص٢٤٣.

- وعلى الرغم من سوء الاحتلال الإيطالي لليبيا وبشاعة أسلوبه، وخاصة في ظل الحكومة الفاشية Fascism إلا أن الباحثة نجلاء أبو عز الدين - ترى أن الإيطاليين قد خلفوا أثرين إيجابيين: أحدهما المستوطنات الزراعيّة، التي كانت نموذجًا لزراعة ناجحة، ولكن هذه المستوطنات التي كان يملكها ويديرها المستوطنون الإيطاليون ما لبثت أنّ ذوت بعد أنّ غادرها أصحابها.. أما الأثر الثاني والدائم فهو الطريق الساحلي الذي يربط برقة بمقاطعة طرابلس، ويمتد من حدود مصر إلى حدود تونس[١].

- ورغم اكتشاف النفط في ليبيا وتدفق ثروة كبيرة لم تكن تحلم بها من جراء اكتشاف وتنمية النفط، إلاّ أنه لم يستفد المواطن الليبي سوى القليل من الازدهار النفطي وإن كان المدخل من النفط قد زاد دخل الفرد في سنة ١٩٦٧م إلى ألف دولار بالمقارنة بثلاثين دولارًا عند الاستقلال Autonomy عام ١٩٥١.. فإن معظم الليبيين استمروا يعيشون كالسابق على رقم لا علاقة له بالمعدل، فقد تبددت الثروة البترولية في الاستهلاك المفرط ومشاريع البناء الفخيمة والفساد الحكومي المستشري إذ سقطت ثمار الثراء الضخم في أحضان أفراد القلة الحاكمة، الذين جمعوا ثروات خيالية[٢].

---

(1) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب، ص٢٤٣.

(2) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب، ترجمة فريد أبو عز الدين، دار المستقبل العربي، الطبعة الأولى، ١٩٨٨، ص٢٤٤.

## ب- القذافي وثورة ليبيا على النهج القوميّ الناصري:

يقول أنيس الدغيدي في كتابه «جنرال الحريّة، واصفًا التشابه بين معمر القذافي (١٩٤٢-.....) وعبد الناصر (١٩١٨ - ١٩٧٠) بشاعرية فياضة، وأنا أبحث في شخصية ناصر والقذافي الآسرة .. وأجول في مفهوم ذات كل منهما، وأسبح في مجهول نفسْ كل زعيم منهما تعجبت وأكرر : نعم تعجبت !! فهناك تشابه وصل إلى الامتزاج وتقارب بلغ شتى المعايير .. وانسجام تخطى كل تصور .. وتناغم واتحاد ويقين بين الزعيمين الكبيرين دنا من الانصهار وتجاوب وعشق سرمدي فات كل الحدود، وفاق كل المتاريس ، وجاز كل ممكن وعَبر كل مُتاح فناهز الثُريا بسنوات ضوئية !!![1].



- ولعل الزعيم الخالد (عبد الناصر) قد سلم العقيد القذافي - كما يذكر الباحث الليبي محمد عبد المولى - مفتاح السر أو لعل السر الذي سكن في قلب عبد الناصر قد انتقل إلى قلب معمر القذافي ، فكما عمدّت الأمة العربية الزعيم الراحل رجلها ورافضة فارسها.. يخوض باسمها أنبل المعارك، ويقف في أشرف المواقع ، كذلك ومن اللحظة الأولى أخذت بيد معمر

(1) أنيس الدغيدي: جنرال الحريّة ، مكتبة جزيرة الورد ، دار الدغيدي ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٠، ص٢٠.

القذافي ، لتضعه ، حيث يحيا من المكانة[١] .

ويقول الباحث الليبي عبد المولى موضحًا ومؤكدًا على مدى التماهي بين شخصية القذافي وعبد الناصر ذاكرًا أنّ «كلاهما» من أبناء الفقراء .. فقراء الأمة العربية التي كدحت وتكدح من أجل مستقبلها وغيرها ، وكذلك كانت تفاصيل الحياة القريبة التي كانت في متناول أيدينا.. فإذا كان عبد الناصر قد خرج من الصعيد إلى الإسكندرية إلى القاهرة عابرًا حياة قاسية ، فإن معمر القذافي أيضًا قد خرج من الصحراء متجهًا إلى بنغازي ومصراته ، ومن ثم طرابلس ، وإذا كان عبد الناصر طالبًا وطنيًا تحمل سماته وقسماته ملامح الزعامة المبكرة وهو مازال في شرخ الشباب، فإن معمر القذافي أيضًا تطبع بنفس الطابع.. الأول قاد المظاهرات وضرب في جبهته بالرصاص والآخر قاد المظاهرات وتعرض لملاحقة البوليس الرجعي وإلى الطرد من المدارس ، إذا كان عبد الناصر قد دخل الجيش بنوازع وطنية قومية فإن معمر القذافي قد دخل الجيش بنفس النوازع[٢] .

- ألم يقل عبد الناصر لمعمر القذافي : « معمر أرى فيك صورة من شبابي»؟ ألم تتصل ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة بثورة يوليو العظيمة ، وأن تعتبر الثورتان رافدان كبيران في الثورة العربية الكبرى الحقيقية[٣] .

---

(1) محمد عبد المولى : معمر القذافي : الإنسان والقائد والقضية ، دار الكتب العربي ، طرابلس ، بدون تاريخ، ص٦٧.

(2) محمد عبد المولى : معمر القذافي .. الإنسان والقائد والقضية ، دار الكتاب العربي ، طرابلس، الجماهيرية ، ص٦٧ ، ٦٨.

(3) محمد عبد المولى: مرجع سابق ذكره ، ص٦٨.

- ويؤكد الباحث محمد عبد المولي على التماهي الكبير بين عبد الناصر (١٣٣٦ - ١٣٩٠ هـ - ١٩١٨ - ١٩٧٠م) والقذافي حتى في سطوع وانبلاج الثورتين وتقارب ظروف اندلاعها، فيقول: «وإذا كان أن نخلص إلى القول عن ماهية الزعامة العربية المعبرة عن ضمير الأمة العربية، فإننا نقول أنها الزعامة التي سطعت فجأة في ليل الهزيمة والنكبة.. سطعت زعامة عبد الناصر بعد نكبة ١٩٤٨، وسطعت زعامة معمر القذافي بعد نكبة ١٩٦٧، وكانت الأولى ردًا عن الهزيمة، وكانت الثانية ردًا عن الهزيمة[١].

ويروي محمَّد حسنين هيكل في كتابه «كلام في السياسة» عن ذكرياته لبدايات ثورة القذافي، فيقول: كانت أنباء الثورة في ليبيا قد أعلنت للعالم الخارجي من إذاعات طرابلس وبنغازي ضحى يوم أول سبتمبر ١٩٦٩م، وكان الإعلان مصحوبًا بالبيان الأول للثورة على مكتبي حوالي الساعة العاشرة صباحًا، واتصلت بـ«جمال عبد الناصر»، لكنه قد دخل إلى القاعة اجتماع طارئ لدول المواجهة (كما كانت تسمي في ذلك الوقت، وكانت تضم مصر وسوريا والعراق والأردن)، وكان المطلوب من هذه الدول تنسيق العمل العسكري على الجبهة الشرقية، استعدادًا للمعركة القادمة مع إسرائيل.. وفي الساعة الثالثة والربع، عاد جمال عبد الناصر إلى الاتصال بي يقول: إن ضابطًا ممثلًا لقيادة الثورة في ليبيا قصد القنصلية المصرية في بنغازي، وأبلغ رسالة مفادها أن قيادة الثورة في ليبيا تريد اتصال سريع مع القاهرة»[٢].

---

(1) محمد عبد المولى: مرجع سابق ذكره، ص٦٨.

(2) محمد حسنين هيكل: كلام في السياسة، قضايا ورجال: وجهات نظر (مع بدايات القرن الواحد والعشرين)، المصرية للنشر العربي والدولي، الطبعة الخامسة، يناير، ٢٠٠١، ص١٧٠.

- ويستطرد هيكل في روايته فيقول: «وفي أكتوبر ١٩٦٩ – أي بعد شهر من الثورة – جاء معمر القذافي إلى القاهرة للقاء مباشر وجها لوجه مع جمال عبد الناصر، وكان مشهد للحظة الأولى من اللقاء مؤثرًا من الناحية العاطفية، ومع ذلك فإن الكلام الذي دار بعد اللحظة الأولى كان في صميم أزمة الشرق الأوسط.. ولم يكن لدى «جمال عبد الناصر» تردد في الإجابة عما سأله فيه معمر القذافي، وإنما كانت إجابته واضحة:

١- لا تقترب من امتيازات البترول في ليبيا الآن، ليس ذلك هو الوقت المناسب.

٢- لا تحاول التسرع بإلغاء اتفاقيات القواعد في ليبيا، وذلك الآن استفزاز لا تحتاجون إليه.

٣- لا داعي لأي حديث عن الوحدة الآن بين مصر وليبيا، تلك مسألة يُستحسن تأجيلها إلى ما بعد مشكلة القواعد الأمريكية والبريطانية.

٤- هناك كثيرون يستطيعون المشاركة فيه ضمن الجهد العسكري العربي، ولكن أفضل أولًا أن تبحثوا أموركم في ليبيا أولًا وتعطوا أنفسكم فرصة للاستقرار.

لا تقلقوا من تأجيل إسهامكم العملي في الجهد العسكري، وتذكروا أن مجرد قيام الثورة في ليبيا، هذا الوقت بالذات، إضافة إستراتيجية كبرى إلى القوة العربية[١].

---

(١) محمد حسنين هيكل: كلام في السياسة قضايا ورجال: وجهات نظر (مع بدايات القرن الواحد والعشرين) المصرية للنشر العربي والدولي، الطبعة الخامسة، ٢٠٠١، ص١٧٥، ١٧٦.

- وبعد شهرين من اجتماعهما - في القاهرة - أتيحت لجمال عبد الناصر ومعمر القذافي فرصة التعرف الحقيقي كلاهما على الآخر بالصحبة المباشرة، ففي ديسمبر ١٩٦٩ كان هناك موعد لمؤتمر قمة عربي ينعقد في الرباط يتدارس فيه الملوك والرؤساء العرب أحوال أزمتهم ومستجداتها ودرجة استعدادهم للعمل المشترك من أجل هدفهم المعلن وهو إزالة آثار العدوان (سنة ١٩٦٧)[(١)].

- والجدير بالبيان في هذا الصدد أن ثورة ليبيا أول سبتمبر ١٩٦٩، كانت مفاجأة لكل القوى المناهضة للثورة العربية، سواء القوى الخارجية المتمثلة في الاستعمار الجديد والصهيونية العالمية أو القوى الرجعية المحلية على المستوى العربي عامة والليبي خاصة .. ورأت هذه القوى في هذه الثورة Revolution خطرًا كبيرًا على مصالحها[(٢)].

- وكان للوجود الاستعماري «المسلح» المتمثل في القواعد العسكرية الأمريكية والبريطانية (الملاحة الأمريكية وقاعدة العظم البريطانية) أثره في ضرورة قيادة قادة الحركة الثورية في ليبيا بحسابات دقيقة وعبارات محسوبة لا يتخذ الاستعمار Colonialism من هذه القواعد فرصة لضرب الثورة والإجهاز عليها في أي لحظة[(٣)].

- كانت مصر أول دولة تعترف بالنظام الثوري الجديد في ليبيا، وكان

(1) محمد حسنين هيكل: كلام في السياسة، ص١٧٦.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب «أربعون عامًا على ثورة يوليو» تحرير د: رءوف عباس حامد، مركز الدراسات والإستراتيجيات، الأهرام، القاهرة، يوليو، ١٩٩٢، ص٢٣٢.

(3) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٨، ص٢٤٦.

واضحًا أن عبد الناصر (١٣٣٦ - ١٣٩٠ هـ - ١٩١٨ - ١٩٧٠) يعتبر نجاح هذه الثورة Revolution وتثبيت أقدام القائمين بها مسئولية شخصية بالنسبة له، فهي قد أضافت إلى الحركة التي قامت في السودان في مايو ١٩٦٩ (بقيادة النميري) دعمًا جديدًا للثورة العربية، ودللت على أن التحرك العربي نحو التغلب على آثار هزيمة يونيو / حزيران عام ١٩٦٧م يسير في خط صاعد وأن إمكانية التجمع العربي على أساس قوميّ مازالت قائمة وصاعدة[١].

- وقد أمدت مصر الثورة من بداية اندلاعها بكل أشكال الدعم، فاستجاب عبد الناصر بطلب مجلس قيادة الثورة للمساعدة في احتياجات الثورة لإعادة تنظيم الجيش، والأسلوب المقترح والأفضل لتقديم الخبرات المصرية وبالصورة المقبولة، والتي لا تولد أي حساسيات بين البلدين الشقيقين[٢].

- وفي المجالات المدنية قدم عبد الناصر (١٩١٨ - ١٩٧٠) كل ما طلب منه من جانب ليبيا، وقد وضح اهتمامه بالثورة الليبية في رسالة للقذافي في ١٢ أكتوبر ١٩٦٩ والتي حملها للعقيد القذافي محمد حسنين هيكل، وقد ركزت الرسالة على أهمية دعم الثورة الليبية، والحرص عليها، وتقدمها باعتبارها أملًا عزيزًا تحقق للأمة العربية[٣].

---

(1) د. فؤاد المرسي خاطر : الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، في كتاب (أبعون عامًا على ثورة يوليو)، مؤسسة الأحرار، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية عام ١٩٩٢، ص٢٣٣.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر: مرجع سابق ذكره، ص٢٣٤.

(3) د. فؤاد المرسي خاطر: مرجع سابق ذكره، ص٢٣٤.

- لقد حرر الثوار الجدد ليبيا من وضع المحمية إذ توصلوا خلال أشهر من تسلمهم الحكم إلى اتفاق مع الحكومتين البريطانية والأمريكية على إنهاء المعاهدات التي أعطتها تسهيلات عسكرية في ليبيا ، وتم في يونيو (حزيران) عام ١٩٧٠م الجلاء عن القاعدة الأمريكية في مطار هويليس» اسم عقبة بن نافع أحد أبطال الفتح العربي الإسلامي بشمال أفريقيا في القرن السابع الميلادي، وأصبح قاعدة «العظم» قرب طبرق تعرف بمطار جمال عبد الناصر [1].

- وقد أكد معمر القذافي – دائمًا استعداد بلاده لتقديم كافة إمكاناتها لخدمة المعركة العسكرية ضد إسرائيل (الصهيونية) موضحًا أن إقدامهم على شراء صفقة طائرات «الميراج» الفرنسية كان هدفه الرئيسي من إبرامها دعم القوات الجوية المصرية بهذه الطائرات، وأنهم على أهبة الاستعداد لتزويد القواعد المسلحة المصرية باحتياجاتها من الأسلحة والمعدات العسكرية الفرنسية.

- وقد كان الاجتماع الأخير مع القذافي ( ١٩٤٢ - ......) وجمال عبد الناصر قد تم عمل مذكرة لعرضها على مجلس قيادة الثورة الليبي تتضمن:-

١- تشكيل مجلس حرب موحد من وزير الدفاع في البلدين يستهدف خطط الدفاع اللازمة – وضع المقترحات العامة اللازمة للدفاع عن البلدين – إعداد خطة بناء القوات المسلحة للدولتين – تقديم ميزانية الدفاع السنوية لمشروعات الدفاع المشترك – العمل على توحيد القوانين.

٢- ينشأ المجلس سكرتارية دائمة من الخبراء العسكريين في الدولتين.

---

(1) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب ، ترجمة فريد أبو عز الدين ، دار المستقبل العربي، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨، ص٢٤٦.

٣- تعرض قرارات المجلس على رئيسي الدولتين للتصديق عليها.. وتسلم معمر القذافي صورة من المذكرة لمناقشتها مع أعضاء مجلس قيادة الثورة، وعاد إلى ليبيا في ديسمبر ١٩٧٩.

- كان عبد الناصر (١٣٣٦ – ١٣٩٠ هـ – ١٩١٨ – ١٩٧٠م) يرى أن التنسيق بين مصر والسودان (بعد ثورتها عام ١٩٦٩) وليبيا يمثل تحالفًا ثوريًّا وصولًا إلى تحقيق التغيير الاجتماعي المنشود والأمل، والتقدم لمصلحة الجماهير العربية على طريق النضال العربي لتحقيق الوحدة العربية.

ومن أجل ذلك تم التفاهم بين عبد الناصر والقذافي (١٩٤٢ – .....) وجعفر النميري (ت ٢٠٠٩) لعقد اجتماع في طرابلس .. وبالفعل عقدت اجتماعات لمناقشة ميثاق «طرابلس»، ويهدف البدء في اتخاذ خطوات إيجابية كمرحلة أولى لتوحيد القوات المسلحة على طريق الوحدة الشاملة للدول الثلاث، وقد تم بالفعل بعد مباحثات استغرقتا يومي ٢٦، ٢٧ ديسمبر ١٩٦٩م، حتى تم الاتفاق على إصدار بيان ثلاثي في ٢٧ ديسمبر ١٩٦٩[1].

ويقول جمال العطيفي في كتابه «في حياة عبد الناصر» في هذا الصدد: «كان المغزى العظيم لهذا اللقاء أنه يقيم جبهة عربية ثورية تنطلق بقدرات ليبيا ومصر والسودان في تجانس حضاري، وأنه قد تم على أرض ليبيا التي تمكنت بفضل ثورتها ونضال وتصميم طلائعها الثورية من تصفية القواعد العسكرية الأجنبية، فهو بذلك كان تأكيدًا؛ لأن هذا النضال يوسع جبهتنا المقاتلة في وجه

---

(١) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب «أربعون عامًا على ثورة يوليو»، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ص٢٣٧.

العدو وبه يتسع ميدان القتال ضده من القاهرة إلى طرابلس إلى الخرطوم ، حيث تحشد كافة الطاقات والإمكانيات وصولًا إلى النصر ، وهو الرد الحاسم على الهزيمة ورفضها ، كما أن اللقاء كان دعمًا ماديًا للثورة الفلسطينية الباسلة ، والحق المشروع لفلسطين في استعادة حقوقه.

فهذا الاتفاق على طريق الوحدة كان انطلاقًا من الشعور الذي سبق للرئيس عبد الناصر أن رفعه وهو وحدة الهدف كطريق إلى الوحدة العربية The Arab Unity[١].

– وقد أكد اتفاق طرابلس أهمية العربي الموحد بين البلدان الثلاثة (مصر – ليبيا – السودان) تحقيقًا لأهدافها بما يعود بالرفاهية والمنفعة المتبادلة على شعوب البلدان الثلاثة وعلى الأمة العربية The Arab Countries جمعاء .. كما وضع اتفاق طرابلس خطوات مدروسة للتوصل إلى ذلك ، فعقد اجتماعات دورية للرؤساء الثلاثة كل أربعة أشهر لمتابعة الأهداف والمبادئ التي أعلنتها ثوراتهم، وأماني وتطلعات الأمة العربية The Arab Countries في الحرية والاشتراكية Socialism والوحدة ، كما تنشأ لجان مشتركة في كافة المجالات لوضع الأسس الكفيلة بتحقيق التعاون والتكامل بين الأقطار الثلاثة : (مصر – ليبيا – السودان)، مما يعود بالمنفعة المتبادلة والتكامل بين الشعوب الثلاثة[٢].

وتنفيذًا لاتفاق طرابلس – كما يذكر جمال العطيفي – التقى الرؤساء الثلاثة : (عبد الناصر – القذافي – النميري) في دورتين أخريين إحداهما في القاهرة في

(1) جمال العطيفي : في حياة عبد الناصر ، ص١٥٩ وما بعدها.

(2) جمال العطيفي : في حياة عبد الناصر ، ص١٥٩ وما بعدها.

فبراير ١٩٧٠ والثانية في الخرطوم في مايو ١٩٧٠ ، وشكلت لجان ثمان مشتركة لخبراء الدول الثلاث مهمتها تحقيق التعاون والتكامل بينهما في كل المجـالات ، كما عقدت اجتماعات مشتركة بين الوزراء المختصين في الشؤون الخارجية ، وفي الاقتصاد ، وفي الزراعة والصناعة والإعلام والتربية والتعليم[١] .



– وهكذا كانت لقاءات الثورات الثلاث تجسيد آمـال الـشعب العـربيّ في رفض الهزيمـة ، وتؤكـد الإصرار عـلى النـضال مـن أجـل النـصر ، والتوجـه بخطوات جادة نحو الوحدة .. وكان ما تـضمنت مـن اتفاقيـات وتوصـيات ، التي ترتبت على الاجتماعات المـشتركة خطـوة إيجابيـة إذا مـا وضـعت وضـع التنفيذ بعيدًا عن العوائق والعراقيل المختلفة[٢] .

(1) جمال الععطيفي : في حياة عبد الناصر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠، ص١٦٠.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليـو ١٩٥٢ في كتـاب : ((أربعـون عامًا علـى ثـورة يوليـو)) ، مؤسـسة الأهـرام ، مركـز الدراسـات الـسياسية عـام ١٩٩٢ ، ص٢٤٠.

- ويمكن القول ومعنا بعض الباحثين بأن تتبع مسيرة الثورة الليبية يؤكد المساندة المخلصة والقوية لهذه الثورة Revolution من جانب الثورة المصرية (بزعامة عبد الناصر)، والتي اعتبرت قائدها معمر القذافي بمثابة الأمين على القومية العربية The Arab Nationalism ، كما كانت المساندة التي قدمتها القيادة المصرية – كما يذكر فؤاد المرسي خاطر – قد جاءت في إطار تخطيط واع ملم بطبيعة التحديات التي يمكن أن يفرضها أعداء التحرر العربي، الأمر الذي اهتمت به الثورة المصريّة بدراسته جيدًا، بهدف تجنيب وإبعاد الثورة الليبية (بقيادة القذافي) اتخاذ مواقف تحد من قدرة مسيرتها الثورية، وانطلاقتها، كما أن هذه المساندة (المصريّة) لم تقف عند حدود تأمين الثورة Revolution ، بل تعدت ذلك، وقدمت كل الخبرة المصريّة المتاحة في كل مجالات التنمية، لرفع مستوى معيشة الشعب الليبي، وسيطرة أبنائه على ثروات أرضهم بعيدًا عن كل صور الاستغلال الأجنبي.

- وهكذا نجحت ثورة ليبيا في عامها الأول في تحقيق الاستقرار والاستمرار، وما كادت تحتفل بمرور عامها الأول، حتى صدمت وصدمت معها الأمة العربية The Arab Countries كلها بوفاة عبد الناصر في الثامن والعشرين من سبتمبر ١٩٧٠[1].

(1) فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب: «الأربعون عامًا على ثورة يوليو» (تحرير د. رؤوف عباس حامد)، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، الأهرام، يوليو، ١٩٩٢.

# ٥

# عبد الناصر ... وثورة السودان عام ١٩٦٩

## أ- السودان : التاريخ والجغرافيا السياسيّة والاستعمار البريطاني :-




من المعلوم جغرافيًا أن السودان من أكبر الدول في إفريقيا ، فمساحتها الكلية ٢:٥٠٥.٨١٠ كيلو متر مربعًا ، وهذا يساوي ربع حجم الولايات المتحدة الأمريكية – كما يذكر أنتوني هـ . كوردسمان الاستراتيجي الأمريكي – وتمكن

أهمية «السودان» الإستراتيجية في سيطرته على معظم المياه الواردة من النيل ، وسواحله الـ ٨٥٣ كيلومتر على البحر الأحمر ، وحدوده مع كثير من دول أفريقية أخرى.. فللسودان حدود طولها ١١٦٥ كيلو مترًا مع أفريقيا الوسطى و ١٣٦٠ كيلو مترًا مع تشاد ، و١٢٨٣ كيلومترًا مع أفريقيا الوسطى ، و١٣٦٠ كيلو مترًا مع دولة أوغندا ، و٦٢٨ كيلو مترًا مع دولة زائير (الكونغو) ، وتعداد سكان السودان حوالي ٢٧.٢ مليون نسمة ( حسب إحصائيات التسعينيات من القرن العشرين) ، ومعدل النمو السكاني ٣٪ ، وهي مقسمة بشدة عرقيًا ، فحوالي ٥٢٪ من سكان سود ، ٣٩٪ عربي ، ٦٪ بيجا ، ٢٪ أجانب ، و١٪ آخرون .

– والعرب في الشمال كلهم تقريبًا مسلمون سنيون ، وكذلك كثير من السود الأمر الذي يجعل الدولة ٧٥٪ منها مسلمون ، وحوالي ٢٠٪ لا دينيون ، و٥٪ مسيحيون كلهم من السود .. ففي الجنوب أدى ذلك إلى انقسام مرير بين العرب واللاعرب ، والمسلمين وغير المسلمين، وانقسام الجنوب عن الشمال[1] .

---

(1) أنتوني هـ. كوردسمان : بعد العاصفة التغيرات في التوازن العسكري بالشرق الأوسط ، دار الهلال، مجلد بدون تاريخ ، ترجمة وتقديم وتعليق المشير عبد الحليم أبو غزالة ، ص٦٨٦.

– ويقدر أول تعداد للسكان عام ١٩٥٦ (فور الاستقلال) أن البلاد بها ٧٥٢ قبيلة ، وأنهم يتحدثون ١١٤ لغة مكتوبة ومنطوقة ، ومن بين هذه اللغات توجد ٥٠ لغة في جنوب السودان، وبالنسبة للأصول الإثنية يتضح أن ٤٠٪ من إجمالي السكان عرب أو ينتسبون إلى قبائل عربية ، وأن ٣٠٪ من إجمالي السكان جنوبيون من أصول أفريقية ، وأن ١٢٪ من السكان من قبائل غرب أفريقيا ، وأن ١٢٪ نوبايون بوجاه ، وأن ٣٪ نوبيون ، وأن ٣٪ أجانب مولدون ، وبالنسبة للتقسيم اللغوي في البلاد: فإن ٥١٪ من السكان يتكلمون العربية ، و٤٨٪ يتكلمون لغات ولهجات أخرى. ولزيادة التفاصيل ، ولمعرفة الاختلاف في الإحصائيات والبيانات – انظر: عبد الملك عودة في: السياسة الدولية العدد ١٠٩ ، يوليو ١٩٩٢، بعنوان «مستقبل جنوب السودان بين وحدة الدولة أو الانفصال» ، وانظر أيضًا لزيادة التفاصيل طلعت رميح: في كتاب مستقبل السودان ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٩٤، ص٤٩.

ويقول طلعت رميح في كتابه «مستقبل السودان» أنه : «تحتوي الأراضي السودانية على حوالي ٢٠٠ مليون فدان من الأراضي الخصبة القابلة للزراعة ، و٤٠٠ مليون مليون فدان من المراعي والغابات ... ورغم هذه المساحة الهائلة الاتساع – تساوي مساحة مصر مرتين ونصف المرة – فإن عدد سكان السودان وفقًا لتقديرات عام ١٩٩٢ لا يزيد عن ٢٧ مليون نسمة فقط يمثلون سدس سكان العالم وأقل من نصف سكان مصر !!»[١].

– والسودان الذي تشكلت حدوده هذه لم يكن يومًا معروفًا بهذا الاسم أو التكوين الجغرافي أو المساحي في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي قبل أن يقوم محمد علي ( ١٧٦٩ – ١٨٤٩ ) بغزو ممالكه المستقلة وتوحيده على الصورة الحالية ، إذ عندما غزا محمد علي باشا ( ١٧٦٩ – ١٨٤٩ ) والي مصر .. والسودان، واحتل أراضيه في الربع الأول من القرن التاسع عشر ، لم يكن هناك ثمة كيان سياسي موحد باسم ذلك القطر[٢].

– فإن غزو السودان وتوحيده لم يتم دفعة واحدة ، كما أنّ السودان الذي تسلمه أهله بعد إعلان الاستقلال لم يكن السودان الذي غزاه محمد علي ووحده، بل هو السودان بعد أن اقتطعت الدول الاستعمارية (بريطانيا – فرنسا وبلجيكا) أجزاء منه وأضافوها لدول أخرى!![٣].

---

(1) طلعت رميح: مستقبل السودان ، دار الطباعة الحديثة ، عام ١٩٩٤، ص٢٣.

(2) طلعت رميح : مستقبل السودان (أزمة الحكم – أزمة الجنوب – أزمة الهوية) ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٩٤م ، ص٢٤.

(3) طلعت رميح : مرجع سابق ذكره ، ص٢٤.

- وإذا كان الحكم التركي / المصري قد بدأ عام ١٩٢١ ببدء غزو محمد علي (١٧٦٩ - ١٨٤٩) للسودان ، وإذا كان خلفاء محمد علي باشا تابعوا غزو بقية أقاليم السودان ، وفرض أجهزة الحكم التي ستخدم طموحاتهم ومطامعهم في السودان ، ورغم أن انجلترا اضطرت اضطرارًا لعقد اتفاقية مع مصر في عام ١٨٧٧م ، إلا أن نفس المخطط الاستعماري ، الذي طبق في مصر ، وأدى لثورة أحمد عرابي (١٨٤١ - ١٩١١) أي: التغلغل والسيطرة الاقتصاديّة هو نفسه الذي طبق - بالفعل - في السودان ، وأدى لاندلاع وانفجار الثورة القومية الأولى في السودان في الفترة من ١٨٨١ - ١٨٨٨[1].

- فقد كانت الضربة التي وجهت للحركة الوطنية القومية السودانية بهزيمة الثورة الإسلامية كانت قاسية مثلها في هذا الشأن مثل ما أصاب الحركة الوطنية، التي انكسرت بعد هزيمة أحمد عرابي ( ١٨٤١ — ١٩١١) والثورة العرابية[2].

- وكان من نتائج الحكم التركي / المصري وهو وضع السودان بما في ذلك الأجزاء الجنوبية في البلاد تحت سيطرة مركزية واحدة ، وكان أهمها مدينة الخرطوم «النهرية» ، وكان لنقل مركز السلطة .. إلى الخرطوم.. من دافور وسنار في الأطراف نتائج كبيرة على التنمية السياسية في السودان... حيث كان يعني تقوية موقع السودان النهري الأوسط على حساب الأطراف ، ولعل أهمية الفترة المهدية ( ٨٥ — ١٨٩٨) لمراحل تشكيل دولة السودان ، وتحديد تخومها لا تكمن

(1) طلعت رميح : مستقبل السودان ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٩٤، ص٣١.

(2) طلعت رميح : مستقبل السودان ، ص٣٤.

في دعوة المهدي(*) لتأسيس دولة إسلامية .. وإنما في قدرته كقائد كاريزمي على استغلال ظروف السخط والسأم السياسي ، الذي وضع أسسه ورسبه الحكم التركي – المصري وتوحيد السودانيين الهامشيين لدحر مركز السلطة السياسيّة في الخرطوم.

ويقول أنتوني كوردسمان أنه قد : «فرضت بريطانيا الوحدة مع الجنوب وشمال السودان بعد عام ١٨٩٩ رغم أنها استمرت في إرسال قوات إلى الجنوب حتى عام ١٩٢٨ ، وهذه الوحدة المفروضة أصبحت مشكلة منذ ذلك الوقف ، عندما سمحت بريطانيا (العظمى) بالحكم الذاتي المحدود عام ١٩٥٥ عارضت بعد الوحدات العسكرية من السود الجنوبيين في الفيالق الاستوائية هذه الوحدة، التي كانت تعاني سيطرة العرب في الشمال»[١].

---

(*) تنتسب المهدية إلى مؤسسها محمد أحمد المهدي ( ١٢٦٠- ١٣٥٢هـ - ١٨٨٤ – ١٨٨٥م) ، والذي كان ميلاده في جزيرة لبب في أسرة فقيرة .. مارس التعليم ، ثم اتجه إلى التصوف والزهد ، وتنسك حتى زاعت شهرته ، وانتشر ذكره بين الناس .. وفي عام ١٨٨١ أعلن أنه المهدي ، وأن الرسول ﷺ قد جاءه في الرؤيا .. وقد حصل «المهدي» على البيعة له «بالمهدية» ، كان المبايعون له يعطونه أنفسهم وأموالهم ، وكان ذلك بمثابة الرمز للتجسيد والجماعة والدولة .. وكان لمحمد أحمد «المهدي» طموح إلى الإصلاح العام للمجتمع ، وإلى بناء مجتمع على غرار ومنوال مجتمع الرسول ﷺ في صدر الإسلام ، وقد استعان على ذلك الإصلاح بالفقهاء والحكام، لكنهم خذلوه ، فاتجه إلى الناس ، ولمزيد من التفاصيل.. انظر: د. محمد عمارة : في الاستقلال الحضاري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، عام ١٩٩٣ ، ص٥٩ وما بعدها.

(١) عصام عبد الفتاح : أشهر الثوار والثورات في تاريخ أفريقيا والعالم ، كنوز للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٨،ص١٩٠. =

## ب- عبد الناصر وانبلاج ثورة النميري عام ١٩٦٩:



- ومنذ إعلان استقلال السودان رسميًا في أول يناير ١٩٥٦ لم تحاول مصر في عهد عبد الناصر التدخل في الشأن الداخلي للسودان، إيمانًا بموقف الثورة Revolution بضرورة التأكيد على ترك السودانيين يديرون أمورهم بالشكل الذي

=- ظهرت حركة تحرير الأرض أو أنونيا ANYNYA عندما سمحت بريطانيا بالحكم الذاتي المحدود على السودان عام ١٩٥٥ بعد معارضة الوحدات العسكرية من السود الجنوبيين في الفيالق الاستوائية بعد أن فرضت بريطانيا (العظمى) الوحدة على شماله وجنوبه بعد عام ١٨٩٩.. وفي الفترة التي تلك الاستقلال مباشرة قامت عناصر السود المكونة لحركة أنونيا بإنشاء قوات غير نظامية تدريجيًا ودارت إغارات متناثرة في الجنوب.. وحاول العسكريون السيطرة على الجنوب، وتمكنت أنونيا أو أنانيا من اكتساب بعض القوة، وتحولت إلى حركة أطلقت على نفسها اسم الاتحاد القومي للسودان الأفريقي SANU عام ١٩٦٣ بقيادة إميل تافينج، وظلت في صراع مع الحكومات المتعاقبة إلى أن استطاع جعفر النميري (ت ٢٠٠٩) عام ١٩٧٢ من إنهاء الحرب الأهلية .. بإنهاء المقاومة السعداء، وذلك بمنح الجنوب درجة ملموسة من الحكم الذاتي.. وفي عام ١٩٨٣ قام جون جارانج بتأسيس جيش التحرير السوداني SPLA من عناصر مناهضة للحكومة، وكانت تدعم قضية السودان الأسود، إلا أن تمت وفاته في ظروف غامضة بعد أن سقطت طائرته، وتولى سلفاكير، والذي سيعمل على فصل جنوب السودان عن شماله من خلال الاستفتاء، والذي تدور رحاه منذ يوم ٩/ ١/ ٢٠١١ أثناء قيامنا بإعداد الدراسة، وكل المؤشرات تؤكد فصل الجنوب عن الشمال بعد أن اشتركت الحكومات السودانية المتعاقبة والأنظمة العربية على إحداث ذلك الحدث الكارثي.. ولزيادة التفاصيل عن الحركة وأصولها – انظر أنتوني كورسمان: بعد العاصفة التغيرات في التوازن العسكري بالشرق الأوسط، دار الهلال، ص٦٨٩، وما بعدها.

يرتضونه، ويقبلون عليه[1].

ومع ذلك دخلت العلاقات المصريّة السودانية في مرحلة غير ودية ، حيث لم يكن التوجه القومي العربي سمة للحكومات السودانية والأنظمة السودانية ، التي تولت شؤون البلاد.. وظلت الأمور السودانية متعاقبة بين عديد من الاضطرابات والانقلابات والتوترات ، حتى ظهر في الأفق السوداني العقيد جعفر النميري (ت ٢٠٠٩) وثورته في عام ١٩٦٩ بعد مرور عامين (تقريبًا) على نكسة ٥ يونيو / حزيران عام ١٩٦٧م.

- ولكن قبل أن نوضح ما حدث في الانقلاب الثوري السوداني عام ١٩٦٩ نوضح بعض الشيء عن حقيقة من قام به وهو جعفر النميري ، وهو أشهر من حكموا السودان من ٢٥ مايو ١٩٦٩ وحتى عام ١٩٨٥م.

- أتم نميري مرحلته الدراسية الأولية بمدرسة الهجرة بأم درمان ، والوسطى (الابتدائي) بمدرسة ود مدني ، ثم مدرسة حنتوب.. وبعد ذلك تقدم النميري (ت ٢٠٠٩) لكلية جردون ، ولكنه آثر الالتحاق بالكلية الحربية السودانية عام ١٩٥٠ ، ثم تخرج في الكلية الحربية بأم درمان ١٩٥٢ ، وحصل على الماجستير في العلوم العسكريّة من أمريكا .. عمل ضابطًا حرًا في الجيش السوداني قبل أن يصبح رئيس مجلس ثورة مايو ١٩٦٩ ، وتقلد الرئاسة من مايو ١٩٦٩ حتى ١٩ يوليو ١٩٧١ ، وعاد للسلطة بعد دحر انقلاب الشيوعيين يوم ٢٢ يوليو ١٩٧١ .. انتخب رئيسًا للجمهورية في أكتوبر عام ١٩٧١ واستمر في

---

(١) د. فؤاد المرسي خاطر : الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ، ١٩٥٢ في كتاب (أربعون عامًا على ثورة يوليو) ، الأهرام ، يوليو ، ١٩٩٢ ، ص٢٨٨.

الحكم إلى أبريل ١٩٨٥[١].

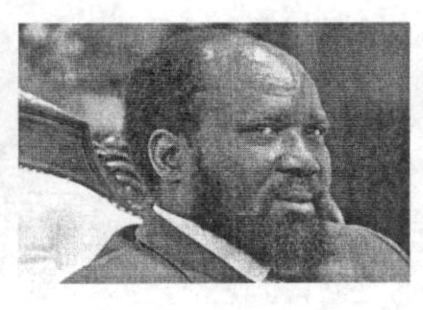
- ويرى أنتوني كوردسمان في كتابه «بعد العاصفة» : أن «العقيد جعفر محمد النميري قد استولى على السلطة عام ١٩٦٩ بمعونة الماركسيين والاشتراكيين، وانحاز إلى مصر وليبيا والاتحاد السوفيتي، كما قام بقمع أية معارضة إسلامية بقسوة، وفي عام ١٩٧٠ أخمد ثورة مهدية بعنف غير عادي، ومع ذلك تحول موقف النميري عام ١٩٧١ عندما أسره انقلاب يتبنى الماركسية Marxism، ولكن الانقلاب أخطأ في محاولة استخدامه كواجهة، وتمكن النميري من الالتفاف حول الشيوعيين، واستعاد السيطرة Dominance، بعد ذلك قام بتوسيع قاعدته السياسيّة في الشمال، وبدأ التفاوض مع الجنوب، وتمكنت هذه المفاوضات من إنهاء الحرب الأهلية في السودان في مارس ١٩٧٢، وتوسطت أثيوبيا بين النميري وحركة تحرير السودان الجنوبي وإنهاء المقاومة العسكرية السوداء، وذلك بمنح الجنوب السوداني درجة ملموسة من الحكم الذاتي Autonomy... وفي عام ١٩٧٥م واجه النميري تحديًا جديدًا من القذافي (١٩٤٢ - ...) عندما قامت ليبيا بمساندة انقلاب إسلامي يسانده الماركسيون، وتمكن النميري (ت ٢٠٠٩) من السيطرة على الخرطوم بسبب تدخل القوات المصرية إلى جانبه، حينما كان السادات حاكمًا لمصر[٢]».

- ومع أن عهد جعفر النميري، والذي دام ١٦ عامًا قد عرف أطول هدنة

(1) عصام عبد الفتاح : أشهر الثوار والثورات في تاريخ أفريقيا والعالم، كنوز للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨، ص٢٠١.

(2) أنتوني هـ كوردسمان : بعد العاصفة التغيرات في التوازن العسكري بالشرق الأوسط، ترجمة وتقديم وتعليق المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة، دار الهلال ص٦٩١.

بين المتمردين - كما يذكر عصام عبد الفتاح - والحكومة المركزية بالخرطوم دامت ١١ عامًا، فإنه عرف أيضًا ظهور الحركة الشعبية وجناحها العسكري لجيش الشعب لتحرير السودان.. كما عرف بروز جون جارانج أبرز زعماء المتمردين[١].



- ففي عام ١٩٨٣م قام ضابط جيش سوداني يُدعى (جون جارانج) حاصل على درجة علمية في الزراعة من جامعة إيووا، وحضر دورة في المشاة في فور بينتج بجورجيا بتشكيل جيش التحرير الشعبي السوداني (SP/A) من عناصر مناهضة للحكومة كانت تدعم قضية السودان الأسود فيما بين عام ١٩٥٥ وعام ١٩٧٢، وسرعان ما تحول هذا الجيش إلى قوة قادرة على القتال وإدارة حرب أهلية طويلة، وأطلق على قواته العسكرية اسم انيانا Anyana (وتعني: سم الأفعى)[٢].

- وما يتوجب توضيحه في هذا الصدد أن نبين العلاقة بين عبد الناصر

(1) عصام عبد الفتاح: أشهر الثوار والثورات في تاريخ أفريقيا والعالم، كنوز للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨، ص٢٠٢.

(2) أنتوني هـ. كوردسمان: بعد العاصفة التغيرات في التوازن العسكري بالشرق الأوسط، ترجمة المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة، دار الهلال، ص٦٩١.

- وقد ذكر العديد من الكتاب وعلى رأسهم الكاتب الإسلامي فهمي هويدي في جريدة الشرق المصرية يوم ١٨/١/٢٠١١ بأن الرئيس الأوغندي موسيفيني كان الشخصية الضالعة في اغتيال جون جارانج وتهديده سلفه سلفاكير لدفعه إلى الانفصال الجنوبي السوداني عن شماله، والتي بدأت بوادره في الظهور، والتأكد من خلال الاستفتاء في ٩/١/٢٠١١.

وثورة النميري في عام ١٩٦٩م.

فإنه بإعلان حركة الجيش السوداني، وقيامه بانتفاضة في صباح يوم ٢٥ مايو ١٩٦٩م، واستيلاء الحركة على مقاليد الأمور والحكم في السودان، وتم تشكيل مجلس قيادة الثورة برئاسة العقيد جعفر محمد النميري، وتشكيل وزارة جديدة برئاسة بابكر عوض الله وما فتئت أنباء الحركة أن هزت أرجاء الوطن العربي وشعوبه، وتردد صداها عالميًا، فقد كانت الحركة الثانية في الوطن العربي (بعد حركة العراق في عام ١٩٦٨) بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧، وسرعان ما أظهرت بضباطها تأييدهم لمصر من بيانها الأول للحركة[١].

- وقد رحبت مصر (عبد الناصر) بحركة الجيش في السودان، وبادرت بالاعتراف بالنظام الجديد بقيادة النميري (ت ٢٠٠٩)، حيث توطدت العلاقة بين القاهرة والخرطوم، وتناغمت سياسة الدولتين (مصر والسودان)، وانسجمت حول مشكلة الشرق الأوسط Middle East، ورفض الهزيمة ونكسة يونيو / حزيران ١٩٦٧م، والعمل العربي على إزالة آثار العدوان، فقد كان عبد الناصر (١٩١٨-١٩٧٠) يرى في السودان المتعاون مع مصر العمق الاستراتيجي، وكان السودان يرى دائمًا في عبد الناصر السند الحقيقي والرافعة للوضع السوداني.

- فقد كان الدليل على التعاون في عدة مجالات ولاسيما في المجال العسكري

---

(1) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب (أربعون عامًا على ثورة يوليو) تحرير د. رءوف عباس، مؤسسة الأهرام، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، يوليو ١٩٩٢، ص٢٣١.

بين البلدين (مصر والسودان) أن استقرت بعض أسراب الطائرات المصرية هناك بعيدًا عن العدوان الإسرائيلي ، حيث كانت حرب الاستنزاف على أشدها .. كما انتقل طلاب الكلية الحربية إلى الخرطوم إلى أن قامت ثورة ليبيا في أول سبتمبر ١٩٦٩م ، فبدأت علاقة ثلاثية انتهت بتوقيع ميثاق طرابلس في ديسمبر ١٩٦٩م.

– وقد عبر عبد الناصر (١٣٣٦ – ١٣٩٠هـ – ١٩١٨ – ١٩٧٠م) عن أهمية السير في الطريق بخطوات ثابتة في ٢٠ مايو ١٩٧٠ قائلًا: « وقد اتفقنا حينما اجتمعنا نحن رؤساء الدول الثلاث على ألاَّ نأخذ أي خطوة من الخطوات قبل أن نناقشها شعبيًا وجماهيريًا بواسطة الشعب في كل بلد من البلدان الثلاثة وبواسطة الجماهير حتى تحصن الجماهير ضد قوى الاستعمار ، وحتى تحصن الجماهير ضد القوى التي حاولت دائمًا أن تضعنا في مناطق النفوذ.. ونحن نعتقد بعون الله وبكم أننا نسير في اتفاقنا اتفاق طرابلس ، الذي وقع في ديسمبر من العام الماضي خطوة خطوة ؛ كي نحقق مصالح الأمة العربية كلها.. إننا نكون قوة من دول ثلاث متجاورة تجمع مواردها تجمع قوتها وتجمع الشعوب العربية الموجودة فيها من أجل الأمة العربية ، ومن أجل قوتها ، ومن أجل الدفاع عن هذه الدول ، ومن أجل البناء ، ومن أجل التعمير ، ومن أجل تعويض ما فات»[1].

– وقد أوضحنا في الصفحات السابقة ما تم الاتفاق عليه والتعاون بشأنه والاتفاقيات السابقة التي كانت بين البلدان الثلاثة في الاتجاه الاقتصادي والأمن.

(1) جمال العطيفي : في حياة عبد الناصر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ ، ص١٦١، ١٦٢.

# ٦

## عبد الناصر .. وثورة العراق عام ١٩٥٨

لكي نفهم أحداث العراق وثورتها في يوليو / تموز عام ١٩٥٨ وما قبلها، نستعرض تاريخها البشري، وموقعها الإستراتيجي، وتاريخ الأحداث فيها، حتى تتضح الرؤية، وتنكشف حقيقة الثورة من خلال تاريخ العراق وجغرافيته السياسّة والبشريّة.

### أولاً: العراق: التاريخ السياسي والموقع الإستراتيجي:

- من المعروف تاريخيًا أنّ حضارة العراق في التاريخ البشري تليدة في القدم كشأنها في مصر وبلاد الشام «عامة» .. فمنذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ظهرت في العراق «القديم» حضارة «السومريين»، وتلتها في الوجود والنشأة حضارات أخرى، أهمها قاطبة حضارة «البابليين» في الألف الثانية قبل الميلاد، ثم حضارة «الآشوريين» في القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد، ثم خضع العراق «التليد» للفرس في القرن السادس قبل المسيح، وقامت الحروب قديمًا مجالًا بين الفرس والأغريق «اليونانيين القدماء» أولًا، ثم بينهم وبين الرومان للاستحواذ والسيطرة، وإخضاع العراق.. حتى ظهرت الدعوة المحمدية في جزيرة العرب (في القرن السابع الميلادي)، فدخل العراق في الساحة الإسلامية الكبرى[1].

(1) محمد رفعت: التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة، دار المعارف بمصر، طباعة عام ١٩٦٤، ص٢٠٩.

- ويبدأ عهدًا جديدًا للعراق بلغ فيه أرقى درجات الحضارة والمجد.. فقد كان العراق، أو ما يسمى ببلاد ما بين النهرين Mesopotamia، كما كانت تسميه الغرب موطن الدولة العباسيّة، التي عاشت نحو خمسة قرون (٧٥٠م – ١٢٥٨م)، وامتدت فتوحاتها شرقًا إلى خراسان (أفغانستان)، وبعض جهات الهند غربًا إلى شمال أفريقيا، وأصبحت بغداد حاضرتها، والتي أسسها ووضع مداميكها الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور (١٣٦ – ١٥٨ هـ - ٧٥٤ – ٧٧٥م) في سنة ١٤٥هـ (٧٦٢م) أعظم حواضر الدنيا ومنها – أي: من بغداد – كانت تشعه أضواء الثقافة والحضارة العربية الإسلامية على العالم كله.

- ثم عدت على العراق عوادي الزمن ومصائب الدهر، فاجتاحه المغول أو التتر في (٢٧ يناير ١٢٥٨م العشرين من شهر محرم عام ٦٥٦هـ)، وقوضوا ملكه، وصار العراق منهبًا بين الأتراك من جهة، وفارس من جهة أخرى، واستمر القتال الدامي سجالًا بين الجانبين، إلى أن تغلب الأتراك العثمانيين – نهائيًا – في عام ١٦٣٨م في عهد السلطان مراد الرابع فرزح «العراق» مع سائر الأقطار العربية تحت نير الحكم التركي (العثماني) قرابة أربعة قرون تضاؤل شأن العراق خلالها، حتى لم يعرف عنه سوى أسماء ألويته العربية الثلاثة: بغداد والموصل والبصرة[١].

- وقد حدث في العراق في القرن الثامن عشر الميلادي أن ظهر فريق من المماليك يرجع أصولهم التاريخية إلى إقليم «جورجيا»، ونصبوا أنفسهم حكامًا

(١) محمد رفعت: التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة، دار المعارف بمصر، طباعة ١٩٦٤، ص٢٠٩، ٢١٠.

وسلاطين على بعض أجزاء وأقسام البلاد، وكان سُليمان باشا (١٧٨٠-١٨٠٢م) أوسع هؤلاء المماليك صيتًا، وأحسنهم عملًا[١].

- وللعراق في العصر الحديث خصائص جغرافية واجتماعيّة إذا نحن أدركنا حقيقتها، وتعمقنا في كنهها استطعنا فهم تاريخه الحديث، وما أصابه من محن وملمات قاسي منهما كثيرًا.

- فالعراق دولة مساحتها حوالي ٤٣٤.٠٠٠ كيلومتر مربع، وموقعها الإستراتيجي - كما يقول الخبير الإستراتيجي أنتوني كوردسمان - في كتابه الضخم «بعد العاصفة» - عند الحافة الغربية للخليج، والجزء الشمالي منها يضعها بالقرب من الاتحاد السوفيتي (قبل تفكيكه)، ويعطيها حدودًا تمتد بين جنوب آسيا والشرق الأوسط The Middle East.

- فللعراق حدود طولها ١٤٤٨ كيومترًا مع إيران، ٣٣١ كيلومترًا مع دولة تركيا، ٦٠٥ كيلومترًا مع سوريا، ١٣٤ كيلومترًا مع السعودية، ١٩١ كيلومترًا مع المنطقة المحايدة السعودية العراقية، ٢٤٠ كيلومترًا مع دولة الكويت، والمخرج العراقي إلى الخليج العربي يمتد بطول ٥٨ كيلومترًا شواطئ في المياه الضحلة نسبيًا من الخليج والميناء الرئيسي لها على الخليج هي: «البصرة» التي يمكن الوصول إليها فقط عن طريق شط العرب وقاعدتها البحرية الوحيدة هي «أم القصر» التي يستوجب الوصول إليها المرور في قناة تشاركها فيها الكويت، وتسيطر عليها جزر كويتية هي: وربة وبوبيان[٢].

---

(1) محمد رفعت: المرجع السابق ذكره، ص٢١٠.

(2) أنتوني هـ. كوردسمان: بعد العاصفة التغيرات في التوازن العسكري بالشرق الأوسط، ترجمة وتقديم وتعليق المشير عبد الحليم أبو غزالة، دار الهلال، (مجلد) بدون تاريخ ص٤٥٢، ٤٥٣.

– وفي عام ١٩٩١ كان تعداد العراق ١٩.٥ مليون نسمة بمعدل نمو يصل إلى ٣.٩٪ ، وهذا الحجم من السكان ينقسم – حسب رأي كوردسمان – إلى حوالي ٧٥٪ – ٨٠٪ عربي ، ١٥–٣٠٪ أكراد ، ٥٪ أتراك وآشوريين ، وغيرهم، وتوجد انقسامات دينية شديدة داخل العراق وطائفية مقيتة – فحسب تقدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية CIA – أنّ العراق ينقسم إلى ٩١٪ مسلمون ، ٣٪ مسيحيون وآخرون ، كما ينقسم المسلمون إلى ٦٠ – ٦٥٪ شيعة ، ٣٢ – ٣٧٪ سنة .. وتشير بعض المصادر الأخرى إلى أن الشيعة ٥٠ – ٥٥٪ إذا ما اعتبر الأتراك والأتراك ضمن السنة[1].

– وفي الوقت الذي تقع فيه دولة العراق في منطقة تلعب دورًا حيويًا في التاريخ، فإن حدودها الحاليّة تكونت بمحض الصدفة ، وليست حدود متوارثة على مر التاريخ ، وكر الدهور .. فالأراضي التي تشمل العراق (الحديث) خضعت للحكم العثماني (التركي) عام ١٦٣٨ م ، ولكن لم يكن هناك ثمة دولة عراقية أو أمة في إطار حدودها الحالية قبل الاحتلال التركي والمنطقة المحيطة ببغداد لم تستعد «بغداد» ما كانت عليه بعد أنّ نهبها تامرلان عام ١٤٠١م ، وإبادة كل مكان بالمنطقة.. ولم يعامل الأتراك (العثمانيون) المنطقة ككيان متكامل وإنما نظموها في ثلاث مديريات (ولايات) تابعة للإمبراطورية العثمانية التركية – كما أشرنا من قبل وهي بغداد والموصل والبصرة..وحتى عندما سيطر الأتراك على هذه الولايات من اسطنبول ، فإنهم لم يحاولوا – وقتئذ – فرض حكم مباشر على كل المجموعات العراقية والقبلية التي تتكون المناطق التي تشغلها

---

(1) أنتوني هـ. كوردسمان : مرجع سابق ذكره ، ص٤٥٣.

العراق وإنما ركزوا على السيطرة والهيمنة على المناطق الحضريّة (المدن أساسًا) وخطوط المواصلات الحيوية، والتي ذات شأن[1].

- وقد بدأ ازدياد بريطانيا (العظمى) في المنطقة بسبب الاهتمام بأمن الخليج (العربي)، وطرق الاقتراب من الهند والتنافس مع ألمانيا على النفوذ والتغلغل داخل الأمبراطورية العثمانية (التركية) وخلال الحرب العالمية الأولى عاملت بريطانيا (العظمى) العراق كشيء هامشي وغير محوري ضرورته تكمن في حماية المصالح النفطية في إيران، حيث اكتشف النفط (البترول) عام ١٩١٢، وعند ذاك حضرت بريطانيا (العظمى) شط العرب، لتسمح للسفن الضخمة بالتحرك إلى البصرة لأول مرة، وتحويلها إلى ميناء هام، وله معنى ودور .. وقد تعرضت بريطانيا للنكسات عام ١٩١٦م، ولكنها استطاعت استرداد ((بغداد)) في مارس عام ١٩١٧ م، والموصل في أكتوبر، وبحلول عام ١٩١٨م كانت بريطانيا (العظمى) تحتل كل العراق الحديث[2].

- وفي الخامس والعشرين من شهر أبريل عام ١٩٢٠م منحت بريطانيا الانتداب (مستوى أ) على العراق بواسطة عصبة الأمم، وعينت السير بيرسي كوكس كضابط سياسي عام، ولكنه وبدوره منح كل سلطاته لنائبه الكولونيل أرنولد تالبوت ولسون.

- وفي الوقت الذي كان العراق يعيش في شبه فوضى وحرب أهلية واسعة النطاق ضد مملكة قبلية شيعية في المدن المقدسة (النجف - كربلاء)، وثارت

(1) أنتوني هـ. كوردسمان: بعد العاصفة التغيرات في التوازن العسكري بالشرق الأوسط، ترجمة وتقديم وتعليق المشير عبد الحليم أبو غزالة، دار الهلال، ص٤٥٤ بدون تاريخ.

(2) أنتوني هـ. كوردسمان: مرجع سابق ذكره، ص٤٥٤.

هذه المملكة عندما أعلن – وقتئذ – أن العراق قد أصبح بالفعل تحت سنابك الانتداب بدلًا من الاستقلال Autonomy كجزء من العالم العربي The Arab World .

– وجلبت بريطانيا (العظمى) قوات برية وجوية، لاستعادة السيطرة والهيمنة Hegemony ، وكانت ثمن هذه الثورة Revolution أرواحًا ودمارًا اقتصاديًا أدى إلى صرف نظر وغض طرف بريطانيا عن الاحتفاظ بسيطرة مباشرة على الدولة (العراقية) ، وقامت بريطانيا (العظمى) بإجراء استفتاء شعبي من سؤالٍ واحد لخلق ذريعة – كما يذكر الخبير الإستراتيجي أنتوني كوردسمان – لبقاء العراق تحت ملك بريطانيا.. وتاجها[1].

– وكان الملك الذي اختارته بريطانيا (أجنبيًا) ، وهو الأمير فيصل ابن الشريف حسين ، والذي جاء من الأسرة المالكة الهاشمية ، التي حكمت الحجاز .. وقد اختارته بريطانيا ؛ لأنها كانت مدينة للهاشميين لدورهم في ثورة العرب ، التي ساعدت – فعليًا – في إرهاق القوة العسكرية التركية (العثمانية) خلال الحرب العالمية الأولى ( ١٩١٤ – ١٩١٨).

– وقد حصل فيصل ابن الشريف حسين على تأييد معظم العراقيين السنة وقادة الشيعة، وتم تتويجه ملكًا في ٢٣ أغسطس ١٩٢١م ، وقامت بريطانيا (العظمى) بتأمين حكمه ، وذلك بترك مفرزة (عسكرية) من القوات الملكية البريطانية في البلاد.. وحصل الملك كذلك على دعم كثير من الضباط العرب ، الذين أدوا الخدمة العسكرية في الإمبراطورية العثمانية ، وانضموا إلى الشباب

(١) أنتوني هـ. كوردسمان: بعد العاصفة ، دار الهلال ، مصر ، ص٤٥٤.

التركي ، ثم إلى ثورة العرب بقيادة الشريف حُسين .. كما دعم هؤلاء الضباط الملك ؛ لأن تركيا ضغطت بشدة على الدول الجديدة ، لإعادة ولاية الموصل ، وأن العراق واجهت تمردًا من كثير من الأكراد والآشوريين ، الذين شملتهم هذه الأراضي.

- وكان أقوى الضباط حول الملك فيصل بن حُسين هو نوري السعيد ، الذي كان رئيس لأركان الجيش العراقي ، وكان أقوى شخصية في العراق معظم العشرينيات (من القرن العشرين) ، وبذل جهدًا كبيرًا لتوسيع القوات المسلحة للعراق ، وبحلول الانتداب البريطاني عام ١٩٣٢م كان الجيش أقوى قوة في المجتمع العراقي[١].

- وتوفى الملك فيصل الأول ابن الشريف حسين في لندن في الثامن من سبتمبر عام ١٩٣٢ ، وكانت العراق – وقتئذ – تعاني من تمرد للآشوريين ، فحل محله ابنه غازي (٢١ سنة) ، وكان نتيجة ذلك وجود حكومة هزيلة وضعيفة فقدت قوتها للعسكريين العراقيين.

- وفي عام ١٩٣٦م قام الجنرال بكر صديق بانقلاب عسكري لم تشأ الأحداث والظروف أنّ يبقى إلا مدة قصيرة من الزمن ، وتم اغتياله في عام ١٩٣٧م ، وحدثت بعد ذلك ستة انقلابات في عام ١٩٤١م ، وبقيت الدولة State تحت الحكم العسكري، وأصبح العسكريون في العراق ضد بريطانيا (العظمى) بسبب أحداث فلسطين[٢].

(1) أنتوني هـ. كوردسمان: بعد العاصفة ، التغيرات في التوازن العسكري بالشرق الأوسط، ترجمة وتقديم وتعليق المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة ، دار الهلال ، ص٤٥٤.

(2) أنتوني هـ. كوردسمان: مرجع سابق ذكره ، ص٤٥٥.

- وفي الوقت الذي قطعت فيه العراق علاقتها الدبلوماسيّة مع ألمانيا (النازية) عام ١٩٣٩ (عام بداية الحرب العالمية الثانية) رفض البعض من العسكريين هذا الإجراء، الأمر الذي أدى إلى قيام انقلاب عسكري ضد بريطانيا (العظمى) عام ١٩٤٢.

- فقد قام الجيش العراقي بمحاصرة القوات الجوية الملكية في «الحبانية» فردت بريطانيا بغزو العراق، واحتلتها حتى عام ١٩٤٥م.

- وبعد عام ١٩٤٥م بقيت العراق تحت حكم ملكية غير مستقرة موالية للغرب، وشخصيات مثل نوري السعيد، وبقيت الملكية في السلطة أساسًا بسبب نمو ثروة العراق بسبب البترول، ودعم بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، ولكنها لم تحظ إلا بدعم من المثقفين أو معظم الضباط من الرتب الصغيرة، وأصبح مؤيدو عبد الناصر (١٩١٨- ١٩٧٠)، وحزب البعث أكثر نفوذًا، وتعاظمت قوة الوطنية العراقية المعادية للملكية، ووصلت هذه الضغوط - إلى ذروتها - في ١٤ يوليو «بانقلاب» أدى إلى مقتل فيصل الثاني (١٩٣٥ - ١٩٥٨)، وولي العهد، ورئيس الوزراء نوري السعيد[1].



وسوف نوضح تفصيلات هذا الصدد فيما يلي:

(1) محمد رفعت: التوجيه السياسّي للفكرة العربية الحديثة، دار المعارف بمصر، طباعة عام ١٩٦٤، ص٢٦٧.

## ثانيًا: عبد الناصر .. وثورة ١٤ يوليو (تموز) ١٩٥٨:



فيصل الثاني ملك العراق

حتى إذا حان الفصل «الأخير»، وحانت ساعة الحساب في فجر يوم ١٤ يوليو (تموز) سنة ١٩٥٨م، وهو اليوم الذي كان محددًا لذهاب ملك العراق فيصل الثاني (١٩٣٥-١٩٥٨)، ونوري السعيد بالطائرة إلى إسطنبول (تركيا)، لحضور مجلس حلف بغداد.

-كان إخفاق سياسة نوري السعيد في العراق في السنوات الأخيرة في مقدمة حيثيات الحكم، الذي أصدرته الثورة Revolution بالقضاء على العهد القديم ورجاله.

- ففي ذلك اليوم استولى الضباط الثوار على بغداد وإذاعتها وتليفوناتها، وهاجموا ومعهم زمر من الشعب العراقي قصر الملك -كما يذكر محمَّد رفعت- في كتابه «التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة»؛ حيث أسقطوا (على القصر) قنبلة قضت على الملك فيصل الثاني (١٩٣٥-١٩٥٨)، وعدد من أفراد أسرته، كما قضوا على عبد الإله ولي العهد وخال الملك، ثم على نوري السعيد بعد ذلك.. وكان قد حاول الفرار متزييًا برداء امرأة عربية، وقد بلغ عدد القتلى في ذلك اليوم ثلاثين قتيلًا، وقد قاد الثورة Revolution ودبرها ضابطان: عبد الكريم قاسم، وعبد السلام عارف، ولم يكن لهما برنامج مدروس -كما يذكر محمد رفعت- ولا سبق لأحدهما أن مارس شؤون الحكم والإدارة[1].

(1) محمد رفعت: المرجع السابق ذكره، ص٢٦٧.

وقد كتب الباحث العراقي عبد الكريم العلوجي عن أحداث ثورة ١٤ يوليو/ تموز عام ١٩٥٨ في كتابه «نهر الدماء في العراق حقيقة مجزرة العائلة المالكة في ١٤ تموز ١٩٥٨» واصفًا نهايتها بشكل مأساوي، وبصورة مختلفة بعض الشيء عن بعض الكتابات الأخرى، ومتعاطفًا مع مأساة الملكية ونهايتها الدرامية قائلًا: «كانت طاحونة القتل في العراق صبيحة ١٤ تموز ١٩٥٨ على الشكل الذي حدثت فيه الجريمة في العراق مجازر رهيبة، لم يشهدها في تاريخه بكل ما يتمثل هذا التاريخ من مآسي القتل والفوضى، التي تشهدها اليوم في العراق. . إن التاريخ سوف يسجل على هؤلاء الذين أقدموا على مقتل الأسرة المالكة، التي خرجت مستسلمة، رافعة الراية البيضاء والمصحف، وهي مطمئنة للوعود، التي قدمت لها من قبل ضباط الثورة بالحفاظ على حياتهم، والخروج من العراق سالمين، ولكن ما حصل هو أن قام أحدهم، وهو النقيب عبد الستار العنوسي، والذي كان متواجدًا داخل القصر في اللحظة التي خرج بها الملك فيصل الثاني (١٩٣٥-١٩٥٨)، حيث رفع يده يؤدي التحية العسكريّة للضباط الموجودين أمامه، واغتصبت ابتسامة تراقص على شفتيه، وظهرت خلفه جدته، وهي تحاول أن تجعل الجميع أن يشاهدوا القرآن بيدها، فكان النقيب عبد الستار العنوسي داخل قصر الرحاب، فترك القصر، ونزل هابطًا درجات الباب الأمامية ورشاشته بيده، واستدار إلى اليمين، فشاهد الأسرة المالكة كلها تسير في صف تاركة باب المطبخ، وبعد أقل من نصف دقيقة كان النقيب العنوسي يقف خلف العائلة المالكة تمامًا.. وبملح البصر.. فتح نيران رشاشته من الخلف مستديرًا من اليمين إلى اليسار، فأصابت رشاشته الثمانية والعشرين طلقة ظهر الأمير عبد الإله، ورأس ورقبة الملك فيصل الثاني

(١٩٣٥-١٩٥٨م)، وظهر الملكة والأميرة عابدية، ثم لم يلبث أن فتح مصطفى عبد الله نيرانه من الأمام على الموجودين أمامه.. وفتح بقية الضباط المشكلين نصف حلقة نيران رشاشتهم، وجاءت النيران من الأمام ومن الخلف، ومن كل ما يحمل سلاحًا في تلك اللحظة.. أصيب الملك بعدة طلقات فتحت جمجمته، وسقط في أحضان الأميرة هيام، التي تهاوت أرضًا، وقد أصيبت برصاصة في فخذها، وسقط الأمير عبد الإله قتيلًا على الأرض.. ونالت الأميرة عابدية والملكة نفيسة حظهما من رصاص المهاجمين، فتمرغت أرضًا، وهما تلفظان أنفاسهما الأخيرة، وآثار منظر الدماء وأصوات الطلقات النارية جنون ضابط المدرعة، ففتح نيران رشاشته الثقيلة على الأجسام الملقاة أرضًا، فحرثها حرثًا[1].

الأميرة عابدية كبرى بنات الملك علي وخالة الملك فيصل الثاني
اشرفت على تربيته بعد وفاة والدته.



وفي معرض آخر ذكر العلوجي واصفًا مأساة العائلة المالكة قائلًا: «كانت الميتة المؤلمة للأسرة الهاشمية المالكة في العراق.. والمصير الشنيع لجثة الأمير عبد الإله (رحمه الله)، التي تلاشت في شوارع بغداد.. فاتحة لميتات وقتل أشنع وأبشع منها، فنوري السعيد رئيس الوزراء (رحمه الله) قد اضطر إلى الانتحار بعد أن حاصرته الثورة (Revolution) تعقبته في كل مكان آوى إليه.. وانتهت جثته

(1) دكتور عبد الكريم العلوجي : نهر الدماء في العراق، حقيقة مجزرة العائلة المالكة في ١٤ تموز ١٩٥٨، مكتبة جزيرة الورد، الطبعة الأولى، ٢٠١٠.، ص٦.

سحقًا بالأقدام وتحت إطارات السيارات، وسحلًا في شوارع بغداد، ولم ينج رئيس وزراء الأردن، والوفد السياسي الأردني القادم إلى بغداد من قتله وميتة ونهاية أليمة مماثلة.. وشمل القتل والسحل وتمزيق الجثث بعض الأجانب والأوروبيين، الذين قدموا إلى بغداد للتجارة أو الاستشارة أو كموظفين في الحكومة أو لدى الشركات»[(١)].

-وبغض النظر عن التعاطف مع الملكية في العراق أو التوجع على مأساة الجريمة، وبشاعة القتل، وحدوث المجزرة .. فقد حدث ما حدث، ولا راد له، ولكن يهمنا الآن مناقشة الثورة ومقتضياتها، وموقف عبد الناصر (١٩١٨ - ١٩٧٠) من أحداثها وظروفها وملابساتها.

- ونستطيع أن نقول: أنه لم يكن قيام ثورة ١٤ يوليو (تموز) عام ١٩٥٨ أمرًا غير متوقع، إلا لأولئك الذين أخفوا رؤوسهم في الرمال كالنعامة، فانقضت عليهم انقضاض الصاعقة المباغتة والماحقة، فهؤلاء قد صوروا العراق كما يشتهون.. جزيرة يسودها الاستقرار والاعتدال والتقدم وسط بحر شرقي أوسطي متلاطم الموج، فوار الحركة.

- فقد كانوا يشيرون إلى نوري السعيد على أنه الرجل القوي ورئيس الوزراء الدائم بثبات الجبال الرواسخ، أتقن فن التعامل مع مختلف القوى في البلاد لخدمة الأسرة الهاشمية والتحالف مع بريطانيا وإلى عائدات النفط المستخدمة في بناء السدود الضخمة المفترض أنها زادت العمالة، ونشرت الرخاء والسعة، مع الاعتراف بفساد الإدارة، وطغيان الحكم، فقد اعتبر ذلك من الأمور العادية في

(١) دكتور عبد الكريم العلوجي: المصدر السابق ذكره، ص٢٣٤.

ذلك الجزء من العالم[١].

- كانت السنوات الفاصلة بين قيام حلف بغداد وسقوط النظام الملكية فترة أزمة في علاقات العرب بالغرب، إذ كان العرب يحاولون تحرير أنفسهم من التبعية التقليدية، بينما استمرت الدول الغربية في المحافظة على هذا الوضع.. وقد وقف نوري السعيد (رئيس الوزراء) إلى جانب الارتباط بالغرب معارضًا بذلك التيار العام، الذي تزعمته مصر، وما أن أصبحت إزالة جمال عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠) سياسة مقررة للحكومة البريطانية كان يطلقون نوري على كل تطور وعزم، حين يتقرر، وكان موقف نوري وإيدن واحدًا بشأن أزمة السويس (عام ١٩٥٦)، فقد خشي نوري وعبد الإله «أن يُطاح بهما» إذا نجح عبد الناصر[٢].

- أما الشعب فكان مع عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠)، وكاد العدوان الثلاثي على مصر (إنجلترا – فرنسا – إسرائيل) أنّ يطيح بالحكومة العراقية وأثار الغضب من حكومتهم، والتعاطف الجيد مع مصر سلسلة من الاضطرابات الدموية، ففي الموصل والنجف استدعى الجيش لمساعدة الشرطة، وثار الفلاحون العراقيون في الكوت، وقد أغلقت المدارس والمعاهد، وعُطل البرلمان، كما أعلنت الأحكام العرفية، ونجا النظام من هذه التظاهرات بصعوبة شاقة، ولكن أيامه باتت معدودة[٣]

(1) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب، ترجمة فريد أبو عز الدين – دار المستقبل العربي، القاهرة، الطبعة الأولى عام ١٩٨٨، ص٢٢٤.

(2) نجلاء أبو عز الدين: مرجع سابق ذكره، ص٢٨٨.

(3) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب، ص٢٨٨.

- في سنة ١٩٥٨م كان نوري السعيد (رئيس الوزراء) أكثر صراحة في عدائه وصراعه مع عبد الناصر ، ودافع جهارًا عن التدخل البريطاني / الأمريكي في لبنان والأردن ، وتهيأ للعمل بالاشتراك مع هاتين الدولتين، فأمر نوري وحدات من الجيش العراقي بالتوجه إلى الأردن ، والانتظار هناك لتعليمات جديدة ، وإشعار آخر . وهذه هي الوحدات التي وهي تمر ليلًا قرب بغداد تحولت إلى العاصمة ، فاستولت عليها وأطاحت بالملكية.

- ظلت الدوافع الثورية لعدة سنوات تعتمل في قلوب الجماهير العراقية ، وكانت تنطلق من حين لآخر في تفجيرات متقطعة .. ولم يكن للناس الأداء التي تمكنهم من مواجهة متكافئة لقوى الأمن التابعة للنظام فقط إذا تحرك الجيش كان يمكن القضاء على النظام السياسي الحاكم.. كما كان وراء الجيش - في ١٤ تموز (يوليو) عام ١٩٥٨ تأييد شعبي واسع كان متدفقًا لتحريك الثورة.

- إن البناء السياسي الذي قام طيلة سنوات على القمع والقهر والرشوة والدعم الأجنبي انهار ، كما لو كان بيتًا من ورق ، له صفة «كرتونية» هشة.. فلم ترتفع يد للدفاع عنه ، فقد كشف انهياره المفاجئ والتام ، وما صحب ذلك من الغضب العارم مدى زيفه وعمق الكراهية المقيتة له ، لقد اعتمد البناء كله على رجل واحد هو : نوري السعيد، والذي كان منبت الصلة بالشعب ، كما كان غريبًا عن القوى الجديدة في العالم العربي The Arab World ، وفي العالم ككل[1].

(1) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب ، ترجمة فريد أبو عز الدين - دار المستقبل العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨ ، ص٢٨٨.

- والجدير بالذكر في هذا الصدد أن الثورة العراقية قد جاءت في وقتها بالفعل، حيث أطاحت بالنظام الملكي وإعلان الجمهورية العراقية، بعد أن تم توريطها في اتحاد هاشمي (عراقي / أردني) كمحاولة استعمارية معادية بالتعاون (المغرض) مع القوى المناوئة للجمهورية العربية المتحدة، وكان ذلك بمثابة خطوة مضادة ومناقضة لوحدة مصر وسوريا من جهة، ولتفريغ وامتصاص الشعور القومي العربي الواعي والجارف بالعراق فقد مثلت الوحدة السورية المصرية (فبراير ١٩٥٨) قاعدة ثورية وحدوية ارتآها الاستعمار Colonialism تهدد مصالحه وتعوق ربيبته إسرائيل من الشمال والجنوب[1].

- ومن ثمَّ.. استطاعت ثورة العراق في ١٤ يوليو (تموز) عام ١٩٥٨ م أن توجه لطمة كبيرة وصادمة للنظام الاستعماري الغربي في المنطقة بعد أن كان العراق (الملكي) منطلقًا للمؤامرات والمناورات والدسائس ضد الحركات الوطنية التحررية وضد القوى الثورية بصفة عامة[2].

- وقد سافر عبد الناصر (١٩١٨ - ١٩٧٠) للعاصمة السوفيتية موسكو ((سرًا)) بعد أن قطع زيارته ليوغسلافيا - للإطلاع على رأي القيادة لمعرفة ردود أفعالها ضد التعدي على الثورة العربية العراقية، حيث قام الجانب السوفيتي بعمل مناورات عسكرية كبيرة على الحدود البلغارية التركية.

---

(1) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب «أربعون عامًا على ثورة يوليو، دراسة تاريخية»، تحرير د. رءوف عباس حامد، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، الأهرام، يوليو ١٩٩٢، ص٢٢١.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب أربعون عامًا على ثورة يوليو، دراسة تاريخية، تحرير د. رءوف عباس حامد، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، الأهرام، يوليو ١٩٩٢، ص٢٢١.

- وقد ساند عبد الناصر الثورة Revolution بكل وسائل التدعيم والمساندة ، وقد أوفد مجلس الوزراء العراقي وفدًا لمقابلة عبد الناصر بعد وصوله «دمشق» عائدًا من موسكو، تألف من العقيد عبد السلام عارف ، ومحمد صديق شنشل ، ومحمد حديد ، وعبد الجبار الجومرد ، حيث تم التوقيع على اتفاقية التعاون بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية على تأكيد ما يربط بين البلدين من عهود ومواثيق، وفي مقدمتها ميثاق الجامعة العربية ، والتأكيد على ما أعلنته حكومة البلدين من ارتباط وثيق بينهما إزاء الموقف الدولي وتصميمها على الوقوف كبلدٍ واحد في الدفاع ضد أي عدوان عليهما ، أو على أي منهما ، والتعاون الكامل والمثمر في المحيط الدولي، للمحافظة على حقوق البلدين ، واتخاذ الخطوات العاجلة والناجزة – دون تباطؤ – لتنمية التعاون الاقتصادي والثقافي المشترك بين البلدين ، والتعاون والتشاور بين البلدين في جميع الشؤون والقضايا التي تهمهما[1].

- وغني عن البيان أنه قد كان لهذا الاتفاق مفعول السحر في تدعيم وطمأنة الثورة بأنها لن تكون بحالٍ من الأحوال وحيدة في الميدان في حالة العدوان عليها من دول حلف بغداد أو من الأردن[2].

- وبذا كانت ثورة ١٤ يوليو / تموز انفجارًا مدويًا في الشرق الأوسط The Middle East اهتزت له أرجاء العالم ، وبادرت القوى المختلفة تراجع حساباتها وتقيم مواقفها وتواجه الموقف الجديد على الساحة السياسية ، والذي

(1) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ص٢٢٣.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر: مرجع سابق ذكره ، ص٢٢٣.

نشأ بعد ست سنوات من ثورة يوليو عام ١٩٥٢ ، وفي أقل من سنتين على العدوان الثلاثي على مصر[١].

- وكان لوقوع الانفجار في مقر حلف بغداد أكثر مما تحتمله أعصاب الإمبريالية ، لأنه كان يعني بالتأكيد رجحان كفة الحرب الأهلية في لبنان لصالح المواطنين ، وانهيار الحكم في الأردن ، ولذا نزل الأسطول الأمريكي في بيروت ، وهبطت قوات المظلات البريطانية في الأردن قادمة عبر إسرائيل (الصهيونية) لتنقذ عرش الملك حُسين بن طلال بعد أن غرق الاتحاد بين الأردن والعراق[٢].

والأوراق التالية سوف تبين بجلاء حقيقة مناصرة عبد الناصر للقضايا العربية ومناهضة الاستعمار الغربي ، وتطويق توسعه الإمبريالي في المنطقة العربية، وخاصة في أقطار الأردن ولبنان والصومال.



(1) أحمد حمروش : ثورة ٢٣ يوليو (مصر والعسكريون ، مجتمع جمال عبد الناصر ، عبد الناصر والعرب) ، الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٢ ، ص٨٠٤.

(2) أحمد حمروش: مرجع سابق ذكره ، ص٨٠١.

## ثانيًا : عبد الناصر .. ومناصرة القضايا العربية ومناهضة الاستعمار الغربي

لم يتوقف دور عبد الناصر (١٩١٨ - ١٩٧٠) في تدعيم وإشعال فتيل الثورات العربية وفقط - كما سردنا من قبل - بل كان دوره واضحًا وفعالًا في مناصرة القضايا العربية ، ومقاومة الأحلاف العسكرية الاستعمارية ، ومناهضة الاستعمار والإمبريالية الجديدة ، وتطويق مصالحها ونفوذها وأغراضها داخل الكيان العربي.. ونطرح هذا الدور من خلال ما قام به من أدوار فاعلة في الأردن ولبنان والصومال.



# ١
# عبد الناصر والأردن

الأردن واقعة في وسط مجموعة كثيرة من المسائل الإستراتيجية والمآسي في الشرق الأوسط The Middle East، وهي مملكة شرق أردنية في أغلبية فلسطينية ومتورطة –كما يذكر أنتوني كوردسمان– في كل المشكلات التي تؤثر على المواجهة بين إسرائيل وسوريا ومستقبل الأراضي المحتلة، ونمو التطرف الديني.. وهي فقيرة جدًا لتنافس في النمو العسكري الإسرائيلي السوري ومعرضة للتهديد بشكل كبير إذا لم تشترك.

-والمساحة الكلية للأردن ٨٨٠ و٩١ كيلومترًا مربعًا، وحدودها البرية ١٣٤ كيلومترًا مع العراق، ٢٣٨ كيلومترًا مع إسرائيل، ٧٤٢ كيلومترًا مع المملكة العربية السعودية، ٣٧٥ كيلومترًا مع سوريا، ٩٧ كيلومترًا مع الضفة الغربية، ولها سواحل على خليج العقبة طولها ٢٦ كيلومترًا، وتوجد بالأردن قليل من المصادر الطبيعية بخلاف الفوسفات، ويوجد بها احتياطي وقود مؤكد قدره ٠٠٠, ٥٠٠ برميل، ١٠٠ مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي وموارد المياه بالأردن محدود للغاية تقدر بحوالي ٤٥ كيلومتر مربع من المياه الجوفية المتجمدة، أي: حوالي ١٧٣ متر مكعب من المياه للفرد الواحد أي ١/١٥ من نصيب الفرد في الولايات المتحدة الأمريكية، كما يذكر كوردسمان في كتابه بعد العاصفة[1].

(1) أنتوني هـ كوردسمان بعد العاصفة، التغيرات في التوازن العسكري بالشرق الأوسط، ترجمة وتقديم وتعليق المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة، دار الهلال (المصرية)، ص٣٢٥، ٣٢٦.

– ومن نافلة القول أن نذكر أن الأردن يدين في وجوده لبريطانيا (العظمى)، والتي أرادت مكافأة العائلة الهاشمية من الحجاز لدعمها لثورة العرب خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) وفي مناورة سياسيّة بعد معاهدة «فرساي» قسمت بريطانيا الانتداب التركي على فلسطين إلى قسمين، وخلقت كيانًا جديدًا أطلقت عليه «شرق الأردن».

– وعلى الرغم من استيلاء السعودية على الحجاز عام ١٩٢٦م فإن بريطانيا (العظمى) ساعدت المملكة الجديدة لإنشاء قوات مسلحة، واستخدمت القوات الجوية الملكية في إيقاف تقدم القوات السعودية، ومنعتها من الاستيلاء على «شرق الأردن».. والنتيجة كانت مملكة صغيرة معظم سكانها من البدويين الرحل لهم بعض التقاليد والولاء للهاشميين كإشراف لمكة.

– ولأن المنطقة كانت جزءًا من شمال الحجاز، وتم إنشاء وتكوين جيش شرق الأردن في عام ١٩٢٠ – ١٩٢١م.. والتي أطلقت عليه اسم «الفيلق العربي»، وهو الاسم الذي كان مستخدمًا خلال الصراع ضد الأتراك.. وكانت بريطانيا (العظمى) تدفع رواتب الفيلق العربي، وكان ضباطه بريطانيين، ويتلق تدريبًا بريطانيًا .. وفي الوقت نفسه أدى ذلك إلى وضع هذه القوة عمليًا و«واقعيًا» تحت السيطرة البريطانية.

– وقد أدى امتصاص شرق الأردن لعدد كبير من الفلسطينيين عام ١٩٤٨م (بعد النكبة) إلى خلق مملكة الأردن، وزاد من قوتها البشرية (عدد السكان)، ولكن رغم ذلك بدأ نوع من الانقسام بين السكان الأصليين لشرق الأردن والفلسطينيين، الذين استوطنوا المملكة ذات الموارد المحدودة[١].

---

(١) أنتوني هـ. كوردسمان : بعد العاصفة، ترجمة وتقديم وتعليق المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة، ص٣٢٦

- وإذا كانت رسالة عبد الناصر (١٣٣٦ - ١٣٩٠هـ- ١٩١٨ - ١٩٧٠م) قد أعطت الشعب العربي عامة - بعد بزوغ الثورة واندلاعها - الثقة والأمل فإنها كانت ذات معنى خاص في إطار وضع الأردن، حيث أضيف إلى الإحباطات الكامنة في أصول وطبيعة الدولة نفسها ثقل مأساة فلسطين ، التي انغمر فيها الأردن أكثر من أي قطر آخر(١).

- وترى الباحثة نجلاء أبو عز الدين في كتابها «ناصر العرب» : «إن نشأة دولة الأردن كانت نتيجة حدثين مؤلمين في تاريخ العرب الحديث.. أولهما: أنه بعد أن أطاح الفرنسيون سنة ١٩٢٠م بالحكومة الفيصلية في دمشق ، واحتلوا سورية ، اقتطع البريطانيون شرق الأردن ، الذي كان في ذلك الحين إحدى المقاطعات السورية ، ونصبوا أميرًا عليه عبد الله شقيق الملك فيصل.. أما الحدث الثاني.. فوقع سنة ١٩٤٩م بعد نكبة فلسطين (عام ١٩٤٨) إذ ضم ما تبقى من فلسطين إلى شرق الأردن فيما أصبح معروفًا بالمملكة الأردنية الهاشمية»(٢).

- وزاد مأساة الفلسطينيين ألمًا غارات إسرائيل داخل قرى الأردن «الحدودية» ، والفتك بسكانها، وتفاقم الشعور بالمرارة لدى سكان الحدود وبقية سكان البلاد من جراء وضعهم المتردي البائس، والذي لم يروا سوى أمل واحد للخلاص منه هو انتصار الثورة Revolution التي قادها عبد الناصر ، ودمجهم في كيانٍ عربي أكبر.

(1) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب ، ترجمة فريد أبو عز الدين ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، طبعة عام ١٩٨٨ ، ص٢١٥.

(2) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب ، ترجمة فريد أبو عز الدين ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، عام ١٩٨٨، ص٢١٥.

- وفي كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٥٥م أوفدت الحكومة البريطانية إلى عمان (الأردن) مبعوث رفيع المستوى هو الجنرال جيرالد تمبلر رئيس هيئة أركان الإمبراطورية البريطانية للتفاوض بشأن دخول الأردن «حلف بغداد» ، ورأى الشعب بشعور غريزي أن «الحلف» المقترح ليس سوى مشروع إبعاد وتوجيه العرب بعيدًا عن إسرائيل[١].

- وقد أثارت بعثة «تمبلر» معارضة حادة في سائر أنحاء القطر ، فعمت الاضطرابات والمظاهرات وشلّ كل نشاط حتى أنّ موظفي الحكومة ومستخدميها أضربوا وتعطلت الاتصالات وقطعت المواصلات ، فأغلقت طريق «القدس – عمان» ، كما أغلق مطار «القدس» ، وأجبر الفوران الشعبي والاضطرابات الجماهيرية ثلاث حكومات متتالية على الاستقالة في ظرف أيام قلائل ، وتلبية لصوت الشعب المدوي رفض مجلس النواب الحلف[٢].

- وترى الباحثة نجلاء أبو عز الدين أن بريطانيا (العظمى) قد حملت مصر مسؤولية فشلها في الأردن مع أن الأمر لم يكن يحتاج إلى كثير من الذكاء لإدراك أن الفلسطينيين، والذين يشكلون ثلثي سكان الأردن ، والذي كان نصفهم من اللاجئين لم يكونوا في حاجة إلى مهماز يثيرهم ضد محاولة تضعهم في صف الدولة المسؤولة في الدرجة الأولى عن محنتهم[٣].

-ففي الأردن كما في غيره انبعثت مقاومة حلف بغداد وبعد مبدأ

(1) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب ، ص٢١٥.

(2) نجلاء أبو عز الدين : مرجع سابق ذكره ، ص٢١٥.

(3) نجلاء أبو عز الدين : ناصر العرب ، ترجمة فريد أبو عز الدين ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، عام ١٩٨٨، ص٢١٦.

إيزنهاور (١٨٩٠ - ١٩٦٩م) عن قناعات حقيقية بأن هذه المشاريع غريبة على الاهتمامات العربية ولها أهداف استعمارية.

- وترى الباحثة نجلاء أبو عز الدين في كتابها «ناصر العرب» بأن الذين فسّروا تصرف شعب الأردن في سياق النفوذ المصري فاتهم طبيعة هذا النفوذ وقوته الحقيقية، ولم يكن ما تقوله إذاعة القاهرة، بل ما كانت تنجزه الثورة المصرية هو ما أثار تجاوب الجماهير في الأردن ، وفي غيره من أرجاء الوطن العربي ، ومن هذه الإنجازات شراء السلاح من الكتلة السوفيتية ، فكان دليلًا محسوسًا على إمكانية الحصول على وسائل الدفاع ، وبناء قوة ذاتية تحقق أهدافًا وطنية ، وأن نظام محالفات لا تمت بصلة إلى هموم ومصالح عربية حقيقية كان لابد أن يفشل[١].

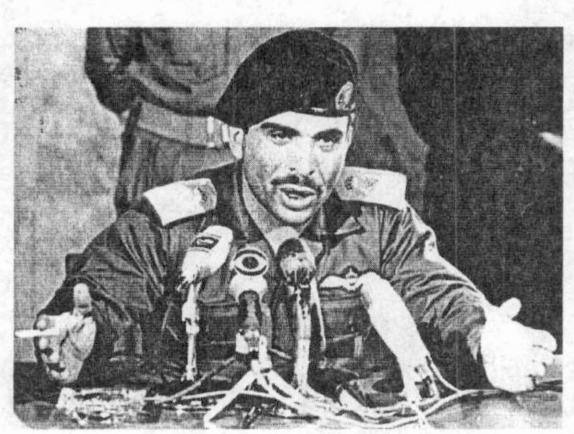
- وفي أعقاب هذا الصدّ لحلف بغداد أقيل القائد البريطاني للجيش الأردني الفرق جلوب باشا ، وجاءت إقالته في مارس (آذار) عام ١٩٥٦ نتيجة عدة عوامل تمثلت في الآتي:- كان وجود ضابط بريطاني على رأس الجيش الأردني إهانة «واضحة» للشعور الوطني، ونفوذ جلوب على الحكومة الأردنية سبب السخط والغضب الكبيرين.. وقد مارس (جلوب) بحكم المكانة الخاصة لبلاده في الأردن ، ولأن الإعانة البريطانية للجيش الأردني كانت تصرف عن يده ، ثم إن سلطة (جلوب) أثارت حفيظة الملك حُسين ، والذي تحين الفرصة للخلاص من الرجل ، والذي كان الحاكم الفعلي للبلاد دون منازع.

وقد اعتبرت إقالة (جلوب) ضربة قوية لمكانة بريطانيا (العظمى) في العالم

(١) نجلاء أبو عز الدين: مرجع سابق ذكره ، ص٢١٦.

العربي The Arab World ، وبالتالي تعزيزًا لهيبة عبد الناصر ونفوذه. . وقد اضطرب إلى حد غير معقول رئيس وزراء بريطانيا والوزراء وقطاعات من الصحافة حول طرد ضابط كان – من الوجهة القانونية – موظفًا لدى الحكومة الأردنية!!

-احتفظ التيار القومي باندفاعه ، وتدفقه خلال عام ١٩٥٦ ، وازداد اقتراب الأردن من سورية ومصر، فعقد مع كل منهما اتفاقية لتنسيق خططهما «الدفاعية» .. وفي شهر أغسطس «آب» اتفق الأردن وسورية على إقامة وحدة اقتصادية.



– وكان الأردن خلال أزمة حرب السويس «١٩٥٦م» هدف سلسلة من الغارات الإسرائيلية «الصهيونية» .. وكان إيدن قلقًا من احتمال توجه الملك حُسين إلى مصر طلبًا للعون، ولذلك أعوز لنوري السعيد أنّ يعلن استعداد العراق لإرسال قوات من الأردن ، وفورًا عارضت إسرائيل هذا التحرك!!![1].

– وفي صيف وخريف عام ١٩٥٦ كانت نتيجة الانتخابات ، والتي أسفرت

(1) نجلاء أبو اعز الدين : ناصر العرب ، ترجمة فريد أبو عز الدين ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٨ ، ص٢١٦.

نتائجها عن مجس نيابي مؤيد لنهج عدم الانحياز في السياسة الخارجية وداعم لقيام اتحاد عربي وقومي لحل مشاكل الأردن.

- وتمشيًا مع هذا الاتجاه «القومي» عقدت الحكومة الأردنية في ٢٥ تشرين الأول (أكتوبر) معاهدة دفاعية مع سورية ومصر -كما أشرنا من قبل- حيث وضعت بموجبها جيوش الأقطار الثلاثة تحت قيادة مشتركة على رأسها قائد مصري في حالة نشوب حرب مع إسرائيل (الصهيونية).. وقد اعترف رئيس الحكومة البريطانية صراحة ودون مواربة بأن عقد هذه «المعاهدة» كانت أهم أسباب الهجوم الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م، والذي كان يستهدف وقف تيار نفوذ عبد الناصر[1].

- والجدير بالذكر في هذا المضمار أن توقيع ميثاق التضامن والموقع في كانون الثاني (يناير) عام ١٩٥٧م من أسباب القرار، والذي اتخذته الحكومة الأردنية بإنهاء معاهدة الصداقة مع بريطانيا (العظمى) والمعقودة سنة ١٩٤٨م.

- وكان لأزمة عام ١٩٥٧ م كما كان لأحداث العام السابق سبب أساسي واحد هو محاولة «جر» الأردن إلى الالتزام بما لا يتفق والاهتمامات «القوميّة».. أولًا: كان حلف بغداد، ثم مبدأ إيزنهاور (١٨٩٠ - ١٩٦٩) عام ١٩٥٧ (ملأ الفراغ)، فجرى إخماد الاحتياجات الشعبية بقسوة - كما تذكر الباحثة نجلاء أبو عز الدين - ووقف خلف قمع الحريات في الأردن الأسطول السادس الأمريكي، والذي قام بمناورات استعراضية للقوة في شرقي البحر الأبيض المتوسط، وأعلن وزير الجيش الأمريكي أن القوات مستعدة للهبوط بالمظلات

(1) نجلاء أبو عز الدين: مرجع سابق، ص٢١٨.

في الأردن ، وأرسلت شحنات من الأسلحة الأمريكية إلى قوى الأمن الداخلي، كما أعلن السفير الأمريكي تقديم هبة قدرها عشرة ملايين دولار لمساعدة الأردن اقتصاديًا ، والمحافظة على استقرار وضعه السياسي[١] .

– وقد هز قيام الجمهورية العربية المتحدة في ٢٢ فبراير (شباط) عام ١٩٥٨م الشعب الأردني ، كما هز العرب في كل مكان من العالم العربي The Arab World ، بينما إعلان الاتحاد بين العراق والأردن – بعد أسبوعين – لم يترك أثرًا، ولم يثر أي اهتمام.

– وقد أحدث سقوط الملكية في العراق في ١٤ يوليو (تموز) عام ١٩٥٨ م بعد قتل الملك فيصل الثاني (١٩٣٥ - ١٩٥٨) وعائلته اضطرابًا في السياسة البريطانية/ الأمريكية في العالم العربي The Arab World ، ونشر الذعر لدى حلفائهما المحليين .. ففي استعراض «مسرحي» للقوة ولتدعيم أصدقائهم أنزل الأمريكيون جنود البحرية (المارينز) في بيروت !! كما أرسل البريطانيون ، وهم في قمة صلفهم قوات محمولة جوًا إلى الأردن ، وفي طريقها إلى عمان سمح للطائرات الحربية البريطانية بالمرور فوق المجال الجوي لإسرائيل ، ولما انسحبت القوات البريطانية من الأردن – بعد بضعة أشهر – غادرته هذه المرة بطريق سورية «الأقليم الشمالي» في الجمهورية العربية المتحدة[٢] .

– ويقدم محمد رفعت رؤيته عن منهج الملك حُسين بن طلال في الحكم وطريقته المتناقضة في كتابه «المهم » «التوجيه السياسي للفكرة العربيّة الحديثة» ،

(1) نجلاء أبو عز الدين : ناصر العرب ، ترجمة فريد أبو عز الدين، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، عام ١٩٨٨، ص٢١٨

(2) نجلاء أبو عز الدين : مرجع سابق ذكره ، ص٢١٨.

فيذكر أنه: «ومع أن الأردن لم ينضم فعلًا إلى «حلف بغداد»، فإن العون المالي والفني والسياسي ، الذي قدمته الولايات المتحدة للأردن قد جعل من هذه البلاد إحدى ركائز النفوذ لغربي في الشرق الأوسط.. ولكن حسين لم يلبث أن واجه خطرًا حيويًا جديدًا هدد الأردن ، وذلك باتحاد سوريا ومصر وقيام الجمهورية العربية المتحدة في فبراير ١٩٥٨ ، فسارع بالاتصال بقريبه ملك العراق ، ومازال حتى أعلنوا قيام الاتحاد العربي بين العراق والأردن ليوازنوا به قيام الجمهورية العربية المتحدة في ١٤ فبراير عام ١٩٥٨م ، وكان اتحادًا لم يقرر له البقاء أكثر من بضعة شهور»[١].

ويستطرد محمد رفعت في معرض آخر فيقول: «ففي ١٤ يوليه عام ١٩٥٨ تكهرب الجو، وقامت ثورة العراق (بعد اغتيال فيصل الثاني وعائلته) ، وظن الملك حُسين أنه بمقتضى القانون الأساسي للاتحاد العربي ، الذي أنشأه العراق والأردن يصبح حسين بعد مصرع فيصل الثاني (١٩٣٥- ١٩٥٨) رئيسًا لحكومة الاتحاد ، وكان عليه أنّ يتخذ من الإجراءات ما يكفل القضاء على الثورة ، وقد خشيت الولايات المتحدة الأمريكية – حينئذ – أن تتطور الأمور فيمتد لهيب الثورة (Revolution) ، ويلتهم البقية الباقية من النفوذ العربي في الأردن ولبنان ، وعلى ذلك أنزلت الولايات المتحدة قواتها البرمائية في لبنان ، وهبطت فرق من جنود المظلات البريطانية في الأردن لحماية النظام القائم وثار الرأي العام العربي لذلك ، واحتجت الجمهورية العربية المتحدة معلنة مساندتها للثورة في العراق ، ولم تلبث الحال أن هدأت في مدى شهرين وجلت القوتان عن الأردن ولبنان»[٢].

---

(1) محمد رفعت: التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة ، دار المعارف بمصر ، طبعة عام ١٩٦٤، ص٣٣٤.

(2) محمد رفعت: مرجع سابق ذكره ، ص٣٣٤.

وقدم رفعت تبريرات ربما تكون مقبولة عند البعض لوجود التناقض الواضح في أسلوب حُسين ومنهجه في الحكم، والتي جعلته أشبه بلاعبي السيرك، فذكر: «.. ومما يؤثر في توجيه سياسة الأردن تأثيرًا عظيمًا ضآلة إيراداته المالية وصغر مساحة أراضيه الصالحة للزراعة، وعدم كشف موارد معدنية تذكر في جوف أرضه، مما دعا الأردن إلى الاعتماد كثيرًا على العون المالي، الذي تقدمه الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا»[1].

-ومع هذا تبقى علاقة الأردن بمصر (عبد الناصر) علاقة فريدة - كما يقول أحمد حمروش في سفره الكبير والمهم «ثورة ٢٣ يوليه»، حيث وصلت أحيانًا إلى درجة ملحوظة من الصداقة والتعاون.. وتنافرت أحيانًا أخرى إلى درجة العداء واستباحة الدماء .. وقد تداخلت في هذه العلاقة عدة عوامل منها الصلة العضوية، التي كانت تربط الأردن ببريطانيا (العظمى) منذ عهد الأمير - الملك عبد الله - وصلة القرابة بين الملك حسين، وملك العراق فيصل، والمنافسة التقليدية بين الأسرة المالكة في السعودية في الحجاز، وبين الأسرة المالكة الهاشمية في العراق والأردن، وطبيعة الدولة التي جمعت بين الفلسطينيين المهاجرين والبدو، ومحاولات الاستعمار المتكررة لفرض الأحلاف العسكرية في المنطقة[2].

(1) محمد رفعت: التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة، دار المعارف بمصر، طبعة عام ١٩٦٤، ص٣٣٥.
(2) أحمد حمروش: ثورة ٢٣ يوليه، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة عام ١٩٩٢، ص١٠٣٧.



# عبد الناصر.. ولبنان

### أ-إستراتيجية لبنان وتاريخية مأساته:

-قلما تتعرض دولة لمأساة تاريخية كتلك التي تعرضت لها لبنان، وذلك بالرغم من أن جزءًا كبيرًا من هذه «المأساة» كان بمثابة جرح أحدثته لبنان لنفسها، لقد خلقت فرنسا لبنان من خلال منطقة انتداب حصلت عليها من تركيا بعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م).. لقد حاولت أمة حبيسة يسيطر عليها أغلبية مارونية مسيحية حول جبل لبنان، وذلك رغم أن البيانات عن أنهم يمثلون الأغلبية العظمى بيانات غير مؤكدة[١].

والجدير بالبيان أنه لما دخل الفرنسيون في عام ١٩١٨م عقب إبرام الهدنة مع الأتراك (العثمانيين) كانوا يزعمون أن اللبنانيين وأكثريتهم من المسيحيين الكاثوليك سيكونون السند القوي والضلع الأقوى لفرنسا في دعم سياستها (الاستعمارية) في المنطقة، وذلك اعتمادًا على ما كان يربط اللبنانيون المارونيين والفرنسيين من وحدة في الدين والثقافة، ومن خدمات جليلة أداها «الفرنسيون» للبنان عبر التاريخ أقدمها في العهد الصليبي (وحروب القرون الوسطى)، وآخرها عندما أرسلت فرنسا في عهد الإمبراطور نابليون الثالث، وأرسلت -وقتئذ- حملة عسكرية لحماية المسيحيين، عقب المذابح التي وقعت

(١) أنتوني هـ. كوردسمان: بعد العاصفة، ص٣٤٤.

مآسيها في لبنان في عام ١٨٦٠م بين المارونيين والدروز .. وقد كانت تلك الحملة الفرنسية سببًا في منح لبنان حق الاستقلال الإداري في عهد الأتراك[١].

- ويرى محمد رفعت في كتابه المهم «التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة» : «أن نقطة الضعف (الحقيقية) في المجتمع السوري اللبناني أنّ الحكم العثماني المتداعى، الذي قام فيهما وامتد نحو نحو أربعة قرون قد قوى أسباب الشقاق والخلاف بين الطوائف الدينية في البلدين، وأنه لما انقضى الحكم العثماني في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ –١٩١٨م) ، كان من سوء خط البلدين أن انتهت عليهما فرنسا التي تمادت في بث عوامل الفرقة بين الطوائف المختلفة ، وكانت الفكرة العربية قد تحولت في أثناء الحرب العالمية الأولى من مجرد أحلام وأماني إلى حقائق أعرب عنها السوريون حين أعلنوا فيصل ابن الشريف حسين ملكًا عليهم في مارس ١٩٢١ عقب انتهاء الحرب وتسريح الجنود البريطانيين.. فأرادت فرنسا أن تقوض دعائم فكرة الدولة العربية ، وتمحو آثارها ، فانبرت تطارد فيصل بن الحسين ، وتشتبك مع العرب في حرب غير متكافئة ، كان نتيجتها هزيمة الوطنيين العرب في «ميسلون» في يوليه سنة ١٩٢٠ ، ثم أنها لم تكتف بذلك ، بل أنها جعلت الفروض الدينية هي القاعدة التي تسير عليها حكم البلاد.. ومع أن محاولات فرنسا قد باءت أخيرًا بالفشل، فإن آثار حكمها قد بقيت في نفوس الشعب حتى بعد أن تضافرت جميع القوى والعناصر على مجابهة العدو المشترك[٢].

(1) محمد رفعت: التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة ، دار المعارف بمصر ، طباعة عام ١٩٦٤ ، ص٢٠٥.

(2) محمد رفعت: مرجع سابق ذكره، ص٢٠٦.

- بيد أن أهل لبنان كغيرهم من الشعوب الصغيرة -كما يذكر رفعت- التي كانت مغلوبة على أمرها قبل الحرب العالمية الأولى (والتي بدأت ١٩١٤) قد هزت هذه الشعوب «المقهورة» صيحة المبادئ الحرة الجديدة التي أعلنها الحلفاء ونادى بها الرئيس الأمريكي ودروولسون (حكم من ١٩١٣ وحتى ١٩٢١) بشأن حق الشعوب في تقرير مصيرها، ولذلك رأينا من أهل لبنان من يشترك مع العرب في مؤتمراتهم واجتماعاتهم وقراراتهم برغم الحظر «المقيت»، الذي كانت تفرضه القوات الفرنسية عليهم في أعقاب الحرب[1].

- وغني عن البيان أنه قد أعلن استقلال لبنان عام ١٩٤١ رغم أن القوات الفرنسية لم تبرح لبنان فعليًّا، وحتى عام ١٩٤٦ والدولة، والتي تولدت من هذا كانت مساحتها ١٠٤٠٠ كيلومتر مربع، ولها شواطئ طولها ٢٢٥ كيلومترًا على البحر الأبيض المتوسط، ٧٩ كيلومترًا حدودًا مع إسرائيل، ٢٧٥ كيلومترًا حدودًا مع سوريا[2].

- وفي عام ١٩٣٤م عقد المارونيون اتفاقًا مع السنة حدد فيه أن رئيس الجمهورية يكون مارونيًا، ورئيس الوزراء من الطائفة السنية، ورئيس مجلس النواب من الطائفة الشيعية، كما حدد أيضًا أن يكون مجلس النواب والخدمة

---

(1) محمد رفعت: التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة، دار المعارف بمصر عام ١٩٦٤، ص١٩٧.

(2) أنتوني هـ. كوردسمان: بعد العاصفة، التغيرات في التوازن العسكري بالشرق الأوسط، ترجمة وتقديم وتعليق المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة، دار الهلال بمصر، بدون تاريخ، ص٣٤٤.

المدنية مقسمة حسب التعداد بين المسيحيين والمسلمين، والذي زعم أن النسبة ٩ مسيحيين إلى ٥ مسلمين، ولم يكن هناك إحصاء رسمي للدولة اللبنانية منذ عام ١٩٣٢، ومن المؤكد - كما يذكر الخبير الإستراتيجي أنتوني كوردسمان - أن النسبة غير صحيحة، ومن الواضح أن السنيين كانوا الأغلبية.. وفي الواقع قامت المخابرات المركزية الأمريكية CIA عام ١٩٨٨ بتقدير أن ٤١٪ من سكان لبنان شيعة، ٢٧٪ سنة، ١٦٪ مارونيون مسيحيون، ٧٪ دروز، ٥٪ يونانيون أرثوذكس، ٣٪ يونانيون كاثوليك، ١٪ مسيحيون آخرون[1].

- وقد أدت الصدامات الداخلية بين العائلات المارونية إلى عدم استقرار النظام الحكومي في لبنان، وازداد الأمر سوءًا عندما خسرت لبنان بعض المعارك التي خاضتها بعد عام ١٩٤٨ في الصدام مع إسرائيل، وغرقت الدولة اللبنانية بفيض من المهاجرين الفلسطينيين، حيث أثرت على الجانب الديمغرافي اللبناني، وكانت له تداعيات عديدة في أعقاب الهجرة المتلاحقة إلى لبنان.



**ب- دور عبد الناصر لمناصرة الحق اللبناني:**

-كانت ثورة يوليو ١٩٥٢ في مصر - كما يذكر محمد رفعت في كتابه «التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة» - قد بهرت العالم لعربي The Arab World بما حققته من نجاح، فتاق الشعب اللبناني إلى حدث مماثل يقضى به

(1) أنتوني هـ كوردسمان: مرجع سابق ذكره، ص٣٤٤.

اللبنانيون على عناصر الفساد.. ومع ذلك لم يسع الرئيس بشارة الخوري إلا أن يستمع إلى نداء العقل، فاستقال بعد أن عين الجنرال فؤاد شهاب قائد الجيش للرئاسة بشكل مؤقت، ولما رفض «الأخير» ذلك، اختار المجلس بالإجماع «كميل شمعون» رئيسًا في ٢٣ سبتمبر ١٩٥٢[١].

- وقد كان المأمول أن يظل لبنان مسايرًا للسياسة العربية، والتي كانت تمثلها جامعة الدول العربية، لاسيما أن حدوده تتاخم حدود الدولة العبرية (إسرائيل) من الشمال، ولكن ما لبث الأمر أن رأينا «كميل شمعون» ورئيس وزرائه «سامي الصلح» يقومان بزيارة رسمية لدولة تركيا في أبريل سنة ١٩٥٥، وأن يقوم رئيس جمهورية تركيا برد الزيارة للبنان في يونيو من ذلك العام، ويعلن الرئيسان (اللبناني والتركي) بأنه لا خلاف في الرأي بين الحكومتين، وأن التعاون الفعلي وشيك القيام بينهما، وبدا للعرب كأنما لبنان يعد العدة للانضمام إلى العراق في «حلف بغداد»، وعلى ذلك توترت العلاقات بين لبنان من جهة، وبين مصر والسعودية وسوريا من جهة أخرى، إلى أن وقع العدوان المسلح على مصر على أثر تأميم قناة السويس في خريف ١٩٥٦، فاستجاب لبنان كغيره من العالم العربي لنداء القومية العربية، والشعور القومي، ولكن حكومات لبنان اكتفت باستدعاء ممثليها في باريس ولندن، ولم تقطع علاقتها معهما كما فعلت سوريا[٢].

(1) محمد رفعت: التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة، دار المعارف بمصر، طباعة عام ١٩٦٤، ص٢٠٢.

(2) محمد رفعت: التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة، دار المعارف بمصر، طباعة عام ١٩٦٤، ص٢٠٣

- ولما أعلن الرئيس الأمريكي دوايت إيزنهاور Eisenhower (١٨٩٠ - ١٩٦٩م) في أوائل عام ١٩٥٧ مبدأه الذي أراد به أن يملأ الفراغ، الذي نجم عن ذهاب النفوذ البريطاني والفرنسي عن المنطقة على أثر العدوان الثلاثي (من فرنسا وإنجلترا وإسرائيل) كانت حكومة لبنان أول من أشاد بالمبدأ واحتفى به وأبدى استعداده لقبوله، وذلك على الرغم من وقوف سوريا ومصر ضد هذا المبدأ «الاستعماري»، الذي لم يكن يرمى إلا استعادة النفوذ الغربي في منطقة الشرق الأوسط The Middle East بعد أن فشلت مساعي الغرب في حرب بورسعيد والقناة.. ودأبت الحكومة اللبنانية منذ ذلك الحين على السير في درب متناقض لرغبات أكثرية الشعب اللبناني[١].




وقد اشتعلت الثورة في لبنان في ٨ مايو (آيار) سنة ١٩٥٨ بعد اغتيال صحفي ماروني، وثارت الاضطرابات، وتفاقمت الاحتجاجات، وحمّلت المعارضة الحكومة اللبنانية مسؤولية هذا الفعل، وأعلنت اضطرابًا عامًا في أرجاء البلاد، فاشتبكت قوات الأمن مع المتظاهرين، واشتعلت نيران الثورة Revolution، والتي كانت نفسها هدفًا لمؤامرات ونشاطات هدامة من جانب عملاء «حلف

(١) محمد رفعت : مرجع سابق ذكره، ص٢٠٣، ٢٠٤.

بغداد»، الذين منحتهم الحكومة اللبنانية الملجأ والتشجيع..!! لكن تأثير الجمهورية العربية المتحدة على لبنان فاق بكثير ما تلقته الثورة من العون المادي، إن الذي أحدث هذا التأثير هو ارتباط مضمون دعوتها بحل مشاكل الدولة اللبنانية إذا أن حاجة «لبنان» الأساسية هو شعورٍ بالهوية، وولاء مشترك يوحد مختلف الجماعات والأطياف، ويربطها بالدولة State، وأن التطوير الاقتصادي القائم على تخطيط عملي مدروس، وهادف إلى عدالة اجتماعية يمكن أن يخلق في «لبنان» ولاءً جديدًا، يحل محل الارتباطات الطائفية والمذهبية[1].

-في أغسطس (آب) عام ١٩٥٨ عقدت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة دورة خاصة؛ لبحث الموقف في «لبنان» و«الأردن»، حيث أرسلت قوات بريطانية في نفس الوقت الذي نزلت فيه قوات البحرية الأمريكية (المارينز) في لبنان.. وخلال المناقشات تراجعت شكاوى الحكومتين: اللبنانية والأردنية من تدخل الجمهورية العربية المتحدة إلى الخلف[2].

فالجدير بالذكر أنه بعد حدوث اضطرابات في «لبنان» فوجئ العالم بثورة العراق الأولى في ١٤ يوليو (تموز) عام ١٩٥٨م، وتخوفت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا أن ينهار ويسقط ما تبقى من نفوذ للغرب في لبنان والأردن.. فتحركت الولايات المتحدة لإنزال قواتها البحرية (المارينز) بلبنان، وتحركت بريطانيا أيضًا لإنزال جنود مظلاتها بعمان بالأردن .. وأعلنت

(1) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب، ترجمة فريد أبو عز الدين، دار المستقبل العربي، القاهرة، الطبعة الأولى عام ١٩٨٨، ص٢٢٢، ٢٢٣.

(2) نجلاء أبو عز الدين: مرجع سابق ذكره، ص٢٢٣.

الدولتان : «الأمريكية / والبريطانية» أنهما ستسحبان قواتهما بمجرد استقرار الأمور ، واستتباب الأمن في المنطقة..!![1].

وكان أول من استقر عليه رأي الحكومة الأمريكية أن تؤكد عزم «كميل شمعون» على عدم التقدم للانتخابات وخوضها ، وأن تعجل في اختيار رئيس جديد للبنان ترضى عنه الأحزاب السياسية والطوائف المذهبية جميعها.. وقد أدى المطاف بها في النهاية إلى ما سبق أن عرضته واقترحته مصر ، وهو تأييد ترشيح الجنرال «فؤاد شهاب» ، وقد تم انتخابه بالفعل في ٣ يوليو (تموز) سنة ١٩٥٨ بما يشبه الإجماع.. وغادرت القوات الأمريكية أدراجها ، وعادت العلاقة بين لبنان والجمهورية العربية المتحدة إلى سابق عهدها ، وقد كان للمقابلة التي تمت على حدود سورية ولبنان بين الرئيس جمال عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠م) والرئيس شهاب في ٢٥ مارس ١٩٥٩ أبلغ الأثر وأعظمه في دعم روابط الأخوة العروبيّة والصداقة بين القطرين العربيين[2].



-وترصد الباحثة نجلاء أبو عز الدين في كتابها «ناصر العرب» التغيرات التي حدثت على الساحة اللبنانية بالنسبة للموقف العربي وجمال عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠) قائلة: «إن طابع لبنان العربي ، الذي جرى إعلانه بتحفظ سنة ١٩٤٣ أصبح بعد سنة ١٩٥٨ حقيقة أساسية في الحياة العامة ، كما أنّ قضية

(1) محمد رفعت: التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة ، ص٢٠٥.

(2) محمد رفعت : التوجيه السياسي للفكرة العربيّة الحديثة ، دار المعارف بمصر ، عام ١٩٦٤ ، ص٢٠٥.

العرب الأولى فلسطين ، هي أيضًا قضية لبنان ، ويستضيف أكبر تجمع فلسطيني خارج الأردن وقطاع غزة ، ويبلغ عـددهم ثلاثمائـة ألـف ( تزايـدت أعـدادهم مؤخرًا) ، أخرجتهم إسرائيل بالقوة من ديارهم ، وشـنت القـوات الإسرائيليـة وسلاحها الجوي غارات وحشية على قرى جنوبي لبنـان ، زاعمـة أنهـا تـؤوي فدائيين.. وقد عم اللبنانيون في مختلف الاتجاهات والميول السياسية حزن مخلص لوفاة الرئيس جمال عبد الناصر ، فالتقدير عبّر عنه صحفي بـارز يمثـل شـعورًا عامًا ، إذ قال: «بعد ١٩٦٧ ، ولما لم يعد عبد النـاصر ، ذلـك الـزعيم المخيـف ، وصاحب السلطان غير المحدود ، أصـبح القائـد الجليـل لمائـة مليـون عـربي ، والصديق الصدوق الذي وثق به اللبنانيون لخلاصهم من مشاكلهم»[١].



(1) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب ، ترجمة فريد أبو عز الدين ، دار المستقبل العربي ، القاهرة، الطبعة الأولى ، عام ١٩٨٨، ص٢٢٤.

# ٣
# عبد الناصر.. وقضية الصومال

كانت الخريطة «الصومالية» في أوائل الخمسينيات من القرن العشرين، وهي ذات الموقع الإستراتيجي «الهام» في القرن الأفريقي «متعددة» في عدة أوجه: تمثل ذلك في وجود صومولات خمسة هي: الإيطالي، والإنجليزي، والفرنسي، والأثيوبي، والكيني.. كما تم وضع هذا الإقليم «المتعدد الأوجه» تحت وصاية هيئة الأمم المتحدة UN، والتي أنشأت بدورها المجلس الاستشاري منذ عام ١٩٥٠م مكونًا من ثلاث دول هي: مصر، وكولومبيا، والفلبين؛ للإشراف على البلاد لتحقيق استقلالها[١].

-غير أن الإيطاليين، والذين يملكون السلطة الإدارية -كما يذكر أمين هويدي في كتابه «مع عبد الناصر»- ويسيطرون أيضًا على اقتصاد البلاد، ويملكون مقاليده ومعظم أراضيه الخصبة، لا يريدون تغيير الأوضاع.. فاستغلال الصومال لصالحهم، ولحسابهم هو الأهم -قطعًا- فكانوا يضعون العراقيل أمام أي جهد مبذول يقوم به المجلس الاستشاري -المشار إليه سابقًا- لإشراك الوطنيين من الصوماليين في الإدارة وتدرجهم نحو استقلال إرادتهم، وإعادة حريتهم[٢].

(1) أمين الهويدي: مع عبد الناصر، دار المستقبل العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة، عام ١٩٩١، ص٢٤٦.

(2) أمين الهويدي: مرجع سابق ذكره، ص٢٤٦.

- ومن ثمَّ .. أبدى كل مستعمر طمعه في الصومال.. فلم يكن يعارض البريطانيون في استقلال (هرجيسية - الصومال الإنجليزي)، على أن يتحد مع الصومال الإيطالي بعد استقلاله في دولة مستقلة تدخل رابطة الكومونولث البريطاني.. كما أن أثيوبيا تسعى جاهدة إلى ضم الإقليم الذي تديره إلى الوطن الأم، كما ضمت منطقة «الأوجادين» من قبل تؤديها الولايات المتحدة الأمريكية في تنفيذ رؤيتها الاستعمارية[1].

- فقد كان المستهدف من هذا التقسيم الاستعماري هو القضاء على الملامح العربية للصومال، وإيجاد علاقة اقتصادية - وهي ذات الموقع الإستراتيجي الهام - بينها وبين الكيان الصهيوني في إسرائيل، وقد أعلنت مصر عام ١٩٥٢م وسط هذه المؤامرات الخبيثة عن سياستها الواضحة، والتي تعتمد على مساندة القوى الوطنية في الصومال؛ من أجل احتفاظ شعبها بمقوماته وبحدوده العربية الإسلامية، ووحدة أراضيه، وقطع الطريق «الرجعة» على إسرائيل؛ حتى لا تجد لها موطئ قدم؛ لصوغ علاقة اقتصادية مع الصومال.

وقد وضعت مصر سياستها على اتجاهين وهما:-

**الأول: الاتجاه السياسي القانوني:** وفيه استندت مصر على وضعها القانوني في المجلس الاستشاري، والذي كان يعطيها الحق في محاسبة الإدارة الإيطالية عن طريق هيئة الأمم المتحدة UN.

**الاتجاه الثاني :** حيث قدمت مصر مساعدتها الإيجابية عن طريق إمداد

(1) أمين هويدي: مرجع سابق ذكره، ص٢٤٧.

المدارس العربية التي تفتحها الجمعيات والأحزاب بالمدرسين والكتب العربية والجامعات لأبناء الصومال.. كما فتح الأزهر «الشريف» أبوابه على مصاريعها لأعداد هائلة من الصوماليين ، وقام بإرسال بعثة أزهرية إلى الصومال، حيث استقلت الدولة عام ١٩٦٠م[١].

-ويرى محمد فايق في كتابه «عبد الناصر والثورة الأفريقية» أن الصومال شهد صراعًا عنيفًا بين العديد من القوى الاستعماريّة والأجنبية ، التي أتاحت لها الظروف التواجد بالصومال، وكان كلها تشكل خطرًا على الاستقلال الحقيقي للإقليم.. فكان الإيطاليون أخطر هذه القوى الاستعمارية – قاطبة – فهم يملكون سلطة الإدارة ، ويسيطرون على الاقتصاد، ويخططون – بدهاء – لإبقاء اقتصاد الإقليم خاضعًا للاقتصاد الإيطالي .. أما القوى الاستعمارية الثانية بريطانيا ، والتي كانت تستعمر جزءًا من الأراضي الصومالية ، وهو ما عرف بالصومال الإنجليزي ، كما أن نفوذها متغلغلًا في الإقليم عن طريق بعض الشركات الاقتصادية ، التي قامت عندما احتلت بريطانيا الصومال عام ١٩٤٢ عقب هزيمتها للإيطاليين أثناء الحرب العالمية الثانية ، وكان الخطر الثالث على الإقليم الصومالي ، فكانت أثيوبيا ، والتي كانت تسعى دومًا إلى ضم الإقليم إليها بصفتها «الوطن الأم»، كما كانت تزعم ذلك ، وقد نجحت من قبل في ضم إقليم «أوجادين» الصومالي – كما أشرنا – بمساندة أمريكا ، والتي كانت تقف وراء كل نشاط أثيوبي وتدعمه[٢].

(1) أمين الهويدي : مع عبد الناصر ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، طباعة عام ١٩٩١، الطبعة الثالثة ، ص٢٤٧.

(2) محمد فايق: عبد الناصر والثورة الأفريقية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، الطبعة الخامسة ٢٠٠٢، ص٣٣ ، مطبوعات ثورة يوليو (٥).

–ويرى فايق أنه ، وعلى الرغم من تعارض أهداف هذه القوى الأجنبية الاستعمارية في الصومال ، وتباين مواقفها ، إلا أنها جميعًا كانت متفقة على ضرورة القضاء على الملامح العربية للصوماليين، كما كانت تتفق في حماسها لإيجاد علاقة اقتصادية وطيدة بين الصومال وإسرائيل ، والتي كانت الأخيرة بدورها قد أقامت «مجزرًا» آليًا في جيبوتي ، وأنشأت شركات في أثيوبيا أهمها: شركة «أنكورا»[١].

– ووسط هذا الصراع العنيف لهذه القوى ، التي كانت تتآمر على مصالح الشعب الصومالي ، جاءت مصر – بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ بزعامة عبد الناصر – لتلعب دورًا تاريخيًا في مساندة القوى الوطنية في الصومال في نضالها من أجل الاستقلال Autonomy ، والاحتفاظ بمقومات الشخصية الصومالية بجذورها العربية الأفريقية الإسلامية[٢].

(1) محمد فايق: عبد الناصر والثورة الأفريقية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، مطبوعات ثورة يوليو(٥) ، الطبعة الخامسة ، ٢٠٠٢، ص٣٣.

(2) محمد فايق : مرجع سابق ذكره ، ص٣٣.

# الباب الثالث

**التداخل العربي – الأفريقي على مر التاريخ ، وجدلية هذه العلاقة ، ودور مصر في أفريقيا ، والدور المتفرد لقائد ثورة يوليو ١٩٥٢ في مساندة حركات التحرر الأفريقي ، وإشعال ثوراتها .**

# الفصل الأول

## التداخل العربي / الأفريقي، وجدلية هذه العلاقة (رؤية تاريخية وسياسيّة)

قبل أن نبين أن هناك تداخلًا بين العرب والأفارقة والامتزاج التاريخي بينهما، وجدلية هذه العلاقة، وكيفية فهم الدور المصري في أفريقيا، ودور عبد الناصر «المتفرد» في إشعال الثورات الأفريقية، نريد أن نوضح بداءة الوضع الأفريقي على الخريطة العالمية، وجغرافيتها السياسيّة، وموقعها الإستراتيجي الهام على النحو التالي:-

تعد قارة أفريقيا من قارات العالم القديم، والتي شهدت أروع وأعرق الحضارات القديمة في غابر الزمان ومر الدهور، وهي: «الحضارة الفرعونية». كما أن أفريقيا من القارات الغنية بمصادر طاقاتها ومعادنها الثمينة: كالماس والذهب؛ ولذلك كان محط أنظار الدول الاستعمارية الغربية؛ حيث نهبت تلك الثروات واستغلتها أسوأ استغلال وأبشعه، كما ينضاف إلى ذلك ما قام به الغرب من تجارة العبيد وما درته من أرباحًا طائلة على تلك الدول الغربية (1).

-فأفريقيا تحتل مساحة جغرافية تزيد على ٣٠.٣٣٥ مليون كم٢، وتتكون من ٥٣ دولة منها: ٤٦ دولة واقعة في مجالها «القاري»، و٧ دول هي عبارة عن

(1) نزار حميد: الواقع العام للقارة الأفريقية، في مجلة معلومات دولية، مجلة فصلية، تصدر عن مركز المعلومات القومي – سوريا، العدد ٦١، السنة السابعة، صيف ١٩٩٩، ص٦.

مجموعة جزر ، ومن الدول الأفريقية: ١٠ دول عربية تحتل مساحة جغرافية ١٠,٣٣ مليون كيلومتر مربع ، أي: نحو ثلث القارة.

– وقد بلغ سكان القارة الأفريقية عام ١٩٩٢ نحو ٦٥٦ مليون نسمة ، وصل في عام ١٩٩٦ نحو ٧٣٥ مليون نسمة ، ويتوقع أن يصل عدد سكانها إلى ١٥١٠ ملايين نسمة في عام ٢٠٢٥ م بزيادة سنوية تقدر بـ٢٩٪ مقابل ١.٧٪ نسبة الزيادة العالمية.. وتعد القارة الأفريقية الأقل كثافة سكانية على المستوى العالمي؛ حيث تبلغ ٢٤,٣ نسمة / كم٢ مقابل ٤٣,٨ نسمة/ كم معدل الكثافة السكانية في العالم[١].

– لا تفتقر القارة الأفريقية إلى الموارد الطبيعية بقدر افتقارها واحتياجها إلى الوسائل اللازمة لاستثمار تلك الموارد ؛ حيث تتمتع القارة الأفريقية باحتياطي هام لمنابع وموارد الطاقة ، ولاسيما اليورانيوم؛ حيث تشكل نسبة احتياطها من الاحتياطي العالمي ٢٥٪ ، ومن النفط ٨٪ ، والطاقة الكهرمائية ٣٥٪ ، والفحم الحجري ٢,٥٪ .. ويشكل إنتاج النفط «العمود الفقري» للطاقة في أفريقيا ٦٠٪ من إجمالي الطاقة ، والذي يشكل ٨,٨٪ من الإنتاج العالمي للنفط ، تنتج ٩٠ في المائة منه خمس دول من أفريقيا هي نيجيريا ودولة الجزائر ومصر وأنجولا وليبيا[٢].

– وتتفرد القارة الأفريقية بتنوع ثري من اللغات واللهجات ؛ إذ يوجد فيها

(1) نزار حميد: الواقع العام للقارة الأفريقية ، معلومات دولية ، العدد ٦١ صيف ١٩٩٩، ص٦.

(2) نزار حميد: الواقع العام للقارة الأفريقية ، في مجلة معلومات دولية International Information تصدر عن مركز المعلومات القومي في الجمهورية العربية السورية ، السنة السابعة ، العدد ٦١ ، صيف ١٩٩٩، ص٨.

أكثر من ٢٠٠٠ لغة ولهجة منطوقة ومعروفة ، صنفها علماء اللغة ضمن ١٦ عائلة «لُغويّة»، وبعض هذه اللغات ينتشر – فقط – بين بضعة آلاف من الأفارقة ، فيما بعضها الآخر ينتشر بين عشرات الملايين ، كاللغة العربية ، التي تعد إضافة إلى اللغتين الهواسا Housa والسواحيلية Sawahili من أهم لغات القارة الأفريقية ، وأكثرها انتشارًا.. ويلاحظ – في هذا المضمار – أن معظم الدول الأفريقية تستعمل لغة الدول الأوروبية المستعمرة كاللغة الفرنسية والإنكليزية كلغة رسمية إلى جانب استعمال هذه اللغات المحلية[1].

– هذا ما طرحناه بخصوص اللغة ، أما بخصوص الأديان وانتشارها في القارة الأفريقية ، فيعد الدين الإسلامي أكثر الديانات انتشارًا في أفريقيا ، إذ يدين به نحو ٣٤٠ مليون إنسان، يليه في المرتبة الثانية الدين المسيحي ، والذي يقدر عدد أتباعه من المسيحيين بنحو ٢٦٠ مليون نسمة ، ثم الديانات الوثنية المنتشرة في شرق ووسط غرب أفريقيا.. والجدير بالذكر – في هذا الشأن – أن عدد اليهود في هذه القارة – وفق إحصاءات عام ١٩٩٣ – يبلغ نحو ١٠٧.٠٠٠ نسمة معظمهم يتركز في دول جنوب أفريقيا[2].

–أما بخصوص العلاقة بين العرب وأفريقيا فهي قديمة قدم «التاريخ» ، ولن نكون مغالين في هذا الصدد؛ حيث يتفق معنا العديد من الباحثين في هذا الشأن– إذ يذكر أحدهم ، وهو إحسان هندي في دراسته «التعاون العربي – الأفريقي في نطاق المؤسسات الرسمية» قائلًا: ربما لا نكون أتينا بجديد إذ قلنا أن علاقات التعاون بين العرب والأفارقة قديمة قدم التاريخ نفسه ، وقد دخل

(1) نزار حميد : مرجع سابق ذكره ، ص٦.

(2) نزار حميد : الواقع العام للقارة الأفريقية ، معلومات دولية ، ص٧.

العرب في علاقات تصاهر وتحالف وتجارة مع الأفارقة منذ أقدم العصور ، وإذا أخذنا كلمة «عرب» بالمعنى الواسع للكلمة بمعنى الشعوب التي عاشت في شبه جزيرة العرب ، أو هاجرت منها، بوسعنا أن نرد سكان الجزء الشمالي من أفريقيا جميعًا إلى أصول عربية ، وليس من قبيل الصدفة أبدًا أن الأميرة الفينيقية إليسار (عُليشه) لما اضطرتها الظروف لمغادرة مدينة صور اختارت منطقة تونس في أفريقيا ملاذًا لها ؛ حيث بنت فيها مملكتها الجديدة «قرطاجة»، والأمر نفسه يمكن أن نقوله بالنسبة لهجرة المسلمين الأوائل إلى الحبشة[1].

– فالصلات بين العرب والأفارقة صلات موغلة في التاريخ القديم ، ترجع إلى ما قبل دخول الإسلام إلى «أفريقيا» أو حتى ظهوره بين العرب والأفارقة ، ويستبين ذلك من خلال التبادلات التجارية ، التي كانت تتم بينهم ، إضافة إلى بعض الهجرات الجماعية ، التي قام بها العرب إلى أفريقيا ، وكذلك مصاهرة بعض التجار والمهاجرين العرب للأهالي الأفارقة[2].

– ومن العلماء – كما أشرنا من قبل – من يذهب إلى أن أصل الأحباش من جنوبي الجزيرة هاجروا إلى العدوة الأفريقية لأسباب كثيرة منها : استيلاء البريثيين على سواحل بلاد العرب الشرقية ، ومن هؤلاء العلماء جلاوزر في كتابه عن «الأحباش»[3].

(1) د. إحسان هندي: التعاون العربي – الأفريقي في نطاق المؤسسات الرسمية ، مجلة معلومات دولية ، تصدر عن مركز المعلومات القومي في الجمهورية العربية السورية ، السنة السابعة ، العدد ٦١، صيف ١٩٩٩، ص١٣.

(2) يحيى عبد المبدي: العلاقات الثقافية العربية– الأفريقية ، الركائز ، القيود ، الآفاق، معلومات دولية، ص٢٤.

(3) جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ، دار الهلال ، ص١٢٤

– فمن المعروف أن لفظ «أثيوبيا» يوناني الأصل، ومعناه الوجه المحترق، أو الأسود، وقد أطلق على أرض الحبشة وعلى مناطق واسعة لا تدخل في الحبشة اليوم، تشمل جنوب وسواحل أفريقيا المطلة على البحر الأحمر والمحيط الهندي جنوبي بلاد العرب، وهي تقابل لفظ «كوش» الواردة في التوراة، مما يدل – كما يذكر جرجي زيدان (١٨٦١ - ١٩١٤) على أن الاتصال كان وثيقًا من قديم الزمان بين الشعوب التي تسكن هذه النواحي[١].

– وقد أكد هذه الهجرات العربية وتحركات السكان بين أفريقيا والجزيرة العربية وجود أدلة حاليًا تتمثل في وجود آثار عربية على الساحل الأفريقي الشرقي قبل ميلاد النبي ﷺ، والإسلام ذاته، وهذه الأدلة، والتي وجدت قديمة في أفريقيا قدمها في الجزيرة العربية تقريبًا[٢].

– وقد أدى ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي إلى ازدياد وشائج الاتصال العربي الأفريقي؛ حيث ازدادت الهجرات زرافات ووحدانا من الجزيرة العربية إلى أفريقيا؛ حيث تصاهر بعض العرب مع الأفارقة، وبالتالي احتكوا بهم احتكاكًا مباشرًا أو حيث استقرت جماعات عربية مكونة مراكز إشعاعية ذات تأثير وفعالية، فأدت الطرق الصوفية دورًا فعالًا في نشر الإسلام والثقافة العربية في أماكن متعددة من القارة الأفريقية، وتكونت إثر ذلك دويلات وممالك عربية في مناطق متفرقة من القارة، وقد ذكر الباحث يحي عبد المبدي في دراسته «العلاقات الثقافية العربية – الأفريقية» أنه قد «أدى التواصل

(1) جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، دار الهلال بدون تاريخ، ص١٢٤.

(2) قاسم الشريف: التغلغل الغربي في أفريقيا، وأثره على العلاقات العربية الأفريقية: معلومات دولية، ص٦٩.

التاريخي والجغرافي والإثني والديني إلى إحداث نوع من العراك الثقافي في صالح العلاقات العربية الأفريقية على مستوى اللغة والأدب والمضامين الفكرية والمعرفية ... إلخ ، الأمر الذي تواصل واستمر حتى بداية العصر الحديث[1].

- وقد أظهرت الحفريات الأثرية في شرق القارة الأفريقية آثارًا لمساجد ترجع إلى العصور الأولى للإسلام ، ومع قيام الدولة الإسلامية وازدياد قدراتها الاقتصادية ، وتطور حركاتها الاجتماعية ازدادت حركة التبادل التجاري والاتصال مع أفريقيا ، واتسع نطاقها ، وحولت الجاليات العربية مراكزها التجارية إلى مدن مثل: دار السلام، ومقديشو ، وممباسا ، وزنجبار ، وغيرها .. وكان لهذه المدن – كما يذكر الباحث قاسم الشريف – تأثير بالغ على القبائل الأفريقية ، التي ازدادت انتشار الإسلام واللغة العربية بينها ، واختلطت بالمهاجرين العرب ، واختلطت أنسابهم ، ومع مرور الزمن تطورت بين الطرفين علاقات قوية وثقافية مميزة المعالم ، أخذ الجانبان كلاهما نصيبًا وافرًا من الجانب الآخر، وأفرزت قبائل عربية عدّة تعتز بانتسابها للأصل العربي ، وتتحدث لغات غنية بالمصطلحات العربية ، فلا تزال اللغة العربية هي اللغة التي يتحدث بها أكبر عدد من سكان القارة الأفريقية ، كما أن أكثر اللغات الأفريقية المحلية تأثيرًا هما السواحلية Sawahili في شرق القارة ، والهوسا Housa في غربها ، وكلاهما تأثر بشدة بكل من اللغة العربية والإسلام[2].

(1) يحيى عبد المبدي: مرجع سابق ذكره ، ص٢٤.

(2) قاسم الشريف: التغلغل العربي في أفريقيا وأثره على العلاقات العربية – الأفريقية ، مجلة معلومات دولية ، سوريا، العدد ٦١، عام ١٩٩٩ ، ص٦٩.

- وحينما تدهورت أحوال العالم الإسلامي، وتدهورت أركانه، وتقوضت ركائزه اضمحلت الثقافة العربية، وواكب ذلك انتقال النهضة إلى أوروبا، وازدهار حضارتها الغربية، وبدأت تلك الحضارة «الجديدة» تعرف طريقها إلى أفريقيا ودروبها من خلال بعثاتها التبشيرية، كتمهيد «فعلي» لما تلاها من حملات استعمارية للقارة الأفريقية[١].

- ففي المجال الديني، ونتيجة لانطلاق حرية الكنائس التبشيرية اعتنق عدد غير قليل المسيحية من الأفارقة بما فيهم بعض المسلمين.. وبعد أن كانت المسيحية محصورة في الكنيسة الأثيوبية التابعة للكنيسة القبطية في «مصر» بدأت الكنائس الأوروبية تتنافس من أجل العمل، والتبشير داخل الشعوب الأفريقية؛ حتى أصبحت أفريقيا مركزًا مهمًا من مراكز الفكر الديني المسيحي[٢].

- وإذا انتقلنا من العصور القديمة إلى العصور الحديثة، نجد أن جميع المعطيات التاريخية والجغرافية -على حد قول الباحث إحسان هندي- قد خلفت صلات لم تنقطع بين الوطن العربي والشعوب الأفريقية، فمن حيث التاريخ History يمكن القول أن علاقات وشيجة قد ربطت الوطن العربي مع القسم الأكبر من أفريقيا طيلة عهود الدولة الإسلامية، وفي عهد أحدث خضع العرب والأفريقيون «معًا» للاستعمار الغربي، وخاضوا ضده نضالًا طويلًا ومريرًا[٣].

(1) يحيى عبد المبدي: العلاقات الثقافية العربية - الأفريقية - الركائز، القيود، الآفاق، مجلة معلومات دولية، سوريا، ص٢٤.

(2) يحيى عبد المبدي: مرجع سابق ذكره، ص٢٤، ٢٥.

(3) د. إحسان هندي: التعاون العربي - الأفريقي في نطاق المؤسسات الرسمية - مجلة معلومات دولية International Information - تصدر عن مركز المعلومات القومي في الجمهورية العربية السورية، السنة السابعة، العدد ٦١، ١٩٩٩، ص١٣.

- ومن الناحية الجغرافية يمكن التذكير بأن هناك عشر دولة عربية في أفريقيا: (مصر / السودان/ جيبوتي / الصومال/ جزر القمر/ ليبيا / تونس/ الجزائر / المغرب/ موريتانيا) من أصل المجموعة العربية ، وعددها اثنان وعشرون دولة ، وأن مساحة هذه الدولة العربية الأفريقية تعادل ١٠ ملايين كم[٢] أي: والي ثلاثة أرباع المساحة الكلية للعالم العربي The Arab World ، وثلثي عدد سكانه تقريبًا[(١)].

- ومن ثم .. نحن نتفق مع الباحث محمد عاشور مهدي أن هناك ثوابت في طبيعة العلاقة العربية الأفريقية بطيئة التغيير والتبديل تسم هذه العلاقة بالتداخل والتزاوج وتربطها بوشائج وعلائق يكون من الصعب تبديلها – وإن حدث ذلك – يمكن العودة إلى «الثوابت» لتصحيح المسار وتقويم معوجه ، وتتمثل هذه الثوابت في الآتي:

١ – **الروابط العرقية** : حيث يتواجد وينتشر السكان ذوو الأصول العربية في معظم دول الجوار الأفريقي ولاسيما في المناطق المجاورة للأقطار العربية ، وهو الانتشار الذي نتج عن اختلاط وتزاوج بين الشعبين العربي والأفريقي[(٢)].

٢ –**الدين الإسلامي**: وهو أمر لا يحتاج إلى بيان في ضوء حقيقة أنّ ما يقرب من ٨٠٪ من إجمالي سكان الجوار الجغرافي لاسيما في الشمال الأفريقي يعتنقون الدين الإسلامي.. وبالتالي تمثل الرابطة العقيدية/ الإيمانية أحد الثوابت

---

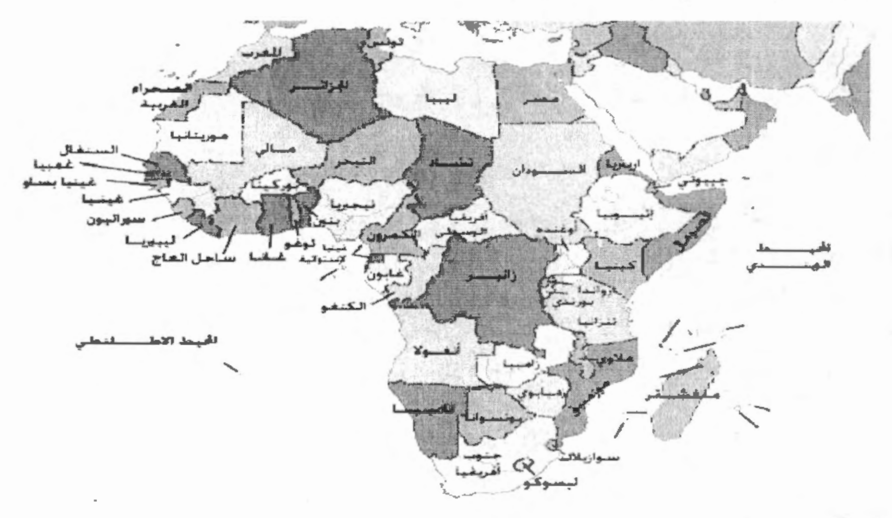
(1) د. إحسان هندي: مرجع سابق ذكره ، ص١٣.

(2) محمد عاشور مهدي: العلاقات العربية – الأفريقية من النضال المشترك إلى الجمود المؤسسي- معلومات دولية – سوريا ٦١ ، ١٩٩٩ ، ص٣٥.

الأساسية في إطار العلاقات العربيـة الأفريقيـة ، وإن تعرضـت مـن آنٍ لآخـر لمارسات تعلي من قيم أخرى ، وتتجاهل هذه الرابطة.

**٣-الروابط التاريخية والثقافيـة:** وتمثـل هـذه الـروابط هـي الأخـرى أحـد «الثوابت» الهامة في العلاقات العربية الأفريقية ، الأمر الذي يجعلها بالفعل أحد أهم المداميك المتاحة للاستخدام ، لدعم الهوية العربية الإسلامية لأقطار الجوار الأفريقي.

**٤-الموقع الجغرافي:** تؤدي الجغرافية السياسية - أيضًا - دورهـا المهـم عـلى طبيعة العلاقات العربية الأفريقية وإمكانـات ومعوقـات دعـم الهويـة العربيـة الإسلامية في بلدان الجوار الجغرافي ؛ حيث تبين تاريخًا أن الدول العربية لاسـيما في الشمال الأفريقي قد شـكلت المـدخل الرئيـسي لتـدفق المـؤثرات الحـضارية «المتباينة» إلى داخل القارة الأفريقية[١].




(1) محمّد عاشور مهدي: العلاقات العربية - الأفريقية من النضال المشترك إلى الجمود المؤسسي ، معلومات دولية ، سوريا ، العدد ٦١ ، صيف ١٩٩٩، ص٢٤ ، ٢٥.

# الفصل الثاني

## دور مصر وثورة يوليو في أفريقيا



مما لا شك فيه أنه قد تعاظم الدور المصري الإقليمي في قارة أفريقيا مع ثورة يوليو (تموز) عام ١٩٥٢م ، واتخذ هذا الدور أبعادًا جديدة متميزة وآفاقًا رحبة لم يبلغها من قبل رغم الاعتقاد السياسي والتسليم بقدوم الدور المصري في القارة «السوداء» ، والذي يترافق زمانيًا مع قدم الدولة المصرية باعتبارها أقدم دولة في التاريخ المكتوب[١].

-فقد استلمت الحكم في مصر - بعد ثورة يوليو - نخبة جديدة في ظل النظام الجمهوري تختلف بطبيعة الحال عن أسرة محمد علي وحاشيتها ، والتي



كان ينظر لها غالبًا على أنها غريبة عن مصر وأفريقيا إما لأنها ألبانية الأصل، أو لأنها ترتبط بالأتراك والشركس والإنجليز فيما بعد.. فالنخبة الحاكمة المتمثلة أساسًا في أعضاء مجلس قيادة الثورة هي

(1) د. محمود أبو العينين : الدور الإقليمي المصري في أفريقيا منذ ثورة يوليو ١٩٥٢ بين الاستمرارية والتغير- مجلة السياسة الدولية - مؤسسة الأهرام ، السنة الثامنة والثلاثون يوليو ٢٠٠٢ ، العدد ١٤٩ ، ص٣٢.

نخبة وطنية تشعر ويشعر الشعب المصري معها بالانتماء الوطني ، هذا من ناحية أولى، - كما يذكر د. محمود أبو العينين في دراسته عن الدول الإقليمي المصري في أفريقيا — ومن ناحية ثانية ، كان هناك ثمة ارتباط قوي وملحوظ بين العناصر البارزة في مجلس قيادة الثورة وبين السودان ، ومن ثمّ أفريقيا فيما بعد ، ومن هذه العناصر محمد نجيب المولود بساقية أبي معلا بالخرطوم (١٩٠٠ — ١٩٨٤م)، وجمال عبد الناصر (١٩١٨-١٩٧٠م) ، وصلاح سالم (١٩٢٠-١٩٦٢م) وأنور السادات (١٩١٨-١٩٨١م)، فعلى عكس الملك فاروق (١٩٢٠- ١٩٦٥) مثلًا الذي لم يزر السودان ، ولد محمد نجيب بالخرطوم من أم سودانية ، وكان والده ضابطًا بالجيش المصري بالسودان أيضًا، وظل لعشر سنوات سكرتيرًا للحاكم العسكري السوداني ، ومن ثم كان لمحمد نجيب (١٩٠٠- ١٩٨٤) شعبية ونفوذ لدى السودانيين على اختلاف أحزابهم، كما خدم جمال عبد الناصر (١٩١٨- ١٩٧٠م) لنحو ثلاث سنوات في السودان إثر تخرجه من الكلية الحربية ، أما صلاح سالم عضو مجلس قيادة الثورة والمسؤول عن وزارة شؤون السودان ، فقد ولد في شرق السودان عام ١٩٢٠ وكان والده موظفًا في الحكومة السودانية ، وأمضى طفولته في هذا البلد، ومن ناحية ثالثة ، كانت «النخبة الجديدة» تحمل في عروقها الدماء الأفريقية ، ولون البشرة السمراء ، والتي تعبر عن الامتداد الطبيعي والبشري بشكل واضح بين مصر وبقية أجزاء القارة الأفريقية[1].. وينضاف إلى هذه النخبة الرئيس الراحل محمد أنور

(1) د. محمود أبو العينين: الدور الإقليمي المصري في أفريقيا منذ ثورة يوليو ١٩٥٢ بين الاستمرارية والتغير ، مجلة السياسة الدولية فصلية ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ، العدد ١٤٩ يوليو ٢٠٠٢، ص٣٤.

السادات (١٩١٨ - ١٩٨١)[1].

- وقد كان اهتمام مصر بأفريقيا قد انحصر منذ الدولة الحديثة أو عهد محمد علي باشا (حكم من ١٨٠٥ حتى ١٨٤٨) في سياق الفتح والتوسع في القرن التاسع عشر الميلادي، التي اتسمت بها السياسات الدولية أو الإقليمية عمومًا، واكتسبت الفتوحات المصرية في هذه المناطق، والتي تركزت على السودان وحوض النيل وسواحل البحر الأحمر.. فقد اكتسبت (هذه المناطق) أهمية خاصة في ضوء المشروعية، التي اكتسبتها هذه الفتوحات في تلك المناطق خلافًا للمناطق العربية أو الشرق أوسطية عمومًا.

- فلم تكن مصر - قبل اندلاع ثورة يوليو ١٩٥٢ - تمتلك أي منظور شامل للقارة الأفريقية كقارة متكاملة على الرغم من وجود بعض الإشارات وبعض الأفكار لدى بعض المفكرين المثقفين في أفريقيا باعتبارها وحدة جغرافية.. لقد انحصرت صورة أفريقيا في المنظور المصري على وحدة وادي النيل، وعلى الأكثر بعض من أجزاء حوض النيل والقرن الأفريقي (مصر السودان وأوغندا وأثيوبيا وأريتريا والصومال) بحكم الاهتمام التاريخي بهذه المناطق، ولكونها في

(1) يذكر محمد حسنين هيكل في كتابه "خريف الغضب"، قصة بداية ونهاية عصر أنور السادات ((الصادر من مركز الأهرام للترجمة والنشر عام ١٩٨٨ عن أصول السادات بقوله في الصفحة ٣٥ قائلاً: (( كانت العروس التي اختارتها ((جدة السادات)) هذه المرة فتاة تدعى : ((ست البرين))، كانت ابنة رجل اسمه : ((خير الله))، وكان لسوء حظه من الذين وقعوا في أسر العبودية، وساقه أحد تجار العبيد من قرب أوسط أفريقيا إلى حيث باعه في أحد أسواق العبيد في ذلك الوقت بدلتا النيل .. وعندما ألغى نظام العبودية في مصر بعد اشتداد الحملة في العالم كله على هذه الظاهرة اللاإنسانية فإن سادة ((خير الله)) أعتقوه من أسر العبودية. كانت ابنته ((ست البرين)) مثله تمامًا، ورثت عنه كل تقاطيعه الزنجية، ومن سوء الحظ أيضًا، وذلك من التعقيدات الدفينة في أعماق وجدان ((أنور السادات)) أنه ورث عن أمه كل تقاطيعها، وورث مع هذه التقاطيع مشاعر غاصت في أعماقه من بعيد.. ولزيادة التفاصيل انظر المرجع السابق، ص٣٥ وما بعدها.

حوض النيل أو البحر الأحمر[١].

ومن ثمّ .. يتضح أن بعد الثورة Revolution وفي الفترة الناصرية اختلف الخطاب الناصري عما قبله، فيقول الباحث حلمي شعراوي في كتابه «أفريقيا من قرن إلى قرن» مؤكدًا ذلك: «وفي المرحلة الناصرية عاد خطاب التوحد والآفاق الخارجية مع النهضة والتحديث يصنع أفكار الدوائر الثلاث (فلسفة الثورة) والأربع (ميثاق العمل الوطني)، وتضمن ذلك خطابات عربية وأفريقية وعالمية، وقد تبنت مصر نتيجة لذلك أيديولوجية التحرر الوطني والوحدة العربية والثورة الأفريقية، وفي إطارها عقدت المؤتمرات الشعبية الجامعة، وقامت تكتلات جنوب بلغة عدم الانحياز عناصر الخطاب هنا إذن تعبئة الداخل وتنمية من ناحية وتكتيل الخارج بالقدر المتاح من ناحية أخرى[٢].

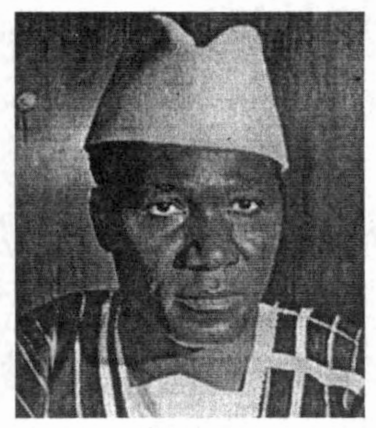
-ومع بداية تزايد الدور المصري - بعد قيام ثورة يوليو - على الجانبين العربي والأفريقي لاح قدر ظاهري من التعارض والتباين بين الإنتمائين ،كما بدا ذلك بداية الوحدة المصرية السورية، وتأسيس الجمهورية العربية المتحدة في فبراير (شباط) عام ١٩٥٨م، والتي جاءت في إطار رفض مصر أن تكون جزءًا من الشرق الأوسط The Middle East وأحلافه المرتبطة بالإستراتيجية الغربية، فقد أخذ الأفارقة ينظرون لمصر وكأنها بلد عربي لا تنتمي لأفريقيا إلا موقعًا، وعلى سبيل المثال، حينما سافر وفد الجمهورية العربية المتحدة إلى أكرا (عاصمة غانا) عام ١٩٥٨م لحضور مؤتمر الدول الأفريقية المستقلة، قال

---

(1) د. محمود أبو العينين : مرجع سابق ذكره ، ص٣٤.

(2) حلمي شعراوي : أفريقيا من قرن إلى قرن ، مكتبة جزيرة الورد ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٠، ص٨٦.

كوامي نكروما (ت ١٩٧٢) لوزير الخارجية المصري – وقتئذ الدكتور محمود فوزي (١٩٠٠ – ١٩٨١م) : «أبلغ الرئيس عبد الناصر أن اسم مصر عزيز على الأفارقة ، وأنه يرجو ألا يختفي هذا الاسم بعد أن اسم الجمهورية ... وأنه لا يتصور أفريقيا بدون مصر» ، ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل حاولت بعض الوفود الأفريقية في مؤتمر أديس أبابا ١٩٦٣ (نيجيريا وأثيوبيا) أن تعترض على إدخال اللغة العربية ضمن لغات العمل الرسمية في منظمة الوحدة الأفريقية OAU ، وتصدى



رئيس غينيا "أحمد سيكوتوري"

لهم الرئيس الغيني الراحل سيكوتوري (١٩٢٢ – ١٩٨٤) ، كما أثيرت هذه القضية مرة أخرى في أحد الاجتماعات من قبل وفد السنغال Senegal ؛ حيث وجه حديثه للوفد المصري متسائلًا ومستنكرًا عما إذا كانت مصر تنتمي حقيقة إلى أفريقيا ، أم انتماؤها هو انتماء عربي[١] .

– لقد كانت هذه النقطة أحد النقاط الحساسة التي تمثل معضلة متأزمة أمام السياسة المصرية، وكان من الصعب تخطيها خاصة أن الاستعمار Colonialism كان يروج في ذلك الوقت للفصل بين الشمال العربي وأفريقيا جنوب الصحراء، كما كان يسعى بكل جهده للحيلولة دون دور مصر مؤثر في أفريقيا[٢] .

---

(1) د. محمود أبو العينين: الدور الإقليمي المصري في أفريقيا منذ ثورة يوليو ١٩٥٢ بين الاستمرارية والتغير، السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ، العدد ١٤٩ يوليو ،٢٠٠٢ ، ص٣٧.

(2) د. محمود أبو العينين : مرجع سابق ذكره ، ص٣٧.

- وعلى العموم - وكما يذكر أبو العينين - فقد عولجت هذه القضية (الشائكة) عبر عدة طرق منها : حرص القيادة المصرية (عبد لناصر) والنخب المثقفة في هذا الوقت على تأكيد أن الانتماء الأفريقي لمصر هو انتماء واقعي ، تحكمه عوامل الجغرافيا والبشر، كما تحكمه العوامل الثقافية والدينية ، فضلًا عن العوامل السياسية ، كما قدم المصريون والحضارة الفرعونية (القديمة) باعتبارها حضارة أفريقية ، وأكدوا على أن سكان مصر ، وخاصة في الجنوب ، تجري فيهم الدماء الأفريقية ، وأكدت وثائق الثورة المختلفة سواء فلسفة الثورة أو الميثاق الوطني ، أو خطب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر (١٩١٨- ١٩٧٠) ، وبيانات القيادات السياسية المختلفة أكدت بصفة مستمرة على أن الدائرة الأفريقية هي دائرة متميزة في سياسة مصر الخارجية ، وأنها تأتي بعد الدائرة العربية مباشرة ، تليها الدائرة الإسلامية ، ثم عدم الانحياز ، ثم الدائرة العالمية والأمم المتحدة UN ، كما أكدت مصر على لسان أكثر من متحدث رسمي عنها المؤتمرات الأفريقية ( محمد فايق، مراد غالب وغيرهما ) أكدت على أنه لا تناقض بين العروبة والأفريقية في الانتماء المصري ، وأن القومية العربية سواء كمشاعر أو كنظام مؤسسي مثل جامعة الدول العربية في مظهر أو جانب من جوانب القومية الأفريقية ، وأن العرب يمثلون قوة لأفريقيا ، وأن الأفريقيين هم قوة للعرب ، وأن التمييز أو الفصل بينهم بمثابة عمل استعماري بغيض[١].

- فقد كان التزام مصر بحق الشعوب الأفريقية في تقرير مصيرها ، والذي ظهر جليًا لا لبس فيه في قضية استقلال السودان بادرة طيبة ومتميزة في مجالات العلاقات الدولية، فقد عالجت مصر (الثورة) هذا الموضوع علاجًا

---

(1) د. محمود أبو العينين: مرجع سابق ذكره ، ص٣٧.

جذريًا فاصلة هذا الموضوع عن مسألة الجلاء البريطاني عن مصر، ونجحت (مصر) في هذا إبان مفاوضاتها الشاقة مع الإنجليز، ووصلت معهم إلى الحكم الذاتي Autonomy، وتقرير مصير السودانيين في ١٢ فبراير (شباط) ١٩٥٣م، وبهذا المفهوم بدأت مصر (الثورة) تهم في الدعوة إلى تقرير حق تقرير المصير للشعوب الأفريقية الأخرى، وظل هذا المبدأ بارزًا في مواقف مصر في اجتماعات الأمم المتحدة UN والمؤتمرات الأفريقية[١].

- ويقول يواقيم رزق مرقص في دراسته عن «التوجه نحو أفريقيا» في هذا الصدد: «والغريب أن التحرك المصري الإيجابي، الذي بدأ هكذا نحو أفريقيا، ظهر في وقت لم تكن هناك في القاهرة كلها دولة واحدة تستطيع أن تسمي نفسها مستقلة بالفعل حتى مصر كانت مستقلة اسميًا؛ حيث ما تزال القوات البريطانية تحتل أجزاء من أراضيها، وكانت السيطرة الاستعمارية تشدد قبضتها على القارة الأفريقية[٢].

- فقد كانت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م نقطة تحول مصر بدول العالم ولحظة فارقة في تاريخ العلاقات الدولية مع مصر لاسيما بعد أن أعلنت معالم سياستها الخارجية المنفتحة على الشؤون الدولية، فكانت قيادتها أكثر وعيًا واستيعابًا لخبرات الكفاح الوطني من التيارات الوطنية -على حد قول يواقيم مرقص- للثورتين اللتين سبقتاها في ١٨٨٢ -بزعامة أحمد عرابي (١٨٤١ - ١٩١١م)

(1) د. يواقيم رزق مرقص: التوجه نحو أفريقيا، في كتاب «أربعون عامًا على ثورة يوليو، دراسة تاريخية»، تحرير: رءوف عباس حامد، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، الأهرام، يوليو ١٩٩٢، ص٢٥٤.

(2) د. يواقيم رزق مرقص: مرجع سابق ذكره، ص٢٥٥.

وثورة ١٩١٩ بزعامة سعد زغلول (١٨٥٩ - ١٩٢٧م)، فالتخطيط الثوري في كتاب فلسفة الثورة الذي كتبه جمال عبد الناصر (١٩١٨ - ١٩٧٠) في الشهور الأولى عام ١٩٥٣م يظهر منه أنها ليست ثورة انعزالية سلبية، وليس في نية قيادتها أن تحصر مصر داخل إطار المعاملة مع الدول الغربية وفق المنهج التقليدي الذي شارت عليه قيادات وطنية سابقة[1].

- ويظهر من استقراء التاريخ ومتابعة الأحداث خلال سنوات الخمسينيات من القرن الماضي أن مصر قد شهدت - بالفعل - وبعد قيام الثورة Revolution تحولًا رئيسيًا في علاقات مصر الشاملة بأفريقيا.

- فالجدير بالبيان في هذا الصدد أن هذه المرحلة (١٩٥٢ - ١٩٥٩م) قد شهدت بداية إنشاء عدد من الأجهزة المصرية المعنية بالشؤون الأفريقية من:

- البرامج الموجهة إلى أفريقيا في الإذاعة.
- إدارة الشؤون الأفريقية في مصلحة الاستعلامات.
- مكتب رئيس الجمهورية للشؤون الأفريقية.
- بالإضافة إلى أنه قامت في مصر أجهزة أخرى معنية بالشؤون الأفريقية اتخذت القاهرة مقرًا لها مثل: «السكرتارية الدائمة لمنظمة تضامن الشعوب الأفريقية والآسيوية»[2].

---

(1) د. يواقيم رزق مرقص: التوجه نحو أفريقيا، في كتاب «أربعون عامًا على ثورة يوليو، دراسة تاريخية»، تحرير: رءوف عباس حامد، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، الأهرام، يوليو ١٩٩٢، ص٢٥٢.

(2) د. يواقيم رزق مرقص: مرجع سابق ذكره، ص٢٥٥.

# الفصل الثالث

## الدور المتفرد لعبد الناصر في مساندة حركات التحرر الأفريقي ، وإشعال ثوراتها

ويظهر توجه الثورة المصرية نحو أفريقيا في فكر جمال عبد الناصر نفسه في هذا المنحى في كتابه «فلسفة الثورة» ؛ حيث أشار إلى دوائر ثلاث:-

**الأولى: الدائرة العربية** التي قال عنها : «نحن منها وهي منا» ، وهي إشارة مبكرة كما يذكر – مرقص– لفكرة الوحدة العربية والقومية العربية.

**الثانية: الدائرة الأفريقية** ، حيثما قال عنها : «هي قارة شاء لنا القدرة أنّ نكون منها، وشاء القدر أيضًا أن يكون فيها اليوم صراع مروع حول مستقبلها ، وهو صراع سوف تكون آثاره لنا وعلينا، سواء أردنا أو لم نرد»[1].

**الدائرة الثالثة : الدائرة الآسيوية الأفريقية:**

–وبخصوص الدائرة الأفريقية ، والتي نحن بصددها ومجال الطرح.. فقد خصها جمال عبد النّاصر (١٩١٨ – ١٩٧٠) في فلسفة الثورة بالآتي:-

«فإذا اتجهنا بعد ذلك إلى الدائرة الثانية ، وهي دائرة القارة الأفريقية قلت دون استفاضة ودون إسهاب : أننا لن نستطيع بحال من الأحوال حتى لو أردنا

(1) د. يواقيم رزق مرقص: التوجه نحو أفريقيا ، في كتاب «أربعون عامًا على ثورة يوليو ، دراسة تاريخية» ، مؤسسة ، الأهرام ، عام ١٩٩٢، ص٢٥٤.

أن نقف بمعزل عن الصراع الدامي المخيف الذي يدور اليوم في أعماق أفريقيا بين خمسة ملايين من البيض ومائتي مليون من الأفريقيين لن نستطيع لسبب هام، وبديهي هو أننا في أفريقيا، ولسوف تظل شعوب القارة تتطلع إلينا نحن الذين نحرس الباب الشمالي للقارة، والذين نعتبر صلتها بالعالم الخارجي كله..»[1].

- ويرى يواقيم مرقص أن جمال عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠م) قد وقف مع كل الدول التي كانت تناضل من أجل التحرر، والخروج من ربقة الاستعمار Colonialism، وكان ذلك إيمانًا منه بوحدة النضال في مواجهة الاستعمار الجديد، الذي كان يريد الانتقاص من استقلال الدول الجديدة.. فقد كان عبد الناصر (١٣٣٦- ١٣٩٠هـ-١٩١٨-١٩٧٠م) يشعر بمسؤوليته الخاصة والجادة حيال الدول الأفريقية حديثة الاستقلال، فضلًا عن التزامه بالتحرك في حدود سياسة عدم الانحياز من أفريقيا باعتباره كان أحد أقطابها، الأمر الذي كان يفرض عليه مساعدة الدول الأفريقية في معاركها للتحرر من السيطرة الأجنبية ومعاونتها بعد الاستقلال Autonomy حتى تكون قادرة على الوقوف في صف الدول غير المنحازة[2].

ونحن نتفق مع مرقص في أن موقف جمال عبد الناصر في مساندة أفريقيا له دوافعه القومية المرتبطة بأهداف وإستراتيجيات السياسة المصرية وهي:

(1) د. يواقيم رزق مرقص: مرجع سابق ذكره، ص٢٥٤.

(2) د. يواقيم رزق مرقص: التوجه نحو أفريقيا، في كتاب «أربعون عامًا على ثورة يوليو، دراسة تاريخية»، الدراسات السياسية والإستراتيجية، الأهرام، يوليو ١٩٩٢، ص٢٩٣.

١-مقاومة النشاط الاقتصادي الإسرائيلي (الصهيوني) في قارة أفريقيا.

٢-فتح مجال التعاون الاقتصادي مع دول أفريقيا[١].

-فقد كانت السمة المميزة لفترة عبد الناصر -بعد قيام ثورة يوليو- هي مساندة حركات التحرر الأفريقي، وإشعال فتيل ثوراتها ومناهضة الاستعمار الغربيّ ومحاصرته، وتفجير روح الاستقلال وحق تقرير المصير في القارة الأفريقية .. وقد تنوعت هذه المساعدات على عدة محاور منها المحور الإعلامي والدعائي ومحور عسكري وتدريبي ومحور سياسي ويقوم على إعلان حقوق الشعوب في المحافل الدولية، وسوف نوضح هذه المحاور بشكل من التفصيل والشرح على هذا النحو:-

(١) د. يواقيم رزق مرقص: مرجع سابق ذكره، ص٢٩٣.

# أ
# المحور الإعلامي والدعائي في عهد عبد الناصر لمناصرة الشعوب الأفريقية

ويقوم هذا المحور الهام على دعامتين هامتين:-

**الأولى**: إنشاء وبث الإذاعات الموجهة للشعوب الأفريقية.

**الثانية**: إنشاء اللجنة العربية للتضامن الأفريقي الأسيوي .

**الأولى : إنشاء وبث الإذاعات الموجهة للشعوب الأفريقية :**

-كان دور الإذاعات الموجهة ، والتي وجهتها «القاهرة» إلى الشعوب الثائرة من أجل الاستقلال ولشد أزرها ، وإمدادها بالبيانات ، وما يلزم من إذكاء واستمرار حتى النصر ، وكانت هذه الإذاعات تقوم بدورها كالتالي:-

**أ- شرق أفريقيا وجنوبها :**

١-الإذاعة الموجهة بلغة السواحيلي Sawahili ، وقد بدأت إرسالها في يوليو عام ١٩٥٤م لمساندة نضال شعب كينيًا Kenya وغيره من شعوب شرق أفريقيا بالذات ضد الاستعمار Colonialism.

٢-الإذاعة الموجهة باللغة الأمهرية ، وبدأت إرسالها في ديسمبر ١٩٥٥م.

٣- الإذاعة الموجهة باللغة الصومالية Somalia الذي يكافح في ذلك الوقت في سبيل الاستقلال Autonomy والوحدة.

٤-الإذاعة الموجهة باللغة الإنجليزية ، وبدأت إرسالها في عام ١٩٦١م ، بهدف مساندة الشعوب الناطقة بالإنجليزية في شرق ووسط أفريقيا في نضالها في سبيل الاستقلال.

٥-الإذاعة الموجهة بلغة اللينجالا ، وبدأت إرسالها في يونيو ١٩٦١ ، وبثت برامجها للمتحدثين بهذه اللغة في زائير Zaire والكونغو برازفيل .

٦-الإذاعة الموجهة بلغة النيانجا ، وبدأ إرسالها في يوليو ١٩٦١م.، وبثت برامجها للمتحدثين بهذه اللغة في زامبيا Zambia ومالاوي.

٧-الإذاعة الموجهة بلغة السوتو، وبدأت إرسالها في عام ١٩٦٢ للمتحدثين بهذه اللغة في سوانا وسوازيلاند .

٨- الإذاعة الموجهة بلغة السنديبيلي ، وبدأت إرسالها في ١٩٦٢ لشعب روديسيا (زيمبابوي).

٩- الإذاعة الموجهة بلغة الزولو وبدأ إرسالها في عام ١٩٦٥ لشعب جنوب أفريقيا South Africa .

١٠-الإذاعة الموجهة باللغة الجفرية ، وبدأ إرسالها عام ١٩٦٧م للمتحدثين بها في جيبوتي والمناطق المحيطة بها[١].

---

(1) د. يواقيم رزق مرقص: التوجه نحو أفريقيا ، في كتاب «أربعون عامًا على ثورة يوليو ، دراسة تاريخية» ، ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية ، الأهرام ، يوليو ١٩٩٢، ص ٢٨٣، د. شوقي الجمل: الدور الأفريقي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، طبعة عام ١٩٩٤، ص٥٥.

**ب) غرب أفريقيا :**

١ - الإذاعة الموجهة بلغة الهوسا Housa ، وبدأت إرسالها في ديسمبر عام ١٩٥٩ لخدمة المتحدثين بهذه اللغة ، وهي أكثر اللغات انتشارًا في غرب قارة أفريقيا.

٢-الإذاعة الموجهة باللغة الفرنسية ، وبدأت إرسالها في عام ١٩٥٩ لشعوب شمال وغرب أفريقيا، والتي تتحدث بالفرنسية.

٣- الإذاعة الموجهة باللغة الإنجليزية لغرب أفريقيا للشعوب الناطقة باللغة الإنجليزية في نيجيريا Nigeria وسيراليون Sierraleone وجامبيا وليبريا Liberia.

٤-الإذاعة الموجهة باللغة النولانية ، وبدأت إرسالها عام ١٩٦١م لخدمة المتحدثين باللغة النولانية، في موريتانيا Mauritania ومالي Malia والسنغال Senegal ونيجيريا Nigeria والكاميرون والنيجر Niger وفولتا العليا وداهومي وسيراليون Sierraleone وساحل العاج وأفريقيا الوسطى.

٥-الإذاعة الموجهة باللغة البرتغالية للمتحدثين بها في أنجولا Angola وموزمبيق Mozambique ، وكان الهدف منها تأييد كفاح الوطنيين هناك ضد الاستعمار البرتغالي.

٦-الإذاعة الموجهة بلغة اليوربا Yoruba ، وتوجيه إذاعتها لشعب اليوربا الساكن غرب مصب نهر النيجر.

٧-الإذاعة الموجهة بلغة البمبارة Bambara ، حيث بدأت إرسالها في فبراير ١٩٦٨ لخدمة البلاد التي تنتشر فيها لغة البمبارة Bambara وهي مالي Mali

وساحل العاج وبعض البلاد الأخرى المجاورة[1].

**الثانية : اللجنة العربية للتضامن الأفريقي الآسيوي**

شكلت في شهر أكتوبر عام ١٩٥٧م اللجنة العربية من عدد من رجال السياسة والصحافة والثقافة ، وتولت الإعداد لمؤتمر الشعوب الأفريقية والآسيوية ، الذي عقد في القاهرة في ٢٦ ديسمبر عام ١٩٥٧ ، ومن أهم أغراضه : تقوية التضامن بين شعوب آسيا وأفريقيا عن طريق تعبئة وحشد القوى الشعبية في هذه الدول ؛ بهدف محاربة الاستعمار Colonialism بكافة صوره وأشكاله في العالم ، وتحرير الشعب من ربقته.. وقد اختيرت القاهرة مقرًا لسكرتاريته ، التي تعد هيئة دولية تقوم بتنفيذ أهداف المنظمة، والتي تحددت في:-

١-توحيد وتنسيق نضال الشعوب الأفريقية الآسيوية ضد الإمبريالية Imperialism ، والاستعمار Colonialism ، والتعجيل بتحرير الشعوب ، وضمان تقدمها الثقافي والاجتماعي والاقتصادي.

٢-الإشراف على تنفيذ وتطيق القرارات والتوصيات التي يتخذها مؤتمر تضامن الشعوب الأفريقية والآسيوية.

٣-تقوية وتنمية حركة التضامن الأفريقي الآسيوي.. [2]

ويرى يواقيم مرقص بأنه وبحكم تمثيل المنظمة للمنظمات الشعبية وللأحزاب والحركات التحريرية في دول أفريقيا وآسيا ، فقد كانت المنظمة منذ

(1) د. يواقيم رزق مرقص: التوجه نحو أفريقيا ، ص٢٨٤ ، د. شوقي الجمل: الدور الأفريقي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ص٥٧.

(2) د. يواقيم رزق مرقص: مرجع سابق ذكره ، ص٢٨٤.

مؤتمرها الأول بالقاهرة (ديسمبر ١٩٥٧ - يناير ١٩٥٨) فرصة (سانحة) للدبلوماسية المصرية للاتصال وتوثيق العلاقات مع حركات التحرير الأفريقية فضلا عن أن وجودها في القاهرة وتولي مصري رئاسة سكرتاريتها الدائمة يوسف السباعي (١٩١٧ -١٩٧٨) قد زاد من أهمية مصر في مضمار الكفاح الأفريقي ضد الاستعمار Colonialism[١].

-ويؤكد محمد فايق في كتابه «عبد الناصر والثورة الأفريقية» على أهمية إنشاء الإذاعات المصرية، ودورها الإعلامي في تفعيل ثورات إفريقيا، فيقول: «وكان وراء إنشاء كل إذاعة من هذه الإذاعات قصة ترتبط بتأييد حركة جديدة أو ثورة جديدة ومساعدات مصرية تمتد إلى المجالات الأخرى خلاف هذا المجال الإعلامي، وفي حالات معينة كانت تختص الإذاعة الموجهة أو جزء منها لتذيع باسم حركة أو تنظيم.. حدث ذلك أثناء ثورة الكونغو، كما حدث بالنسبة لروديسيا الجنوبية بعد إعلان الاستقلال من جانب النظام العنصري هناك، وكذلك بالنسبة لموزمبيق، فقد أعطيت إذاعة لحزب فريليمو (الحزب الحاكم حاليًا)، وذلك بعد أن وصلت الثورة هناك إلى مرحلة متقدمة بقيادة هذا التنظيم.. وكانت هذه الإذاعات بالإضافة إلى معالجتها للموضوعات التي تخص كل إقليم تنقل إلى شعوب أفريقيا أخبار الثورات والحركات الوطنية المختلفة في جميع أنحاء القارة من الجزائر إلى كينيا إلى روديسيا وأنجولا وجنوب أفريقيا باعتبار أن ذلك يدخل كله في نطاق الثورة الأفريقية الشاملة ضد الاستعمار والتبعية، كما كانت تنقل بطبيعة الحال صورة لما يدور على أرض مصر وأخبارها وسياستها..»[٢].

---

(1) د. يواقيم رزق مرقص: مرجع سابق ذكره، ص٢٨٤.

(2) محمد فايق: عبد الناصر والثورة الأفريقية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مطبوعات ثورة يوليو (٥)، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٢، ص٤٠، ٤١.



# عبد الناصر وتدعيم حركات التحرر الأفريقية

**«إنشاء المكاتب السياسيّة»**

-حينما نجحت مصر في عهد عبد الناصر في توسيع دائرة الاتصال بحركات التحرير والحركات الوطنية الأفريقية، وحضرت الوفود الكثيرة إلى «القاهرة» والتي امتلأت بزوارها من ممثلي الحركات، حيث شجعتهم القاهرة على فتح مكاتب سياسيّة دائمة على غرار المكاتب التي منحتها جبهة التحرر الجزائرية أثناء الثورة Revolution في القاهرة، وفي أماكن أخرى بعد ذلك.

-فقد كان المستهدف – إذن – من فتح هذه المكاتب هو جعلها حلقة اتصال دائمة وسريعة بين مصر وبين حركات التحرير، كما تتلقى المساعدات المصرية في مختلف الميادين بما فيها المنح الدراسية واستجلاب الطلاب المؤهلين لها.. فقد كانت «القاهرة» في فترة عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠) هي أول عاصمة في العالم يتجمع بها مثل هذا العدد من ممثلي حركات التحرير في أفريقيا حتى صارت القاهرة – بالفعل – أكبر عاصمة تستضيف هذه الأعداد الكبيرة من حركات التحرير الأفريقية .. فقد أخذت مصر على عاتقها العمل على تبني القضايا الأفريقية في تصفية الاستعمار Colonialism، والنظم العنصرية في الأمم المتحدة[١].

(١) محمد فايق: عبد الناصر والثورة الأفريقية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مطبوعات ثورة يوليو (٥)، الطبعة الخامسة عام ٢٠٠٢، ص٤٧.

- وكان بعض هذه المكاتب يمثل تنظيمات سياسية معترفًا بها في بلاده - كما يذكر محمد فايق - وتمارس نشاطها هناك كالأحزاب السياسية Political Parties ، التي كانت موجودة في كثير من المستعمرات الإنجليزية مثل كينيا Kenya وزنزبار ، التي كانت أول مكاتب تفتح في القاهرة ، وكان البعض الآخر يمثل تنظيمات لا تعترف بها السلطة الاستعمارية «المحتلة» ، ولكنها تمارس نشاطها في الداخل بشكل غير شرعي ، ويعيش زعمائها كلاجئين سياسيين في الخارج مثل اتحاد الكاميرون (U.P.C) قبل استقلال الكاميرون ، وحزب المؤتمر الوطني الأفريقي (A.N.C) وحزب مؤتمر البان أفريكان (P.A.C) من جنوب أفريقيا South Africa [1].

- كما كانت بعض هذه المكاتب تمثل ثورة مسلحة ضد الاستعمار مثل: الحركة الشعبية لتحرير أنجولا M.P.L.A ، وجبهة تحرير موزمبيق F.R.E.L.I.M.O .. وكانت هذه المكاتب تمثل أيضًا اتجاهات سياسية وعقائدية مختلفة بعضها يعتنق الماركسية Marxism مثل اتحاد شعب الكاميرون، والحركة الشعبية لتحرير أنجولا ، وبعضها يؤمن بالليبرالية Liberalism، ونظمها في الحكم مثل الأحزاب التي كانت في أوغندا Uganda وزنزبار قبل الاستقلال[2].

- وكان كثيرا ما يتواجد في القاهرة مكاتب سياسية متعددة من الإقليم الواحد - كما يذكر محمد فايق - في كتابه «عبد الناصر والثورة الأفريقية - فكان

---

(1) محمد فايق: عبد الناصر والثورة الأفريقية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، مطبوعات ثورة يوليو (٥) ، الطبعة الخامسة عام ٢٠٠٢، ص٤٧.

(2) محمد فايق: مرجع سابق ذكره ، ص٤٧.

يوجد على سبيل المثال مكتب لحزب «اتحاد شعب أفريقيا لزيمبابوي Z.A.P.U والاتحاد الوطني الأفريقي لزيمبابوي Z.A.N.U، وكلاهما من روديسيا «زيمبابوي Zimbabwe's»[١].

– ويقول يواقيم مرقص تدعيمًا لما أثاره فايق وأكده، أنه: «ولاشك أن مصر في عهد الثورة استطاعت أن تلعب ذلك الدور وتصبح محورًا للأحداث في القارة ومحركًا لها، فقد وقف جمال عبد الناصر دائمًا إلى جانب قضايا الشعوب الأفريقية ضد السيطرة الأجنبية، وتمسك بقضايا التقدم ضد التخلف وقضايا التحرير ضد الاستعمار، فكم التقت الحركات الوطنية في العالم العربي مع الثورة المصرية وتجاوبت مع فكرها وحركتها، الأمر الذي دعم موقف مصر الثورة في مواجهة تحديات الاستعمار، ولا شك أن ذلك كان من الأمور التي شجعت جمال عبد الناصر على مد نشاطه إلى أفريقيا، والاتصال بحركات التحرير فيها، حتى أصبح المحرك الأكبر لها..»[٢].

–فقد آلت على نفسها «القاهرة» في عهد عبد الناصر على أن تفتح أبوابها على مصاريعها لكل هذه المكاتب، والتي تناهض الاستعمار Colonialism، وتعمل من أجل الاستقلال الوطني، ولم يكن هناك أية نوع من أنواع التدخل في شأن هذه المكاتب، وما تمثله من حركات للتحرير الوطني أو محاولة فرض أسماء بعينها أو إبعاد آخرين أو خلق صراع بين المكاتب السياسية؛ لأن هدف

(1) محمد فايق: مرجع سابق ذكره، ص٤٨.

(2) د. يواقيم رزق مرقص: التوجه نحو أفريقيا، في كتاب «أربعون عامًا على ثورة يوليو، دراسة تاريخية»، تحرير: رءوف عباس حامد، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، الأهرام، يوليو ١٩٩٢، ص٢٧٦، وما بعدها.

مصر المساعدة الحقة في التحرير، وليس لتمزيق أو لتفريق وحدة حركات التحرير.

- ويقول فايق في هذا الصدد: «فقد كان الهدف الأساسي في هذه المرحلة هو مقاومة الاستعمار التقليدي وتصفيته، وكان المتبع هو وقف نشاط هذه المكاتب بمجرد حصول الدولة على استقلالها، فإذا كان النظام الحاكم هو صاحب التمثيل في المكتب السياسي الموجود من قبل القاهرة، كان يستبدل هذا التمثيل بسفارة الدولة الجديدة، كما حدث في كثير من الحالات مثل زامبيا وزنزبار، أما إذا كان المكتب الموجود في القاهرة يمثل تنظيمًا آخر فيوقف نشاطه فورًا مع الاحتفاظ بحق أعضائه في البقاء في القاهرة كلاجئين سياسيين إذا كانت عودتهم تشكل خطورة على حياتهم، ولكن بشرط وقف نشاطهم السياسي تمامًا.. وفتحت القاهرة أبوابها للاجئين من الزعماء السياسيين الأفريقيين من المناطق المستعمرة، ووفرت لهم وسائل العمل ضد الاستعمار.. وهكذا تجمعت خيوط الثورة الأفريقية في القاهرة التي أصبحت السند الأول والقاعدة الأساسية لهذه الثورة..»[1].

(1) محمد فايق: عبد الناصر والثورة الأفريقية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مطبوعات ثورة يوليو (٥)، الطبعة الخامسة عام ٢٠٠٢، ص٤٨.



# عبد الناصر والمساعدات العسكريّة لحركات التحرر الأفريقي

كانت مصر في عهد عبد الناصر أول دولة في العالم بأسره تفتح أبوابها كاملة لتدريب وعسكرة حركات التحرير الأفريقية.. فقد حدث ذلك بالفعل لحركات التحرير روديسيا (زيمبابوي Zimbabwe) وأنجولا Angola وموزمبيق Mozambique وجنوب أفريقيا South Africa وهي مناطق كان يرفض الاستعمار أي تطور دستوري لها!! وكان هذا التدريب والإعداد العسكري والبدني يتم في مدرسة الصاعقة التابعة للقوات المسلحة المصرية.. وقد فتحت الكلية الحربية المصرية أبوابها مشرعة لاستيعاب أعداد من الأفريقيين المؤهلين سنويًا. . وكان يتم اختيارهم بمعرفة الحركات الأفريقية ليكونوا نواة الجيوش الوطنية بعد الاستقلال ؛ حيث كانت الدول الاستعمارية في معظم مستعمراتها تقصر وجود الوطنيين في الجيش على رتب الصف والعساكر «فقط» ، أما الضباط فكانوا دائمًا من الأوربيين..!![1].

- ولم تقتصر المساعدات المصريّة على الجانب العسكري واللوجيستي ، والتي سوف نوضحه بالتفصيل - بعد ذلك - ولكن كانت لمصر مواقف سياسيّة لمناصرة أفريقيا ومقاومة الاستعمار ومناهضة الإمبريالية ؛ حيث أن هذا الأمر يمثل والمتعلق بمقاومة الاستيعاب والإمبريالية كطريق واضح لتحرير

(١) محمد فايق: مرجع سابق ذكره ، ص٥٠.

أفريقيا يمثل مبدأ ثابت بامتياز في السياسة المصريّة في عهد عبد الناصر، فضلًا على أنه يمثل المفهوم الرئيسي لفلسفة الثورة.. فقد اعتبر جمال عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠) أن الاستعمار Colonialism هو السبب في كل المصاعب والمشكلات التي واجهت مصر في الداخل والخارج وأنه عقبة في طريق مستقبلها، واعتبر أن تصفية هذا الاستعمار – كما يقول د. محمود أبو العينين – هو بمثابة رسالة تحملها مصر في البداية أعلنت مصر أنها تشارك أساسًا في حركة مناهضة الاستعمار في أفريقيا .. وبعد تطور الاهتمام المصري بالقارة أعلن عبد الناصر أن مصر تعمل من أجل تحرير القارة من الاستعمار Colonialism وتأمينها من السيطرة الإمبريالية.. [1].

– فقد أحسن عبد النّاصر (١٩١٨-١٩٧٠م) استغلال فرصة مؤتمر «باندونج»، والذي جاء متزامنًا مع الجدل الدائر حول إنشاء حلف بغداد، كما واكب – أيضًا – فترة تحرير بلاد شمال أفريقيا العربية، وقدم المؤتمر فرصة «مواتية» لتحدي القيادات العربية التقليدية الموالية للغرب والمؤيدة – بشكل كبير – لمجمل سياساته .. وقد نجح عبد الناصر – بالفعل – في إدراج مسألة فلسطين في جدول أعمال المؤتمر – كما أشرنا من قبل – مناديًا بتطبيق قرارات الأمم المتحدة UN ،

(1) د. محمود أبو العينين : الدور الإقليمي المصري في أفريقيا منذ ثورة يوليو ١٩٥٢ بين الاستمرارية والتغير، السياسة الدولية العدد ١٤٩ يوليو ٢٠٠٢ ، ص٣٧.

كما استصدر قرارًا يندد بسياسة الإمبريالية الفرنسية –آنذاك– في شمال أفريقيا.. لقد كان مؤتمر «باندونج» ، ولا شك بداية عصر أفريقيًا وآسيا ، وبداية اقتحام عبد الناصر للساحة الدولية مثبتًا أنه يستطيع بمساندة قادة بارزين من أمثال شواين لاي وتيتو ونهرو أن يكون قائدًا للعالم العربي وأفريقيا المستقلة ، وأن يدخل في نضال ضد الاستعمار والغرب عمومًا لتحرير كل من المنطقتين[1].

- ويقول محمد فايق مؤكدًا هذا المعنى : «ولم يقتصر المساعدات المصرية لحركات التحرير على النواحي العسكرية فقط ، بل تعدّتها إلى مجالات كثيرة أخرى ، ففي مجال العمل الدبلوماسي تبنت مصر قضايا التحرير وتصفية الاستعمار وتقرير المصير في الأمم المتحدة ، وهي في ذلك لم تكن وحدها بطبيعة الحال ، فقد كان هناك دول أخرى مثل الهند ودول الكتلة الشرقية وغيرها تهتم بنفس القضايا.. ولكن مصر كانت الأقدر في عرضها بحكم صلتها بهذه الحركات الموجودة بالفعل في القاهرة...»[2].

وفي الأوراق التالية سوف نطرح –بإذن الله– تفصيلات عن وقوف عبد الناصر مع الحركات التحريرية وبعض الثورات الأفريقية.

(1) محمود أبو العينين : مرجع سابق ذكره ، ص٣٦.

(2) محمد فايق: عبد الناصر والثورة الأفريقية ، ص٥٢.

# ١
# عبد الناصر .. وثورة الماوماو في كينيا

قبل أن نطرح فكرة حركات التحرير التي قامت في كينيا Kenya ودور مصر (عبد الناصر) في تدعيم الثورة هناك وتثبيت أركانها والوقوف بجانب ثورة الماوماو .. نود في مستهل الأمر أن نبين كيف تكون كينيا من ناحية الموقع والظروف التاريخية والتكوين البشري حتى تنجلي الصورة وينكشف حقيقة الدور :-

تمتد حدود كينيا الحالية من جنوب الصومال وأثيوبيا إلى شمال جمهورية «تنزانيا» ، وتلتقي في حدودها الشمالية مع السودان Sudan وأوغنده Uganda وأثيوبيا .. وكينيا في الأصل اسم جبل ثم أطلق المبشر الألماني «لودويج كراف» L. Kraph على المنطقة ، ثم أصبح علمًا على الدولة State.

-وتتبع كينيا Kenya (الآن) جزر «باتي» Pate وماندا Mada ولامو Lamu ويجري بها نهر «تانا» ونهر أثر الذي يتفرع في اتجاهه إلى المحيط الهندي إلى فرعين «جالانا» و«ساباكي» ويغذي تانا عدة جداول صغيرة تنحدر من جبل «كينيا» ، ويقوم نهر «بواسونيرو» الصغير بري مزارع إقليم «لاكيبيا» ،قبل وصوله إلى حدائق «سامبورو» و«شابا» ، ثم تتفرق مياهه على مساحة كبيرة في مستنقعات «لوريان» الشهيرة.. [١].

(١) د.عبد الله نجيب محمد: التفاعل الثقافي في الدول الأفريقية المعاصرة ومشكلات جمهورية كينيا كنموذج في كتاب مصر وأفريقيا ، الجذور التاريخية للمشكلات الأفريقية المعاصرة ((أعمال ندوة)) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، طباعة ١٩٩٦ ، ص٦٣٠ وما بعدها.

– وتضم أراضي كينيا مجموعة كبيرة من الجبال التي يغطي الجليد قممها وجبل «كينيا» Kenya هو أعلاها، ويمر بخط الاستواء، ويصل ارتفاع قمته أكثر من أربعة آلاف ومائة متر ويليه في الارتفاع جبل «ايلجون» يقع على الحدود الكينية الأوغندية..[1].

ومعظم القبائل الكينية تنتمي إلى بانتويه، ومن هذه القبائل قبيلة «الميجي كيندا»، والتي تشغل مدرج الغابات الواقعة وراء الحزام الساحلي.

–ويذكر د.عبد الله نجيب عن تاريخ كينيا أنه: «توجد دلائل على أن كينيا Kenya كانت مركزًا لثلاث هجرات رئيسية: منها هجرة الكوشيين التي كانت تأتي من الشمال الشرقي منذ حوالي تسعة آلاف عام، وهجرة البانتو، الذين كانوا يأتون من الصحاري الغربية منذ أكثر من ألف سنة، وهجرة النيليين، التي كانت تأتي من منطقة النيل –السودان حاليًا– منذ أواخر السادس عشر الميلادي، ويوجد في كينيا حاليًا بعض الجماعات التي تمثل السكان الأصليين، وهي الندور والبوني والساني»[2].

–وبظهور الاستعمار الغربي في أفريقيا وخاصة شرق أفريقيا كان يستهدف الاستعمار Colonialism محاصرة كل ما هو عربي ومسلم وعمل الاستعمار على الإبقاء على تعدد اللغات وزيادة التباعد بينها وإحياء العديد منها في ذات الوقت لمواجهة نفوذ اللغة العربية، التي كانت تزدهر وتنتشر، وكانت أيضًا اللغة

---

(1) د. عبد الله نجيب محمد: مرجع سابق ذكره، ص٦٣١.

(2) د.عبد الله نجيب محمد: التفاعل الثقافي في الدول الأفريقية المعاصرة ومشكلات جمهورية كينيا كنموذج في كتاب مصر وأفريقيا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طباعة عام ١٩٩٦، ص٦٣٣.

المشتركة بين الشعوب المختلفة هذا من جهة، ومن جهة ثانية عملت على استبدال هذه اللغات جميعًا ومنها العربية باللغات الأوروبية، فقد ارتبطت الثقافة الغربية منذ البداية بالاستعمار Colonialism، الذي أخضع البلاد للاحتلال والاستغلال...»[1].

- ويعتبر من نافلة القول أن نذكر أن كينيا Kenya كانت في مقدمة الأقطار التي استطاعت الثورة المصرية أن تتصل بالحركة الوطنية فيها وتؤيدها وتدعمه وتقيم أوثق وأمتن الصلات مع زعمائها، وعلى رأسهم جومو كينياتا (١٨٩١ – ١٩٧٨م).. فقد بدأت ثورة الماوماو – في كينيا – بعد ثلاثة أشهر فقط من قيام الثورة المصريّة عندما أعلن الإنجليز حالة الطوارئ في كينيا Kenya في أكتوبر عام ١٩٥٢.

والغريب أن حركة الماوماو قامت من بين قبائل الكيكويو والمساي الذي طردهم المستعمر الإنجليزي من أرضهم، ليعيشوا في أحياء قذرة يعانون من البطالة والتهميش Marginalization..[2]، وحاول الاستعمار الإنجليزي كدأبه في تشويه صورة الحركة بأنها حركة متوحشة وارتدادية، ولكن كل هذا كان بعيدًا عن الحقيقة، فأصل المشكلة كما يقول محمد فايق في كتابه «عبد الناصر والثورة الأفريقية»: «يرجع إلى وقت إنشاء الإنجليز للخط الحديدي بين ممبسة على ساحل كينيا وكمبالا في أوغندا (Uganda) مارًا بنيروبي عاصمة كينيا، وكان هذا الخط يمر بأخصب الأراضي في كينيا Kenya، وهي ما عرفت

(1) د.عبد الله نجيب محمد: مرجع سابق ذكره، ص٦٤٨.

(2) محمد فايق: عبد الناصر والثورة الأفريقية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مطبوعات ثورة يوليو (٥)، الطبعة الخامسة ٢٠٠٢، ص٣٧.

بالأراضي العالية High Lands ، والتي كان يسكنها قبائل الكيكويو والمساي ، وهي قبائل شديدة البأس عرفت بقدرتها الفائقة على القتال، وقد قام الحاكم الإنجليزي في ذلك الوقت «سير شارلوت اليوت» بدعوة عدد من العائلات الإنجليزية الفنية الأرستقراطية وأغراهم بالإقامة في كينيا ، وتملك هذه الأراضي العالية ، وكان هدفه الأساسي حماية الخط الحديدي من تخريب القبائل المعادية ، ثم أصدر أمرًا بطرد القبائل الأفريقية من هذه المناطق ، ثم أعلن أن كينيا أصبحت بلاد الرجل الأبيض!! [١].

وفي عام ١٩٥٠م قام زعماء اتحاد كينيا الذي كان يرأسه «جوموكينياتا» (١٨٩١-١٩٧٨) بحملة لجمع توقيع مليون شخص أفريقي لعرض قضيتهم على البرلمان الإنجليزي.. وأن بواعث ثورة الماوماو كانت من أجل الأرض .. وتم القبض على كينياتا (١٨٩١ - ١٩٧٨م) ، ومعه عشرون آخرون في أكتوبر ١٩٥٢ ، حيث حكم عليه بالسجن سبع سنوات مع الأشغال الشاقة ، وبعد شهرين من الحكم تم حل اتحاد كينيا الأفريقي بدعوى أن تنظيم «الماوماو» استخدم هذا الاتحاد كغطاء لتنفيذ عمليات الإرهاب Terrorism والقتل والعنف التي قام بها ضد الأوربيين البيض. [٢].

-واستغل الإنجليز هذه الأحداث وشنوا حملة إرهابية دامية ، كان هدفها المضي قدمًا في تحويل كينيا Kenya بالفعل إلى بلد الرجل الأبيض.. وقام الإنجليزي بأكبر عملية اعتداء وحشي ودامي على حركة «الماو ماو» مستخدمين الطيران و ٣٠,٠٠٠ جندي ، حيث تم قمع وإبادة ٧٨٠٠ قتيل من أفراد

(1) محمد فايق : مرجع سابق ذكره ، ص٣٧.

(2) محمد فايق: مرجع سابق ذكره ، ص٣٨.

الماو ماو ، ٧٩١ حكم عليهم بالإعدام ، ونفذ فيهم الحكم ، كما كان هناك ٧٠٠٠ أفريقي رهن المعتقلات والسجون ، وتم طرد ٦٠٠,٠٠٠ من أفراد «الكيكويو» من أرضهم ، وتم تحطيم ١٥٠,٠٠٠ كوخ من أكواخ ، وقد تم إعلان ذلك في ٢٧ من شهر يناير ١٩٥٥م[1].

–وكانت رؤية عبد الناصر (١٩١٨–١٩٧٠م) أن عمليات القمع والإبادة التي تقوم بها السلطات البريطانية ضد ثوار «الماو ماو» هو في الحقيقة تجسيد للصراع الذي ذكره عبد الناصر في كتابه «فلسفة الثورة» ، والذي يقرر فيه : «أننا لن نستطيع بحال من الأحوال – حتى لو أردنا – أن نقف بمعزل عن الصراع الدامي ، الذي يدور في أعماق أفريقيا بين خمسة ملايين من البيض ، ومائتي من الأفريقيين .......»[2].

– وتبنت مصر (عبد الناصر) قضية الوطنيين في كينيا Kenya فقامت بحملة إعلامية ودبلوماسية مركزة ضد الأعمال الوحشية والبربرية الإنجليزية ، وخصصت إذاعة موجهة باللغة السواحيلية Sawahili باسم (٠ صوت أفريقيا» إلى شعب كينيا وشعوب المنطقة الناطقة بهذه اللغة هاجمت فيها «الاستعمار البريطاني» بضراوة شديدة وبعنف أشد وحملته مسؤولية كل أعمال العنف والإبادة والإرهاب ، وكشفت عن مخطط استعماري من ناحية بريطانيا لجعل كينيا Kenya وطنًا للرجل الأبيض..»[3].

(1) محمد فايق: مرجع سابق ذكره ، ص٣٨.

(2) محمد فايق: مرجع سابق ذكره ، ص٣٩.

(3) محمد فايق: مرجع سابق ذكره ، ص١٩.

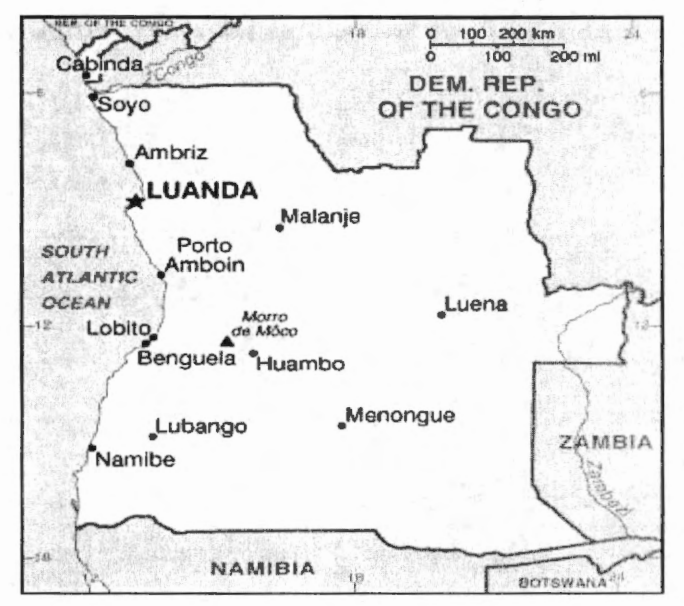
-وجعلت مصر من قضية «الماو ماو» وقضية الإفراج عن «جوموكينياتا» قضية أفريقيا كلها، وجعلت الإفراج عنه مطلبًا على مستوى القارة الأفريقية كلها.. وقد أدت بطبيعة الحال هذه الحملة، وهذا التأييد إلى توثيق الصلة مع الحركة الوطنية في كينيا Kenya، وكانت القاهرة أول عاصمة تفتح أبوابها للزعماء الكينيين الوطنيين، وتمدهم بكل المساعدات الممكنة، لتنشيط حركتهم في الداخل الكيني، وكذلك توصيل صوتهم إلى العالم الخارجي والمحافل الدولية، في ذات الوقت كان الاستعمار الإنجليزي يجرّم أي نشاط سياسي في كينيا Kenya.

-وقد تردد على القاهرة في هذه الفترة معظم زعماء كينيا المعروفين من أمثال «أجنجا أودنجا»، و«نجالا»، و«توم مبويا»، و«جيمس جيشورو» و«جوزيف مورمبي»، وغيرهم كثيرون.. وكان عبد الناصر يلتقي بهؤلاء الزعماء كلما حضروا إلى القاهرة[1].

(1) محمد فايق: عبد الناصر والثورة الأفريقية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٢،



# عبد الناصر .. وثورة أنجولا




تقـــع أنجـــولا Angola في القـــسم الجنـوبي الغـربي مـن القـارة الأفريقيـة بـين خطـي طـول ١٨ , ٢° و٤ , ٢٢° جنوبي خط الاستواء وبين دائـرتي عـــرض ٢٤ , ٥° و١١ , ٤١° شرقـــي خط جـرينتش وتبلـغ مـساحة أنجـولا Angola ١ , ٢٤٦ , ٧٠٠ كـم٢ وهـي تطـل عـلى المحـيط الأطلنطي بساحل طوله ١٦٥٠ كم ، وأطول حدودها ٤٨٣٧كم ، وتحدها من الشمال دولة الكونغو الشعبية وزائير Zaire ومن الشرق جمهوريتها زائير Zaire وزامبيا Zambia ومن الجنـوب ناميبيـا ويبلـغ طـول أنجـولا مـن الـشمال إلى الجنوب ١٢٧٧كم وعرضها من الشرق إلى الغرب ١٢٣٦كم.. [(١)].

(١) أ.د السيد علي أحمد فليفل: الجذور التاريخية للحرب الأهلية الأنجولية ، في كتاب مصر وأفريقيا ، الجذور التاريخية للمشكلات الأفريقية المعاصرة ، أعمال ندوة ، لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، طباعة ١٩٩٦، ص١٤٨.

-ويلي الساحل الأنجولي سهل ساحلي داخل متسع ثم سلاسل جبلية ، فهضبة واسعة ، ثم تنخفض الأرض كلما اتجهنا شرقًا باتجاه حوض نهر زائير وحوض نهر كويني ونهر كوينجو Cunene Cubango ومن أهم سلاسل الجبال موكو Moco وميكو Meco أما الأنهار فهي إما أن تصب في المحيط الأطلنطي أو تسير في اتجاه الجنوب أو الجنوب الشرقي أو الشمال ومن أهمها نهر كوانزا Kwanza الذي يتدفق من الشمال إلى الأطلنطي لمسافة تقرب من الألف كيلومتر[١].

- وغني عن البيان أن أنجولا Angola التي نعرفها اليوم لم تكن موجودة بحدودها قبل عام ١٩٥٨ ذلك أن أقسامًا منها كانت خاضعة لمملكة الكونغو قبل وصول البرتغاليين إليها وأقسامًا أخرى في الوسط كانت خاضعة لمملكة ندونجو Ndongo والتي أسسها شعب مبوندو Nbondo وكان ملكها يسمي نجولا Ngola ومنها حل اسم أنجولا[٢].

-والجدير بالذكر أن الحركة الوطنية الأنجولية لم تنشأ بالأساس على أرض أنجولا ذلك أن المستعمرات البرتغالية لم تكن تنظر لنفسها على حدة بل كانت حركة الرفض للبرتغال حركة عامة ظهرت أساسًا لدى عدد من المثقفين الأفارقة من كل من أنجولا Angola وموزمبيق Mozambique وغينيا بيساو ممن كانوا يقيمون في لشبونة ، ويتلقون التعليم فيها ، وانضووا تحت لواء المعارضة للحكم الديكتاتوري للدكتور بسا لازار ضمن فصائل المعارضة البرتغالية[٣].

(1) أ.د. السيد علي أحمد فليفل: مرجع سابق ، ص١٤٩.

(2) أ.د. السيد علي أحمد فليفل: مرجع سابق ذكره ، ص١٤٩ ، وما بعدها.

(3) أ.د السيد علي أحمد فليفل: مرجع سابق بعد ذكره ، ص١٦٣.

- ففي الخمسينيات والستينيات بدأت الحركة الوطنية الحديثة في الظهـور في أنجولا Angola وكان من أقدم هذه الحركات الحركة الشعبية لتحريـر أنجـولا Movimento (MPLA) Populardeliberacis de Angola، والتــي اعتـبرت نفـسها الوعـاء الـوطني للقـوى الأفريقيـة المعنيـة بالعمـل الـسياسي والعسكري لتخليص البلاد من الاستعمار البرتغالي وليس للتعايش معه في عام ١٩٥٦ متأثرة بالمبادئ الاشتراكية والمساعدة السوفيتية لحركة التحرر التي قادها عبد الناصر (١٩١٨- ١٩٧٠) في مصر لاسيما أبان أزمة السويس، وبدأ يمد من خلالهـا يـد المـساعدة للـشعوب العربيـة والأفريقيـة المتطلعـة للاسـتقلال Autonomy وقد عمدت الحركة ميلا إلى تبني فكـرة الكفـاح المـسلح، وشـن حرب عصابات ضد المستعمرين البرتغاليين..[١].

- وقد وقفت ثورة يوليو مع هذه الثورة بالمساعدة والغـون المطلـوبين بهـا، ولكل الحركات التحرير التحريرية في القارة السوداء –ويمكن القول كما يـذكر محمد فايق –أنه لم يحدث أن قامت حركـة ثوريـة تحريريـة في أفريقيـا بعـد عـام ١٩٥٢ إلاّ وكان لها اتصال بالقاهرة وأيدّها عبد الناصر ووقف معها..[٢].

(1) أ.د السيد علي أحمد فليفل: مرجع سابق بعد ذكره، ص١٦٦.

(2) محمد فايق: عبد الناصر والثورة الأفريقية، الهيئة العامـة لقـصور الثقافـة، الطبعـة الخامـسة، ٢٠٠٢، ص٥٣.

# خاتمة

## فهم جديد لدور قائد ثورة يوليو في إشعال فتيل ثورات العرب والقارة السوداء

- استطاع كثير من المؤرخين والباحثين أن يؤكدوا على الجذور العربية في التاريخ المصري القديم - وقبل الفتح العربي الإسلامي لمصر - بل أرجع بعضهم فرعون مصر القديم «مينا» موحد القطرين إلى أصول عربية ، ونحن نميل إلى هذا الاتجاه، رغم ما حدث من انعطافه كبيرة وزخم لا ينكره أحد في التوجه العربي الإسلامي في مصر - بعد الفتح - على اتجاهين : اللغة والعقدية ، وانتشارهما في التاريخ المصري خلال خمسة قرون من الفتح.. كما أننا نميل أيضًا مع كثير من المؤرخين على حقيقة التزاوج العربي / الأفريقي ، وانسياح الدائرتين في القديم داخل الوجود المصري بشكل دفع بعض الباحثين الغربيين على تأكيده، ولاسيما جلاوزر وهومل عن حقيقة علاقة الحضارمة بالقرن الأفريقي في القديم، وكما أشرنا من قبل.. ومن ثمّ يمكن أن نقدم هذه الملاحظات ، والتي اعتبرها من «الجدة» ، والتي دفعت عبد الناصر (١٩١٨ - ١٩٧٠) إلى جعل الدائرتين متتاليتين في الاهتمام ، بل كان حرصه واضحًا على تدعيم وإشعال حركات التحرر العربي ، وثوار أفريقيا السوداء ، ومناهضة الاستعمار وتوحيد النضال العربي والأفريقي ضد الإمبريالية والاستعمار الجديد، وليس هذا من قبيل إظهار الزعامة وإبراز البطولة ، وإنما من قبيل الفهم الإستراتيجي والقراءة المتعمقة في جذور التاريخ وخرائط الجغرافيا السياسية

للمنطقتين «العربية والأفريقية»، علاوة على الدائرة الأوسع شأنًا وهي : الدائرة الإسلامية.

ومن ثمَّ .. تحول الفهم العميق لديه إلى عقيدة، وإلى ممارسة ومبادرة، وفعل على الأرض قناعة بالعقيدة السياسيّة،واليقين الإستراتيجي بأهمية الدور المصري داخل هاتين الدائرتين، ومدى تغلغلهما في جذور الوجود المصري.

- ويمكن أن نوضح هذه «الملاحظات»، وهي عبارة عن مقدمات ونتائج ندلل بها على رؤيتنا وفهمنا، ونبين فيها حقيقة ما قام به عبد الناصر من تدعيم للثورات العربية «الجزائر / اليمن / السودان / العراق / ...إلخ»، وأيضًا ما قام به من تقديم ومناصرة للقضايا العربيّة، ومناهضة الاستعمار، ومحاصرة إسرائيل «الصهيونية»، وإيصاد الباب الأفريقي دون توغلها داخله، وتدعيم الثورات الأفريقية ومكاتبها السياسية، وإنشاء إذاعات موجهة معبرة عن حركاتها الوطنية، وخلق تواصل بين المكاتب السياسية في القاهرة والعواصم الأفريقية.

وتتجلى هذه الملاحظات في الآتية:

١ - أن العديد من الباحثين الغربيين والعرب والمختصين في تقصي التاريخ القديم للمنطقة العربية والأفريقية قد زيدتهم ترجيح الأصل السامي للمصريين مع عدم إنكار اختلاطهم بأجناس أخرى، كالحاميين، بل أكدت دائرة المعارف البريطانية على أن شعوب من أفريقيا، ومن آسيا الغربية كانت تقطن وادي النيل منذ ما يقرب من أربعمائة ألف عام، وأن هذا الاتصال السكاني والتفاعل البشري القديم شارك في صنع حضارة مصر القديمة.. وأن التأثير

العربي (أو السامي) كان له تأثيره في العصور القديمة قبل الهجرات العربية بعد الفتح ، وأنه وكما يذكر جمال حمدان (١٩٢٨ – ١٩٩٣) في دراسته العبقرية «شخصية مصر» (أن هناك أكثر من عشرة آلاف كلمة بين المصرية والعربية) .. كما ذكر عديد من العلماء الغربيين «المدققين» بأن منطقة أفريقيا ما هي إلا عربية الأصل نتيجة الهجرات العربية القديمة ، وأن هناك اتصال وتزاوج كبيرين بين الأفارقة والعرب – قبل الإسلام – بينه العالم الغربي دولار جلاوزر، وكذا العالم هومل Hommel ، والذي أكد على أنّ الحضارمة القدماء أقرب العرب الجنوبيين إلى الحبشة الجنوبية.

٢– أن القراءة النهمة ، والإطلاع الدقيق لقائد ثورة يوليو (جمال عبد الناصر)، وإطلاعه الواسع للمنطقة العربيّة ، وكذا الأفريقية وللتاريخ القديم وتخصصه في دراسة الإستراتيجية العسكرية والتكتيك والتدارس الخصب لأفكاره الثورية وللتجارب العربية والعالمية ، وأن فترة الخمس سنوات (١٩٤٣–١٩٤٨) ، والتي قضاها أستاذًا في الكلية الحربية ( بعد حصوله على رتبة نقيب أركان) فترة مهمة على كل المستويات ، ولاسيما على المستوى الفكري والثقافي ، فقد قرأ الكثير من الكتب ، التي كانت تزهو بها خزانة الكلية الحربية ؛ حيث أن لائحة الكتب تحتل الرايخ الألماني وهتلر محل نابليون والثورة الفرنسية في قراءاته السابقة، كما استحوذت على اهتمامه الثقافي كتب عن اليابان ، وسبعة كتب في حوض البحر الأبيض المتوسط، وثمانية كتب في تاريخ مصر ومشاكلها، ودراسات ويفل ، والحملات العسكرية في العراق ، وانصرف أيضًا إلى المراجع وأمهات الكتب في اختصاصه الدقيق في الثقافة العسكرية، فقرأ مؤلفات فولر وليدل هارت ، وغيرها من القادة ، كما أن من الكتب الهامة ، والتي حظيت

باهتمامه ، وبلورت عديد من الأفكار والمفاهيم لديه كتاب «مغامرات في المتوسط» لريتشارد ماكميلان ، فقد رأى فيه عبد الناصر (١٩١٨ -١٩٧٠) مصدر إغناء للتجربة العسكرية ، وبخاصة في الفصل الذي يتحدث فيه مؤلفه عن جيوش أفريقيا حديث العارف المدقق[1] .

أي إن عبد الناصر (١٩١٨-١٩٧٠) كان ملمًا بالتاريخ العربي والأفريقي ، وكذا الدراسات الأخرى ، من خلال قراءاته النهمة ، ومن خلال دراساته المتخصصة في الإستراتيجية وفنون القتال.

٣- ونتيجة للمقدمتين السابقتين: أن يكون لدى عبد الناصر قناعة تصل إلى درجة العقيدة السياسية بأن الدائرتين (العربية والأفريقية) متلازمتان ومرتبطتان بالقضايا الإستراتيجية والمصيرية (المصرية) ؛ ولذا قد ضمنهما بالإضافة إلى الدائرة الإسلامية في كتابه «فلسفة الثورة» على اعتبار أنها قد وصلت جدليًا إلى مصاف العقيدة واليقين السياسي ، فيقول عبد الناصر في هذا الشأن : «فليس عبثًا أن بلدًا في جنوب غرب أسيا يلاصق الدول العربية تشتبك حياته بحياتها ، وليس عبثًا أن بلدًا يقع في شمال شرق أفريقيا ، ويطل من على القارة السوداء ، التي يدور فيها اليوم أعنف صراع بين مستعمريها: البيض و أهلها السود من أجل مواردها، التي لاتحد ، وليس عبثًا أن الحضارة الإسلامية والتراث الإسلامي ، الذي أغار عليه المغول، الذين اكتسحوا عواصم الإسلام القديمة -تراجع إلى مصر - وآوى إليها ، فحمته مصر ، وأنقذته عندما ردت غزو

(1) د. بثينة عبد الرحمن التكريتي : جمال عبد الناصر ، نشأة وتطور الفكر الناصري، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠ ، ص١١٥ ، ١١٦.

المغول على أعقابه في عين جالوت ، كل هذه حقائق أصيلة ذات جذور عميقة في حياتنا ، لا نستطيع مهما نحاول أن ننساها أو نفر منها»[١].

وقرر في مضمار يقينه السياسي قائلًا في فلسفة الثورة: «أيمكن أن نتجاهل أن هناك دائرة عربية تحيط بنا ، وأن هذه منا ، ونحن منها ، امتزج تاريخنا بتاريخها، وارتبطت مصالحنا بمصالحها حقيقة وفعلًا ، لا مجرد كلام؟ .. أيمكن أن نتجاهل أن هناك قارة أفريقية ، شاء لنا القدر أن نكون فيها ، وشاء أيضًا أن يكون فيها اليوم صراع مروع حول مستقبلها ، وهو صراع سوف تكون آثاره لنا أو علينا سواء أردنا أو لم نرد؟ .. أيمكن أن نتجاهل أن هناك عالمًا إسلاميًا تجمعنا وإياه روابط لا تقرّ بها العقيدة الدينية فحسب وإنما تشدها حقائق التاريخ؟»[٢].

٤- تحولت القناعة السياسية واليقين السياسي من الكمون إلى العلن ، أو كما يقول المناطقة من القول إلى الفعل ، أو من اليقين السياسي إلى المبادرة والفعل ، أي أن عبد الناصر (١٣٣٦ – ١٣٩٠ هـ – ١٩١٨ – ١٩٧٠م) انتقل بعد يقينه إلى دائرة الفعل من تدعيم حركات التحرر العربي والثورات العربية ، وإمدادها بالمعونات العسكرية واللوجستية والدعائية والإعلامية من أجل تحرير الإرادة العربية واستقلال وحق تقرير المصير العربي وكذا الأفريقي ، وقد ظهر ذلك جليًا من خلال دراستنا السابقة، وما قام به في الجزائر ، واليمن ، والسودان ، والعراق، وليبيا ، وتدعيمه لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وما قام به من مناصرة

(1) جمال عبد الناصر: فلسفة الثورة ، مدبولي ، طبعة ٢٠٠٥ ، ص٥٩ ، ٦٠.

(2) جمال عبد الناصر: مرجع سابق ذكره ، ص٥٩.

القضايا العربية في الصومال، والأردن، ولبنان ، ومقاومة الأحلاف العسكرية الاستعمارية، وما قام به أيضًا على المستوى الأفريقي من استقبال المكاتب السياسية لحركات التحرير ، وتوجيه وبث الإذاعات الموجهة بكل اللغات الأفريقية ، وتدعيم الثورات في كينيا والكونغو .. وغيرها ، وتدعيم هذه الحركات والثورات الناهضة بكل وسائل التدعيم ، فكان بمثابة الأب الشرعي للثورات الأفريقية وزعمائها.

٥- إن ما قام به عبد الناصر من تدعيم الثورات وحركات التحرر في المنطقة العربية والقارة السوداء ما هو إلا نتاج لجدلية العلاقة بين الوعي والأداء والفكر والواقع والفهم والممارسة وتأثير الفكر على ممارسات الواقع.. فقد وعى عبد الناصر(١٩١٨ – ١٩٧٠) من خلال القراءات النهمة والجادة والمستفيضة ، وفهم واقع المنطقة العربية والأفريقية ، والتداخل بينهما والتزاوج ، فأثمرت هذه «الجدلية الفاعلة» ، وأدت إلى تدعيم وممارسات وأداء لصالح الشعوب العربية والأفريقية، وإخراجهما من ربقة الاستعمار الغربي ، ومناهضته بشتى صوره وأشكاله.. ومحاصرة إسرائيل «الصهيونية» ، ومنع تدخلها في الشأن الأفريقي ، وتطويق تدخلها ، ومقاومة الأحلاف العسكرية الاستعمارية منعًا لتسريب الفكر الاستعماري للمنطقة العربية أو غيرها من دول العالم الثالث.

# مراجع الكتاب

## ١- الكتب

(١) جمال حمدان : شخصية مصر – دراسة في عبقرية المكان (الأجزاء الأربعة) – دار الهلال.

(٢) محمد حسنين هيكل: ملفات السويس حرب الثلاثين سنة – مركز الأهرام للترجمة والنشر.

(٣) محمد حسنين هيكل : سلام الأوهام أوسلو ما قبلها وما بعدها – الكتاب الثالث – دار الشروق عام ١٩٩٦.

(٤) فؤاد المرسي خاطر: حول الفكرة العربية في مصر دراسة في تاريخ الفكر السياسي المصري – الهيئة المصرية العامة للكتاب – عام ١٩٨٥.

(٥) خالد إبراهيم عربي : القومية العربية قبل الإسلام – دار الملتقى – قبرص – ١٩٩٣.

(٦) جورج فوشيه : جمال عبد الناصر ورجاله – كنوز للنشر والتوزيع – طباعة ٢٠٠٨.

(٧) د. حسن أبو طالب : عروبة مصر بين التاريخ والسياسة- الهيئة المصرية العامة للكتاب – عام ٢٠٠٤.

(٨) عدنان حسين : العامل القومي في السياسة المصرية – دار الوحدة – بيروت – لبنان – عام ١٩٨٧.

(٩) جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام – دار الهلال.

(١٠) جمال عبد الناصر : فلسفة الثورة – مدبولي – عام ٢٠٠٥.

(١١) مارلين نصر : التصور القومي العربي في التعليم المصري – الهيئة المصرية العامة للكتاب – عام ١٩٩٢.

(١٢) د. محسن خضر: الاتجاه القومي العربي في التعليم المصري – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٢.

(١٣) عبد الإله بلقزيز : الوحدة العربية اليوتوبيا والواقع – الهيئة المصرية العامة للكتاب – عام ١٩٩١.

(١٤) د. علاء طاهر: الخصوصية الإستراتيجية للعالم العربي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – عام ١٩٩٢.

(١٥) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب – دار المستقبل العربي – طباعة عام ١٩٨٨ .

(١٦) أنوتني ناتنج : ناصر – مدبولي – عام ١٩٩٣.

(١٧) أحمد حمروش : ثورة ٢٣ يوليو – الجزء الأول – الهيئة المصرية العامة للكتاب – عام ١٩٩٢.

(١٨) اللواء أ.ح د. ذكريا حسين: القضية الفلسطينية إلى أين؟ - دار الهلال – ٢٠٠٥.

(١٩) د. بثينة عبد الرحمن التكريتي: جمال عبد الناصر – مركز دراسات الوحدة العربية – طباعة ٢٠٠٠.

(٢٠) د. محمد علي الشهاوي : عبد الناصر وثورة اليمن – مدبولي – ١٩٧٦ .

(٢١) جمال العطيفي : في حياة عبد الناصر ، دار المعارف – ١٩٧٠ .

(٢٢) طلحت رميح: مستقبل السودان – عام ١٩٩٤.

(٢٣) شوقي الجمل : الدور الأفريقي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ – الهيئة المصرية العامة للكتاب – عام ١٩٩٤.

(٢٤) حلمي شعراوي : أفريقيا من قرن إلى قرن – مكتبة جزيرة الورد – عام ٢٠١٠.

(٢٥) محمد فايق : عبد الناصر والثورة الأفريقية – الهيئة العامة لقصور الثقافة – ٢٠٠٢.

(٢٦) د. شوقي الجمل : الدور الأفريقي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ – الهيئة المصرية العامة للكتاب – عام ١٩٩٤.

(٢٧) أنتوني هـ كوردسمان : بعد العاصفة – دار الهلال.

(٢٨) محمد رفعت : التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة – دار المعارف – عام ١٩٦٤.

(٢٩) عصام عبد الفتاح : أشهر الثوار والثورات في تاريخ أفريقيا والعالم – كنوز – ٢٠٠٨.

(٣٠) د. عبد الكريم العلوجي : نهر الدماء في العراق – مكتبة جزيرة الورد – عام ٢٠١٠.

(٣١) أنيس الدغيدي: جنرال الحرية – مكتبة جزيرة الورد ٢٠١٠.

(٣٢) محمد عبد المولى : معمر القذافي – دار الكتاب.

(٣٣) د. محمد عمارة : تيارات الفكر الإسلامي – دار الشروق – عام ١٩٩٧.

(٣٤) د. مصطفى الشكعة : إسلام بلا مذاهب.

(٣٥) أمين هويدي: مع عبد الناصر – دار المستقبل العربي – ١٩٩١.

(٣٦) عبير ياسين/ محمد جمعة : منظمة فتح ومنظمة التسوية السلمية في كتاب الفصائل الفلسطينية – مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية – الأهرام.

(٣٧) د. يواقيم رزق مرقص: التوجه نحو أفريقيا – في كتاب «أربعون عامًا على ثورة يوليو» – مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام.

**٢-دوريات :**

(١) السياسة الدولية - مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية – الأهرام.

(٢) معلومات دولية : تصدر عن مركز المعلومات – سوريا.

## المؤلف في سطور

- نجاح السيد العشري من مواليد الجمالية – دقهلية .. وهي بلدة مطلة على بحيرة المنزلة.
- كتب مئات المقالات والدراسات البحثية بمعظم الصحف المصرية.
- مارس بفاعلية العمل الحزبي منذ عام ١٩٧٩ وحتى عام ٢٠٠٠م بعد أن أغلق نظام مبارك الحزب.
- شارك في الفعاليات والاحتجاجات والتظاهرات الشعبية ، حيث كان عضوًا بحركة كفاية ولجان التضامن الشعبي مع شعب العراق وفلسطين.
- يؤمن أن مصر مقبلة على مرحلة جديدة بأحزاب جديدة بعد أن استهلكت الأحزاب القديمة بأشكالها اليسارية واليمينية وجميع الأطياف بعد ظهور تكالبها المسف للحصول على منافع السلطة ، فكانت بمثابة ظله ، وقامت بدور الديكور الديمقراطي المصطنع.
- حضر مؤتمرات المائدة المستديرة بليبيا عام ١٩٩٧ ، وحتى عام ٢٠٠٠م ، والتقى مع عديد من مثقفي الأمة العربية هناك ، حيث كانت المائدة المستديرة تظاهرة ثقافية وفكرية للأساتذة والباحثين العرب وطلاب الجامعات العربية.

**صدر له:**

١- الخروج على الإمام – دراسة في الفقه الإسلامي – دار النديم – ١٩٩٧ .

٢- إفريقيا والعرب – صدر بليبيا.

٣- نهر النيل ونزاع الموارد المائية العربية – مكتبة جزيرة الورد – ٢٠١٠ .

٤- شخصية عبد الناصر وحياته – مكتبة جزيرة الورد – ٢٠١١ .

# الفهرس

**الموضوع** **الصفحة**

**الموضوع** **الصفحة**

**الموضوع** **الصفحة**

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |